٨

مؤسسة المصطفى لإحياء التراث



بحوث معمّقة في المضامين والدّلالات
لمعاني آية الكرسي

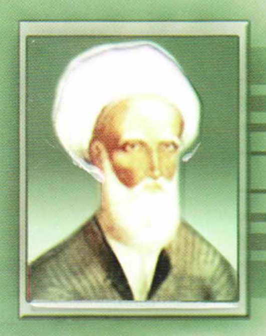
الجزء الثاني

تأليف

آية الله العظمى
السيّد كاظم الحسيني الرشتي "قدس سره"
١٢١٢ - ١٢٥٩هـ

تحقيقه وتعليقه

الشيخ عبد المنعم العمران





دار المحجة البيضاء


تفسير آية الكرسي
بحوث معمقة في المضامين والدلالات
لمعاني آية الكرسي


شبكة الفكر
alfeker.net



مؤسسة المصطفى ﷺ لإحياء التراث

بيروت – لبنان

تفسير آية الكرسي

تأليف : السيد محمد كاظم الرشتي المكي

تحقيق وتعليق : الشيخ عبد المنعم العمران

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com



تفسير آية الكرسي

بحوث معمّقة في المضامين والدلالات لمعاني آية الكرسي

تأليف

آية الله العظمى

السيّد كاظم الحسيني الرشتي «قدس سره»

١٢١٢ - ١٢٥٩هـ

تحقيق وتعليق

الشيخ عبد المنعم العمران

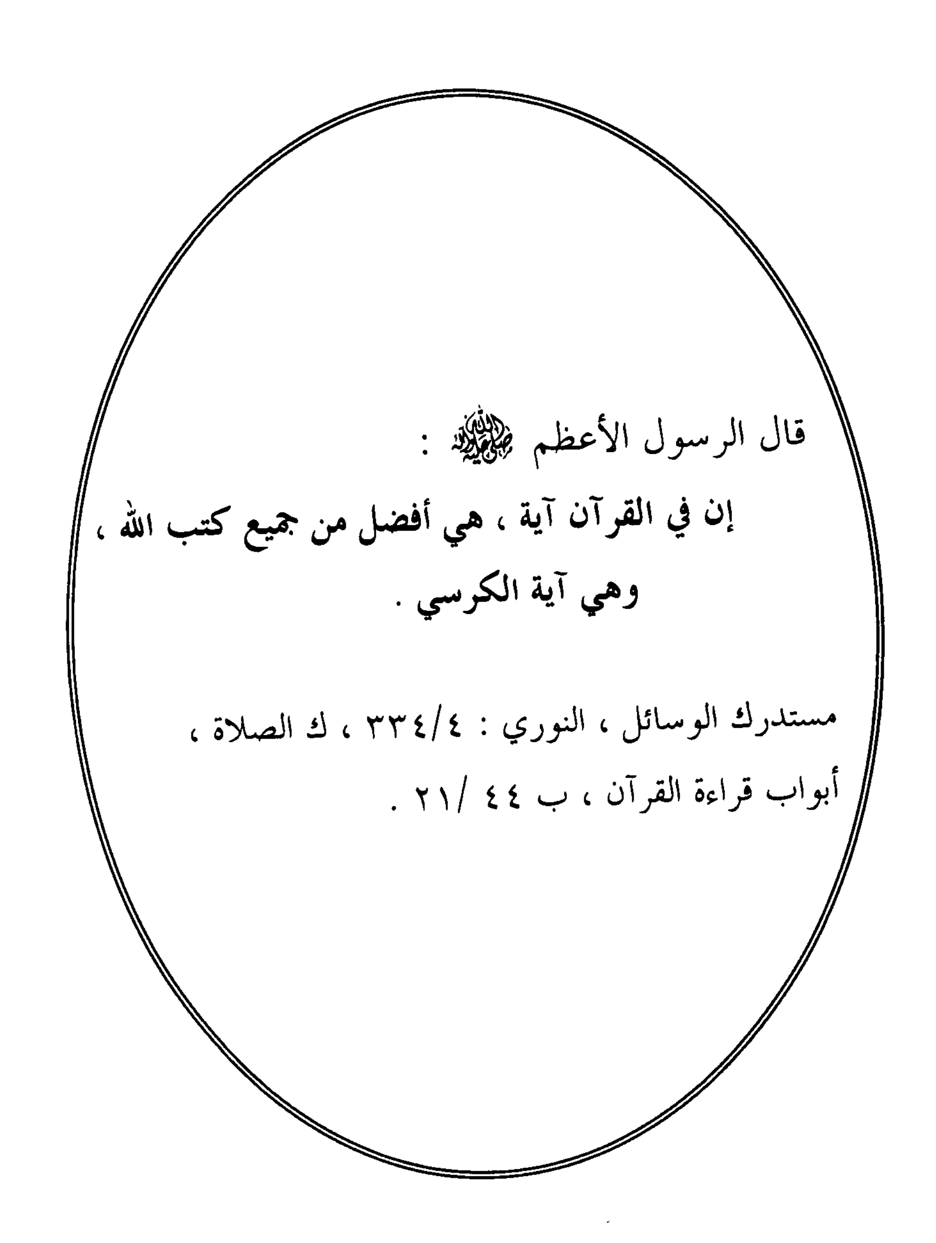
الجزء الثاني

مؤسسة المصطفى صلى الله عليه وآله لإحياء التراث

دار المحجة البيضاء

الثالث

في تقسيمه ثانياً



قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله :

إن في القرآن آية ، هي أفضل من جميع كتب الله ، وهي آية الكرسي .

مستدرك الوسائل ، النوري : ٤/٣٣٤ ، ك الصلاة ، أبواب قراءة القرآن ، ب ٤٤ /٢١ .

[التوحيد الذاتي والصفاتي]

اعـلم أنّـك قد عرفت مما سبق[١] من كلامنا أنّ مراتب التوحيد مختلفة متعدّدة ، فاعلم أنّه يجمع كلّ هذه المراتب مرتبتان من التوحيد :

[١- التوحيد الذاتي] :

المرتـبة الأولى : التوحيد الذاتي ، وهو توحيد الحق سبحانه نفسه ، وشهادته له بالوحدانيّة في الذات والصفات والأفعال ، كما قال : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾[٢] ، وهذا التوحيد خاصّ لله سبحانه القديم الأزل، الفـرد القيّوم ، لا يشركه أحدٌ في هذا ، ولا يبلغه موجود من الموجودات الإمكانيّة والأعيانيّة .

إيّـاك إيّـاك أن تتوهّم من كلامنا مغايرة الموحِّد والموحَّد ، وتعدّد المراتـب في الـذات والصـفات ، حاشا وكلاّ ، في ذلك المقام التوحيد والموحِّد والموحَّد والمراتب من الذات والصفات كلّها واحدٌ ، لا اختلاف فيه ، ولا تعدّد ، ولا تكثّر .

---

(١) انظر : ٣٠١/١ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨ .

ولا نعلم كيف ذلك ، إلاّ أنّه تعالى المخبر الصادق ، أخبر عن نفسه في كلامـــه الحق المبين ، فنقول به ، ولولاها لما نعرف توحيده وصفاته ، كـــيف ونحن في الإمكان وهو في الأزل ، نحن منقطعون عنه انقطاع العلّة من المعلول ، [قال ونعما قال :

نـــدارد ممكن از واجب نمونه   جگونه داندش آخر جگونه](١)

وقـــد قال ابن أبي الحديد(٢) في هذا المقام كلاماً ما أحسنه وأطيبه ، قال(٣) :

فـــيك يـــا أُغلوطة الفكر   تاه عقلي وانقضى عمري
ســـافرت فيك العقول فما   ربحـــت إلاّ أذى الســـفر
رجعت حسْرى وما وقفتْ   لا عـــلى عـــين ولا أثـــر

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) عبد الحميد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي ، شارح نهج البلاغة ، ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦ ، وتوفي ببغداد سنة ٦٥٥ هـــ أو سنة ٦٦٥ هـــ ، وله تصانيف كثيرة ، منها : شرح نهج البلاغة والقصائد السبع العلويات، والاعتبار على كتب الذريعة في أصول الشريعة للسيد المرتضى. ويروي عنه جماعة من العلماء منهم والد العلامة الحلي تتئن.

روضات الجنات ، الخونساري : ١٩/٥ . الكنى والألقاب ، القمي : ١٩٣/١ . شرح نهج البلاغة ، المعتزلي : ١٩/١ . مجمع البحرين ، الطريحي : ٤٧٣/١ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٥١/١٣ .

فـــلحَى الله الأُلى زعمـــوا   أنّـــك المعلـــوم بالـــنظر

وقال أيضاً[١] :

فـــيك يـــا أُعجوبـــة الكون   غـــدا الفكـــر كلـــيلاً
أنـــت حـــيّرت ذوي اللبّ   وبلبلـــــت العقـــــولا
كلّمـــا أقـــدم فكـــري   فـــيك شـــبراً فـــرّ مـــيلاً

وبالجملة ، الطريق[٢] إلى هذا التوحيد مسدود ، فنقطع الكلام عنه؛ لأنّ المتكلّم لا يزداد إلاّ تحيراً وضلالاً[٣] /م ٧٥ .

[٢- التوحيد الصفاتي] :

المرتبة الثانية : التوحيد الصفاتي ، وحيث لم يتيسّر لنا إدراك ذاته ، ومعـــرفة كـــنه صفاته ، وخلقنا لأجل المعرفة ، والحكيم لا يفعل العبث ، تجلّى لنا بصفة من صفاته ، وأشرق علينا بنور من أنواره ، وظهر لنا بظهور من ظهوراته ، فعرفناه بصفاته ، وعلمناه بتجلّياته ، وفي كلّ تجلٍّ ظهر اسم

---

(١) المصدر السابق .
(٢) في (م) : الطرق .
(٣) في (ح) : ظلالة .

مـــن أسمائه ، وفي كلّ ظهور وإشراق برزت صفة من صفاته ، توجّهنا بها إليه ، ودعونا بها إيّاه ، بقوله تعالى[١] : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾[٢] .

ولّما لم يكن لتجلّيه غاية ، ولا لظهوره نهاية ، كان في كلّ نفس من الأنفاس لعبده ظهور ، غير ما كان للنفس الآخر ، وفي كلّ ظهور توحيد خــاصّ به ، فتعدّدت مراتب التوحيد بتعدّد /ح ٣٠ أنفاس الخلائق ، بل أكثر ، وكلّها صفات تعرف الحق للخلق بالخلق .

ولّـــا كانت للشخص الواحد مراتب ومقامات هو متوقّف عليها ، كمقـــام العقل والنفس والجسم وأمثال ذلك ، كان ظهور الحق له بحسب تلك المرتبة ؛ لأنّ الشخص في تلك المرتبة مرآة لظهور الحق ، فتشرق شمس الظهور في تلك المرآة بحسبها لا بحسبها .

[كليات مراتب الإنسانية]

ولّما كانت كلّيات مراتب الإنسانيّة منحصرة في أربع مراتب :

الأولى : مقام الحقيقة والذات التي هي صرف[٣] الظهور ، والوجود

---

(١) في (ح) : لقوله الصدق .

(٢) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(٣) في (ح) : حرف .

بدون التقييد بقيد ، والتحديد بحدود خاصّة وعامّة ، وهي المجرّدة عن المادّة العقليّة والنفسيّة والجسميّة ومدّتها ، وعن الصورة الجبروتيّة والملكوتيّة والملكيّة ، وهي لا اسم لها ولا رسم ، ولا عبارة لها ، ولا إشارة إليها ، وهو الإشراق الكلّي ، والتجلّي العامّ ، والظهور التامّ .

الثانية : مقام العقول والجبروت ، وهو أوّل تعيّن الوجود ، وأوّل تحدّده بالحدود المعنويّة ، وهو أقرب الأشياء إلى المبدء ، جوهرة بسيطة ، درّاكة للأشياء بذاتها ، المجرّدة عن المادّة الرقائقيّة والنفسيّة والمثالية والجسميّة، والمدّة البرزخيّة والزمانيّة ، والصورة النفسيّة والجسميّة ، مادّتها النور المشرق من صبح الأزل ، وصورتها القيام ، أي البساطة ، أي الرضا والتسليم ، وفعلها إدراك المعاني المجرّدة ، وطبعها البرودة والرطوبة ، ولونها البياض .

الثالثة : مقام الصورة ، وعالم الكثرة ، ومحلّ التميز ، ومعدن التشخّص والتعدّد ، واللوح المحفوظ ، والكتاب المسطور ، وثاني تعيّن الوجود ، والمتحدّد بالحدود ، جوهرة بسيطة درّاكة للأشياء /م ٧٦ الصورية ، المجرّدة عن المادّة المثاليّة والجسميّة ، وعن مدّتيهما ، مادّتها النور المشرق من صبح الأزل ، وصورتها الانبساط والاضطجاع ، وفعلها إدراك الصورة المجرّدة ، وطبعها الحرارة والرطوبة ، ولونها الخضرة لاختلاط طبع ظاهرها بظهور طبع باطنها ، كما لا يخفى .

الرابعة : مقام الجسم ، وعالم الملك والشهادة ، جوهرة مركّبة من العناصر الأربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والأرض المقارنة بالمادّة العنصريّة، والمدّة الزمانيّة ، مادّتها العناصر ، وصورتها الركود والانخفاض ، وهو سرّ كسر الميم في بسم الله الرحمن الرحيم ، وفعلها طلب الشهوة والتكبّر والتعزّز والادعاء ، وطبعها طبع الموت البرودة واليبوسة ؛ لأنّها مظهر اسم الله المميت ، ولونها السواد كالليل الدامس .

[التوحيد ومراتب الإنسانية]

ظهر[1] الحق سبحانه في كلّ هذه المراتب بحسبها واستعدادها وقابليّتها . ففي المرتبة الأولى هي نفس التجلّي ، وفي الثانية أوّل تعيّن التجلّي ، وفي المرتبة الثالثة ثاني تعيّنه لكنّه محدود ومصوّر ، ومضيّق عالمه ، وما هو واسع بوسعة العالم الأوّل ، أي الثاني أوّل التعيّن ، وفي المرتبة الرابعة ظهوره قليل قليل ، وهو مرتبة الجماد ، و[2] ذكرنا حاله في الشكل.

والإنسان بعد نزوله وصعوده ، يترقّى في هذه المراتب إلى أن يصل إلى مبدأه ومعاده ، وهو صرف الظهور والتجلّي ، وفي كلّ مترل من هذه المنازل التي يتوقّف فيه في سيره إلى الله ، الذي هو السفر من الخلق إلى

---

(١) قوله : ظهر الحق سبحانه؛ جواب لقوله : ولما كانت كليات مراتب الإنسانية. انظر : ١٢.

(٢) في (ح) : لكن .

الحـــق، يـــرى ظهوراً ويشاهد حالاً ، ويوحّد الحق تعالى بتوحيده مسمّى باسم .

وكلّمـــا يترقّى يرى أنّه في حالته الأولى كان في الشرك ؛ لأنّ ذلك التوصيف الذي كان يصف الله به كان شركاً ، ما كان لائقاً بجلال قدسه، كتوصـــيف الـــنملة له تعالى بالزبانيتين ، فإنّ هذا التوصيف عندنا شرك وكفر، حتّى إذا بلغ إلى مقام حقيقة المعرفة وغاية المحبّة ، وهو مقام السفر [في الحق بالحق][1] .

أي[2] كـــلّ هـــذه التوحيدات توحيد في مقامه ، وشرك في المقام الأعلى ، بحيث لو اعتقد السافل ما اعتقده العالي لكفر ، ولو اعتقد العالي مـــا اعتقد السافل لكفر ، وهو سرّ قوله عليه السلام : (**لو عمل أبو ذرّ عمل ســـلمان لكفر ، ولو عمل سلمان عمل أبي ذرّ لكفر**)[3] ، [ولذا قيل بالفارسيّة :

---

(١) في (ح) : من الحق إلى الحق .

(٢) لم ترد في (م) .

(٣) قال الإمام الصادق عليه السلام : (**علم سلمان علماً ، لو علمه أبو ذر كفر**) .

الاختصاص ، الشيخ المفيد : ١٢ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣٤٦/٣٢ ، تاريخ الرســـول الأعظم صلى الله عليه وآله ، أبواب ما يتعلق به صلى الله عليه وآله من أولاده وأزواجه وعشائره وأصحابه وأمته... ، ب١٠ فضائل سلمان وأبي ذر ... /٦٠ .

هـــر مرتـــبة وجـــود حكمي دارد گـــر حفـــظ مراتب نكني زنديقي][1]

[مراتب التوحيد باعتبار الموحِدين]

/م ٧٧ وإذا عرفـــت هذا القدر من الكلام ، فاعلم أنّ أوّل مراتب التوحيد :

[١ – توحيد العبادة] :

توحيد العبادة : وهو أوّل مقام السالكين ، ومقدّمة سفر المسافرين، فقـــد ظهـــر الحـــق سبحانه وتعالى للشخص الواقف في هذا المقام بصفة المعـــبوديّة ، وهـــم يوحّـــدون المعبود وينـــزّهونه ويقدّسونه عن النقائص والعـــيوب، ويقيمون الدليل على ذلك ، على[2] ما نطق به ظاهر الكتاب والســـنّة ، ودلّ عليه الدليل القطعي العقلي الظاهري القشري ، ويوحّدون معـــبودهم في مقـــام الذات والصفات والأفعال والعبادة ، ولا يلتفتون إلى حقيقة الأمر ، ولا يعرفون كنه التوحيد .

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) في (ح) : كما .

وهـــم العوامّ من أهل الصورة ، أي الترب[١] الموصدة ، ومن الذين أراد الله بهم خيراً ، ولا يجوز إلقاء الشكوك والشبهات على هؤلاء ؛ لعدم معرفتهم بالجواب ، فيفسد عليهم أمرهم ودينهم .

فإذا كان هذا الموحّد مواظباً بالأعمال الصالحات ، وهي[٢] بمنـــزلة إلقـــاء الـــنار على الماء بعد ما عصرت الشجرة الطورية ، وأخذت ماءها وصـــفيتها بالـــتقطير والتعفين ، فتلقي النار التي هي[٣] على الماء الذي هو الثفل ، [وتكرّر التعفين][٤] والتقطير إلى أن انحلّت نصف اليبوسة .

فإذا وصَل السالك إلى هذا المقام يترقّى إلى المرتبة الثانية ، وهي :

[٢ – توحيد الذات] :

توحيد الذات : وهو المنـــزل الأوّل من منازل المسافر ، وهم العوامّ ، أي اللبّ من القشر ، أي أهل الصورة المجرّدة عن المادّة العنصريّة ، وأهل هذه[٥] المرتبة يوحّدون الحق ﷻ بملاحظتهم في الآفاق والأنفس ، وتلاوتهم

---

(١) في (ح) : أتراب .

(٢) في (ح) : وهو .

(٣) في (م) : هي الماء .

(٤) لم ترد في (ح) .

(٥) في (ح) : تلك .

كتاب الله التكويني ، فتحصل لهم المعرفة على بصيرة من أمرهم ، قال تعالى ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ** ﴾[١] .

وقال مولانا الحسين عليه السلام في الدعاء : (**إلهي أمرتني بالرجوع إلى الآثار ، فأرجعني إليها بكسوة الأنوار ، وهداية الاستبصار ، حتّى أرجع إليك منها [كما دخلت إليك منها]**[٢] **مصون السرّ عن النظر إليها ، ومرفوع الهمّة عن الاعتماد عليها ، إنّك على كلّ شيء قدير**)[٣] .

وهذه الكلمات في الظاهر لأهل هذه /ح ٣١ المرتبة ، وإن كان في الباطن إشارة إلى مراتب أُخر أعلى من هذه المرتبة بمراتب على ما سيجيء إن شاء الله تعالى .

إن قلت : كيف يكون تلاوة كتاب الآفاق والأنفس حاصلاً لأهل هذه المرتبة ، مع /م ٧٨ أنّ[٤] دليل الحكمة الذي لأهل العرفان البالغين إلى مقـــام المحبّة وغاية المعرفة مستنبط من ملاحظة الكتاب الآفاقي والأنفسي ، فكيف التوفيق ؟ .

قلـــت : أمّا أوّلاً : فلأنّ أهل الحقيقة المستدلّين بدليل الحكمة ليس نظـــرهم في الآفاق والأنفس نظر الكثرة مثل أهل هذه المرتبة ، بل نظرهم

---

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) سبق تخريجه : ١/٢٤٣ .

(٤) لم ترد في (ح) .

نظــر الوحدة والبساطة ، ونظر هؤلاء نظر الكثرة والاختلاف والتعدد ، فاختلف النظران .

وأمّــا ثانياً : فلأنّ أهل الحقيقة المستدلّين بدليل الحكمة الناظرين في الآفــاق والأنفس ينــزلون عند الملاحظة إلى تلك المرتبة ، وإن كانت لهم مراتــب فوقهــا ، فإنّ العالي قد يتنــزّل إلى السافل ، كما تنــزّل العالم عليه السلام إلى مقــام الحمامــة[1] ، وتكلّم معها كتكلّمها ، ولا نقص في ذلك للعالي ، بل هو عين الكمال ، لكونه مراتب الجلال والجمال .

فإذا لم يقف السالك في هذا المقام ، و لم يشغله ملاحظة الكثرة عن ملاحظــة الوحدة ، وواظب على الأعمال الصالحات ، التي هي إلقاء النار عــلى المــاء بعد انحلال اليبوسة ، فيكرّر التعفين والتقطير ، إلى أن انحلّت نصف اليبوسة .

فــإذا وصل بالأعمال إلى هذا[2] المقام الذي هو مقام الاطمئنان بل الكمال ، فتقلب النار ماء والماء ناراً ، فيترقّى إلى المرتبة الثالثة ، وهي :

---

(١) ورد ذلك مع الورشان ، انظر : بصائر الدرجات ، الصفار : ٣٦٢/٧ ، ب ١٤ في الأئمة أنهم يعرفون منطق الطير /٥ . الكافي ، الكليني : ٤٧١/١ ، ك الحجة ، ب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام /٤ .

وورد – أيضاً – مع ظبية ، انظر : بصائر الدرجات ، الصفار : ٣٧٠/٧ ، ب ١٥ في الأئمة أنهم يعرفون منطق البهائم ... /١٠ . الاختصاص ، المفيد : ٢٩٩ .

(٢) في (ح) : ذلك .

[٣ - التوحيد الشهودي] :

مقام التوحيد الشهودي : وفي هذا المقام ظهر الحق للخلق في قلبه ، بحيث ملأ جميع فضاء قلبه فلا يرى إلاّ الله ، ويرى الأشياء مضمحلّة باطلة.

وقد قال في هذا المقام العالم بأسرار المبدأ والمعاد : (**إلهي ما أقربك منّي وأبعدني عنك ، وما أرأفك بي ، فما الذي يحجبني عنك ، إلهي علمت باختلاف الآثار وتنقّلات الأطوار أنّ مرادك منّي أن تتعرّف إليّ في كلّ شيء ، حتّى لا أجهلك في شيء ، إلهي كلّما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك** ...) .

إلى أن قال : (**كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ، ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً ، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً**)[1] الدعاء .

---

(١) سبق تخريجه : ٢٨١/١ .

أوّل هذا المقام مقام : (**ما رأيت شيئاً إلاّ وقد رأيت الله معه**)[١] ، وآخره مقام : (**ما رأيت شيئاً إلاّ وقد رأيت الله قبله**)[٢] .

وأهـــل هذا المقام أنّهم يستدلّون على الخلق بالحق ، بخلاف /م ٧٩ المقـــام الثاني ، فإنّهم كانوا يستدلّون على الحق بالخلق ، ويقولون : إنّ الله أجلّ أن يُعرف بخلقه ، بل الخلق يُعرفون به .

وهذا المقام كثير الأخطار والحيّات والعقارب ، فيها ظلمات ورعد وبـــرق ، ولقد استوفينا ببيانه في شرحنا على شرح الزيارة للأستاد – دام ظلّـــه العالي – اطلب لتجد فيه ما لم يذكره واحد من العلماء ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

وهـــذا المقام مع اختلاف مراتبه تجمعها مرتبتين كما ذكرنا ، وهو مقام المادّة التي يلقى عليها أربعة أمثالها من الماء ليكون نطفة ، وستّة أمثالها من الماء ليكون شجرة ، ثمّ يوضع على النار على[٣] القدر المعيّن عندهم ، لتخرج منه المياه الأربعة المعلومة .

---

(١) مفاتـــيح الغيب ، الشيرازي : ١٣٨/١ . الكهف والرقيم ، الجيلي : ١١ . وورد فيهما : (**رأيت الله فيه**) .

(٢) مفتاح الفلاح ، البهائي العاملي : ٢٨٩ ، خاتمة . الكهف والرقيم ، الجيلي : ١١ . رسالة العروة الوثقى ، البهائي العاملي : ٤٠٣ .

(٣) في (ح) : وهو .

فإذا واظب الشخص بالمراقبة ، ولم يقف في ذلك المقام وخلص عن حيّاته وعقاربه ، يترقّى إلى المرتبة الرابعة ، وهي :

[٤ - **التوحيد الحقيقي**] :

مقـــام التوحيد الحقيقي : وهو المنـــزل ، وهو مقام الفناء والصحو والسكر ، والوجود والعدم ، ومقام نحن هو وهو نحن ، ومقام السفر بالحق في الحـــق ، ومقـــام الجمع وجمع الجمع ، ومقام المحبّة والمعلوم والجلال ، والســـرّ ، والنور المشرق من صبح الأزل ، والصبح الطالع ، ومنتهى آمال العارفين ، وغاية مطلب الطالبين .

ولـــيس هذا المقام مقام الكلام ، ولا الإشارة ، ولا العبارة ، وهنا محـــلّ اتّحـــاد المحـــبّة والمحبّ والمحبوب ، والتجلّي والمتجلّي والمتجلّى له ، والظاهـــر والمظهر والظهور ، والوصف والموصوف والصفة ، بلا ملاحظة المحـــبّة ، وقطـــع الـــنظر عن كلّ وصف ، واسم المحبّة حجاب بين المحبّ والمحـــبوب ، والـــذي نفســـي بيده ما أقدر أن أصف هذا المقام بالعبارة والكلام؛ لأنّه ليس بمقام العبارة ، ولا بمحلّ الإشارة ، وهو بحر قد غرقت فيه سفن كثيرة ، وما وصلوا الساحل .

وقــد ذكر الشيخ عبد الله بن القاسم السهروردي[1] في قصيدة له أحوال هذا المقام والسالكين إليه ، وهي طويلة نذكر هنا بعضاً منها ، إلى أن قال مخاطباً لأهل ذلك المقام[2] :

جئــت كي أصطلي فهل إلى نــ ـــاركم هــذه الغــداة سبيل
فأجابــت شــواهد الحال عنهم كــلّ حــدّ مــن دونها مغلول
لا تروقــنّك الــرياض الأنيقات فمـــن دونهـــا ربى ووحـــول
كم أمتها قوم على غرّة منها/م٨٠ ورامـــوا أمـــراً فعـــزّ الوصـــول
وقفـــوا شاخصـــين حتّى إذا ما لاح للوصـــل غـــرّة وحجـــول
وبـــدت رايـــة الوفـــا بيد الوجد ونـــادى أهـــل الحقـــائق جولوا
أيـــن مـــن كـــان يدّعيـــنا فهذا الـــيوم فـــيه صبغ الدعاوي يحول
حملـــوا جملة الفحول ولا يسرع يـــوم اللقـــاء إلاّ الفحـــول
بذلـــوا أنفساً سخت حين شحّت بوصـــال واستصـــغر المـــبذول
ثمّ غـــابوا مـــن بعد ما اقتحموها بـــين أمواجهـــا وجاءت سيول
قذفـــتهم إلى الرســـوم فكـــلّ دمعـــة في طلولهـــا مطلـــول

---

(١) الســـهروردي : أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري ، المـــنعوت بالمرتضى ، كان مشهوراً بالفضل ، تولى قضاء الموصل ، ولد في شهر شعبان سنة ٤٦٥هــ ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ٥١١ بالموصل . وقيل سنة ٥٢٠ هــ .
وفيات الأعيان ، ابن خلكان : ٣/٤٩/٣٣٤ .

(٢) وفيات الأعيان ، ابن خلكان : ٣/٥٠ .

نارنـــا هـــذه تضـــيء لمـــن يســـري بلـــيل لكـــنّها لا تنيل
منـــتهى الحـــظّ مـــا تـــزوّد منه الـــلحظّ والمدركـــون ذاك قليل
جاءهـــا مـــن عرفت يبغي اقتباساً وـــله البســـط والمنى والسئـــول
فتعالـــت عـــن المـــنال وعـــزّت عـــن دنـــوّ إلـــيه وهـــو رسول
فوقفـــنا كمـــا عهـــدت حيارى كـــلّ عـــزم مـــن دونها مخذول
فارفع /ح٣٢ الوقت بالرجاء ونـــ ـــاهـــيك بقلـــب غذاؤه التعليل
كلّمـــا ذاق كـــأس يـــأس مرير جـــاء كأس من الرجا معسول[1]
هـــذه حالـــنا ومـــا وصَل العلم إلـــيه في كـــلّ حـــال تحـــول

هـــذا الذي ذكره في هذه القصيدة رمز من أحوال هذا المقام ، ولا يعرف حقيقة الأمر في هذا التوحيد إلاّ من وصل إليه ، ولذا قيل : (من لم يذق لم يدر) ؛ لأنّ هذا المقام هو مقام الظهور الصرف ، والتجلّي المحض، الذي لا يشوبه شيء من أحوال الخلق من التقييد والتحديد ، والتعيين .

فكـــلّ ما يسمع ويعرف ويقال ويعبّر ، ويشار إليه بنحو من القيود [ليس من هذا المقام][2] ، وهذا المقام مبرّء عن كلّ قيد وتعيّن ، فلا يمكن أن يبـــيّن ويعـــرف إلاّ به ، وهذا الذي هو حقيقة الشخص من ربّه ، ولمّا كان هو ظهور الربّ عزّ وجلّ ، فيكون لكلّ موجود من الموجودات على

---

(١) في (م) : مغسول .

(٢) لم ترد في (ح) .

حســـب قابليّـــته ، وفي كلّ مرتبة /م ٨١ من هذه المراتب يجب أن يوحّد الحـــق ســـبحانه وتعـــالى في المراتـــب الأربعة : توحيد الذات ، وتوحيد الصفات، وتوحيد العبادة ، وتوحيد الأفعال .

[أوصاف الموحِد في مراتب التوحيد]

وإذا ضـــربت الأربعـــة في الأربعة يكون ستة عشر ، وإذا ضربت الاثنين والثلاثين المذكورة في الشكل المزبور في هذه الأربعة يكون الحاصل مائـــة وثمانية وعشرين ، أمّا شكل الضرب الأوّل فهو هذا ، - وفّقك الله وإيّانا [صراط المستقيم][1] ، بحق ساداتنا وموالينا - وهذا الشكل :

---

(١) لم ترد في (ح) .

توحيد الموحد	توحيد الذّات	توحيد الصفات	توحيد العبادة	توحيد الأفعال
التوحيد الحقيقي	مقام الأحديّة الذّات البحت	كمال التّوحيد نفي الصّفات عنه	مقام العدم وهي تقتضي الوجود	ليس إلاّ الأنفاس تخبر عنه وهو عنها مبرء معزول
التوحيد الشهودي	هو ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ في خطاب موسى	لا يرى فيها نور إلاّ نورك	وإنّ كلّ معبود ممّا دون الحقّ باطل	لا يسمع فيها صوت إلاّ صوتك
التوحيد الذّاتي	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية	هي ذاتيّة وفعلية فالأولى قديمة والثانية حادثة	(لا نعبد إلا إيّاه مخلصين له الدّين)	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾
التوحيد العبادي	﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	وهي ثبوتيّة وسلبيّة وكلاهما معلومان	﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾

وهذه الأمور التي ذكرنا لك كلاً أوصاف الشخص في تلك المرتبة المعيّنة وإن كان كلّها توحيداً ، لكنّها مختلفة المراتب كما عرفت ممّا ذكرنا في هذا الشكل ، وإلاّ فكلّ موجود من الموجودات في كلّ حال من أحوالهم شاهد صدق على ربّهم بألوهيّته ووحدانيّته ، كما يراه[1] العارف عياناً ، ويجده وجداناً ، ويحسّ به إحساساً .

فإن كنت ذا فهم تشاهد ما قلنا   وإن لم يكن فهم فتأخذه عنّا[2]

---

(١) في (ح) : رآه .

(٢) فصوص الحكم ، ابن عربي : ١٦٦ .

واعلم أنّ المراتب الثمانية المذكورة في الشكل الأوّل لا تجري عليها هــذه المراتب من التوحيد - أي الحقيقي والشهودي والذاتي والعبادي - وتجــري عليها تلك المراتب الأوّليّة - أي توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحــيد الأفعال وتوحيد العبادة - وتعرف تفاصيل تلك المراتب من هذا الشكل /م ٨٢ :

توحيد الموحّد	التوحيد الحقيقي	التوحيد الشهودي	التوحيد الذاتي	التوحيد العبادي
مقام نبينا محمد ﷺ	الصورة المحضة المتجلية لها بها من غير مرآة	يشاهد الحق في الخلق والوحدة في الكثرة	لا إله إلاّ هو ذو الملك والملكوت	(لا نعبد إلاّ إياه مخلصين له الدين)
أهل بيته الطاهرين عليهم السلام	أنا من محمد كالضوء من الضوء	(أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك)	در هرچه نظر كردم سيماي تو مي بينم	ألا كل شيء ما خلا الله باطل
الأنبياء والمرسلين	محو الموهوم وصحو المعلوم وعليه السير	﴿لا إِلَـهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	يسبح الله بأسمائه جميع خلقه	لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسوله
الإنسان من المؤمنين وغيرهم	لا إله إلاّ الله محمد رسول الله من غير إلتفات إلى الوحدانية والرسالة	لا موجود إلاّ الله ولا شيء سواه	﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ الآية	لا إله إلاّ هو كما شهد لذاته وشهدت
الجن مؤمنيهم وكافريهم	لا إله إلاّ الله العلي العظيم الحليم الكريم بالغيبة عن الوجه	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ﴾ الآية	كل ما في الكون وهم أو خيال	﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾
الحيوانات والبهائم	لا إله إلاّ الله الملك الحق العدل المبين	خ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾	وفي كل شيء له آية تدل على أنّه واحد	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾
النباتات بأصنافها	(لا إله إلاّ هو ذو الجلال والإكرام)	هر كَياهي كه از زمين رويد وحده لا شريك له كَويد	هر كَياهي كه از زمين رويد وحده لا شريك له كَويد	لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله
الجمادات بعناصرها ومعادنها	(لا إله إلاّ هو ذو الفضل العظيم)	ظهور الغير لظهوره وأنت الظاهر لظهور غيرك	نطفة ثم علقة ثم مضغة لنبين لكم الآية	﴿لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

/م ٨٣ فافهم وتأمّل ، وفّقك الله وإخواننا المؤمنين /ح ٣٣ .

اعــلم أنّ في هذه المراتب ترتيباً وتفصيلاً قد فتح الله تعالى على هذا الفقــير الحقــير مــن دون قابليّة واستحقاق باب فهمه ، والحمد لله رب العالمين، وما كتبته هنا لعدم احتمال الناس ، ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾[1] ، أقول بلسان حالي ومقالي[2] :

كلّما قلت قد أعتق الشكر رقّي   جعلــتني المكــارم لك عبدا
أيــن مهــل الزمان حتّى أؤدّي   شكر إحسانك الذي لا يؤدّى

فلــنقطع الكــلام عن بيان مراتب التوحيد ؛ لأنّه بحر عميق طويل عــريض ، قــد غرقت فيه السفن ، وكلّت عن بيانه[3] اللسن ، الواصل يعرفه ، والسالك يطلبه ، والساكن يجهله ، فلا حاجة للساكن والواصل ، ولا طاقة إلاّ إذا وصل ، فالأحسن أن نختم الكلام في هذا المقام ، ونشرع في باطن هذه الكلمة الشريفة .

فأقول - ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم - :

---

(١) سورة المائدة : ٥٤ .

(٢) غرر الخصائص الواضحة ، الوطواط : ١٧٣ .

(٣) في (ح) : نيله .



[الولاية باطن كلمة التوحيد]

إنّ (لا إلــه إلاّ الله) هو الصراط الموعود في القيامة ، وهو الولاية الأزليّة الثانويّة[1] ، التي هي محل[2] الولاية الأزليّة الأوّليّة ، قال الله تعالى : ﴿ **هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً** ﴾[3] .

وما عمل بمقتضى هذه الولاية إلاّ محمّد ﷺ ، وأهل بيته عليهم السلام ، وإلاّ فكــلّ الخلق مقصّرون فيها ، وما عملوا بمقتضاها ، من لدن آدم إلى يوم القيامة ، لأنّ الولاية هي أصل كلّ خير ؛ لأنّ كلّ خير من الله تعالى .

والخــير عــامّ يشمل ما يجب ويستحبّ لأهل الشريعة ، وما يجب ويســتحبّ لأهل الطريقة ، وما يجب ويستحبّ لأهل الحقيقة ، وما يجب ويستحبّ للأنبياء والمرسلين ، وما يجب ويستحبّ للمؤمنين الممتحنين .

والــنهي عن كلّ شرّ ، وهو عامّ شامل لما يحرم ويكره في المراتب المذكــورة ، ومــا يخطــر من خاطر السوء في التعقّل والتصوّر والتوهّم والتخــيّل، وما يحسن من الأمور الرذيلة في الملك ، ومقابلاتها في المراتب المذكورة .

---

(١) في (ح) : الثانية .

(٢) في (ح) : مجلى .

(٣) سورة الكهف : ٤٤ .

فإذا ارتكب جميع الخيرات من الواجبات والمستحبّات ، وانتهى عن جميع الشرور من المحرّمات والمكروهات في جميع المراتب ، فقد قال : (لا إلـه إلاّ الله) حقـاً وصدقاً ، وإلاّ فقد استكبر في هذا القول ، وتردّد في الولايـة ، ويدخل في زمرة /م ٨٤ قوله تعالى : ﴿ **إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[١] .

وذلـك لأنّ الشخص إذا علم أنّ الشيء الفلاني هو الخير والحقّ ، وفـيه رضاء الله تعالى ، وإن كان مستحبّاً لا عقاب في تركه ، ومع ذلك عـدل عنه ، وما فعله ، أو فعل غيره ، سواء كان فعل الغير فيه ثواب أقلّ من ثواب الأوّل ، أم ما فيه ثواب أبداً ، فقد استكبر في قول : (لا إله إلاّ الله) ، لأنّ العـدول عـنه لـيس إلاّ من جهة متابعة النفس ، فقد أطاع النفس، واتّخذها إلهاً من دون الله ، ولذا قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** ﴾[٢] الآية .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾[٣] .

وقـال الـنبي ﷺ : (**الشرك في هذه الأمّة له دبيب أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء**)[٤] .

---

(١) سورة الصافات : ٣٥ .

(٢) سورة الجاثية : ٣٢ .

(٣) سورة يوسف : ١٠٦ .

(٤) سبق تخريجه : ١/١٧٦ .

[تردد بعض الأنبياء عليهم السلام في الولاية] :

إنّ يعقوب عليه السلام تردّد في الولاية لّما جاء إخوان يوسف وطلبوه منه، وقال : ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾[1] .

ويوسف عليه السلام تردد فيها لّما أن نظر إلى المرآة ، ورأى صورته في كمال الحسن والجمال ، قال : إنّي لو كنت عبداً كم كان ثمني؟ ، ولّما أن قال : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾[2][3] .

ويونس[4] عليه السلام تردّد فيها لّما أن دعى على قومه ، وغضب عليهم الله تعالى ، والتمس منه روبيل أن يستغفر لهم ويرحمهم ، ولا يهلكهم ، وما قبل التماسه .

---

(١) سورة يوسف : ١٣ .

(٢) سورة يوسف : ٤٢ .

(٣) تفسير العياشي ، العياشي : ٢/١٧٧ ، سورة يوسف /٢٧ . مجمع البيان ، الطبرسي : ٥/ ٤٠٤ ، سورة يوسف ، آية : ٤٢ .

(٤) قصص الأنبياء ، الراوندي : ٢٥١ ، ب ١٧ ، فصل ٣٢٢/٤ . تفسير العياشي : ٢/١٢٩، سورة يونس /٤٤ .

وبعد ما ردّ عن قومه العذاب ، وما نزل عليهم بعد ما نزل على[1] رأسهم ، وضجّوا وبكوا واستغفروا وندموا ، وتابوا إلى الله سبحانه ، وهو أرحم الراحمين ، رؤوف بعباده عطوف عليهم ردّ عنهم العذاب ، قال يونس عليه السلام : لقد كذبني الوحي ، لمّا أن وعده الله سبحانه بإنزال العذاب على قومه في يوم أربعاء عند العصر ، لكنّه قد استثنى جبرئيل ، وقال : (إلاّ أن يشاء الله) ، وأنزل الله تعالى عليهم العذاب لكنّه تعالى ما وعده الهلاك ، وأخبر قصّته في القرآن : ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2] .

وأيّوب عليه السلام لمّا كان عند الانبعاث عند المنطق شكّ وبكى ، وقال: (**هذا أمر عظيم ، وخطب جسيم .**

قال تعالى : أتشكّ في صورة أنا أقمته ؟ ، إني[3] ابتليت آدم عليه السلام بالبلاء فوهبته له[4] بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين ، وأنت تقول هذا أمر

---

(١) في (ح) : عند .

(٢) سورة الأنبياء : ٨٧-٨٨ .

(٣) في (ح) : أنا .

(٤) في (ح) : عليه .

عظيم ، وخطب جسيم)[1] ، ثمّ أدركته السعادة بالوليّ لمّا أقرّ /م ٨٥ بولايته .

وداود عليه السلام لمّا قال : ﴿ **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾[2] .

وآدم[3] عليه السلام لمّا أكل تلك الشجرة المنهيّة .

وبالجملة ، ما ابتلي نبيّ من الأنبياء ولا وليّ من الأولياء إلاّ وقد تردّد في ولاية الوليّ ، وقد عرفت معناه ، يعني : (حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين)[4] .

---

(١) تأويل الآيات ، شرف الدين الحسيني : ٥٠٥/٢ ، سورة ص /٤ . مدينة المعاجز ، السيد هاشم البحراني : ٣٢/٢ ، ب١ في معاجز أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام /٣٧٢ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٩٣/٢٦ ، أبواب سائر فضائلهم و مناقبهم و غرائب شئونهم ... ب٦ تفضيلهم على الأنبياء و .../٥٢ .

(٢) سورة ص : ٢٤ .

(٣) المحاسن ، البرقي : ٣٢٣/٢ ، ك العلل /٦٣ . علل الشرائع ، الشيخ الصدوق : ٢٨٠/١ ، ب١٩١ العلة التي من أجلها توضأ الجوارح ... /١ . الاختصاص ، الشيخ المفيد : ٣٥ .

(٤) شرح أصول الكافي ، المازندراني : ٢١٣/٤ . شرح منازل السائرين ، الكاشاني : ٢٢٦ .

[معنى تردد الأنبياء في الولاية] :

وليس معنى التردّد والشكّ عدم العلم بولاية الوليّ وحقيّتها ، والجهل به وبها ، معاذ الله عن ذلك ، وإلاّ لكفروا ، والأنبياء أجلّ شأناً وأكرم مقاماً عن ذلك ، بل معناه كما عرفت من فعل ما لا ينبغي فعله ، فإذا كان الأنبياء المؤيّدون بروح القدس حالهم هكذا على ما سمعت ، فما ظنّك بك وأمثالك ، نعوذ بالله من غضب الله .

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وثبتنا على الولاية ، واهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالّين .

وقال تعالى في حقّ المنكرين لحقّ الوليّ بالأصالة وتابعيهم بالتبعيّة : ﴿ **إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[١] ، فيدخل فيها اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة ، وكلّ ما يخالف الطريقة الحقّة ، وكذا العاصون أيضاً ، نستجير[٢] بالله من سخط الله .

---

(١) سورة الصافات : ٣٥ .

(٢) في (ح) : أستجيز .

[كلمة التوحيد والموحِدين] :

فقـــول : (لا إله إلاّ الله) على الحقيقة والواقع خاصّ لنبيّنا محمّد ﷺ ، وأهـــل بيته ، الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهّرهم تطهيراً ، قـــال الله تعـــالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[(١)] .

فالجـــنة لهـــم على الحقيقة إذا تفضّل الله عليهم ، والباقون كلّاً لهم مراتب في الجنان حسب تصديقهم /ح ٣٤ بـــ(لا إله إلاّ الله) ، قال عليه السلام : (**مـــن قال لا إله إلا الله فقد**[(٢)] **دخل الجنّة**)[(٣)] كلّ بحسب مقامه ورتبته وتصديقه بهذه الكلمة وعدم تصديقهم .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) فقه الرضا ، ابن بابويه : ٣٩٠ ، ب١١٠ النوادر . التوحيد ، الشيخ الصدوق: ٢٨، ب١ ثواب الموحدين والعارفين /٢٧ . مكارم الأخلاق ، الشيخ الطبرسي: ٣١٠ ، ب١٠ ، ف٣ في الذكر والصلاة على النبي ﷺ.... .

[ميادين التوحيد]

[التصديق الحالي والمقالي] :

[١ - التصديق الحالي] :

واعـــلم أنّ كلّ الموجودات على سبيل العموم يقولون : (لا إله إلاّ الله) ، ويوحّدونـــه تعالى على الحقيقة ، وأنت إذا كان لك بصر حديد ، ترى هذا الكلام بعين المشاهدة والعيان .

ولذا قال : (**كل صائرون إلى حكمك ، وأمورهم آئلة إلى أمرك، لا إله إلاّ هو الحكم ، وإليه ترجعون ، لا يخالف شيء منها محبّتك**)[1] .

فكلّ الموجودات في التصديق الحاليّ مساوون .

[٢ - التصديق المقالي] :

وأمّا في التصديق المقاليّ والاعتقاديّ والجناني مختلفون :

---

(١) مصباح المتهجد ، الشيخ الطوسي : ٣٧٠ ، ك الصلاة ، أعمال يوم الجمعة /١١٠ . المزار، المشـــهدي : ٤٥٩ ، القســـم الرابع ، ب١٨/د .الصحيفة السجادية ، الأبطحي : ٣١٥ ، دعاؤه عليه السلام في يوم الفطر.../١٤٦. (في المصادر إلى قوله : إلى أمرك) .

بعضهم قد غمسوا في بحر /م ٨٦ الطغيان والكثرة ، بحيث أنكروا الوحدة ، وقالوا : ما من إله واحد ، بل الآلهة متعدّدة متكثّرة ، ولهم أولاد من البنين والبنات ، وقد ماتوا ودفنوا في قبور طبائعهم .

قال تعالى مخاطباً لهؤلاء الأشرار : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۞ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾[١] ، إذا كشف عن بصائركم وترون الأمر كما هو . قال ونعم ما قال :

بر افكن پرده تا معلوم گردد   كه ياران ديگري رامي پرستند

وبعضهم عرفوا الحقّ تعالى بأنفسهم نظروا إلى إنّياتهم وتعيّناتهم ، فقالوا[٢] : إنّه جسم ، فاختلفوا فيه ، بعضهم قالوا[٣] : هو على صورة الشابّ الأمرد ، وبعضهم قالوا : هو العرش محدّد الجهات ، وبعضهم قالوا: هو فلك الكرسي ، إلى آخر الأجسام .

[المكلف ومعرفة الله تعالى بالله أو بنفس المكلف]

وتحقيق هذا الكلام هو أنّ الموجودين المكلّفين على قسمين :

---

(١) سورة التكاثر : ١-٣ .

(٢) شرح المواقف ، الجرجاني : ٣٨/٣ .

(٣) شرح المواقف ، الجرجاني : ٣٩/٣ .

[١ – عرفوا الله بالله] :

قسم عرفوا الله بالله ، أي عرفوه بأنفسهم لا من حيث هي ، بل من حيث إنّها صفة الله ، وهذه الحيثيّة لا تتحقّق إلاّ إذا كشفوا سبحات الجلال ، ومحوا الموهوم ، وهتكوا الأستار والحجب المانعة عن مشاهدة الحق ، وهذا المقام يسمّونه بالأحديّة ، وهو مقام الأحديّة التي تحت مقام الألوهيّة ، ودونها دون الجزء بالكلّ ، كما لا يخفى .

[٢ – عرفوا الله تعالى بالنظر إلى أنفسهم من حيث هي هي] :

وقسم عرفوا الله تعالى بالنظر إلى أنفسهم من حيث هي هي ، مع ملاحظة الإنّيّة والماهيّة فمنهم من لم يتجاوز عن مقام الجسميّة ، ويرى أنّ معبوده جسم(١) .

ومنهم من تجاوز عنه ، وقال(٢) : إنّه مثال وصورة ؛ لأنّ العالم حياته بصورته .

ومنهم من تجاوز عنه ، وقال(٣) : إنّه مادّة العالم ؛ لأنّ قوام الشيء بمادّته .

---

(١) شرح المواقف ، الجرجاني : ٣/٣٨ .

(٢) فصوص الحكم ، ابن عربي : ٥٣ .

(٣) نقد النصوص ، الجامي : ٦٦ .

ومـــنهم من تجاوز عنه ، وقال[١] : إنّه طبيعة العالم ؛ لأنّها المدبّرة له[٢] .

ومنهم من تجاوز عنه ، وقال[٣] : إنّه روح العالم ، ونفسه المدبّرة له الصورة المجرّدة عن المادّة .

وهذه المراتب الخمسة دركات الهالكين ، ومقامات الخاسرين ، قال تعـــالى : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ** ﴾ وهو المقام الأوّل ﴿ **فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَـــوْجٌ** ﴾ وهو المقام الثاني ، أي مقام المثال ؛ لأنّ الجسم في المثال ﴿ **مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ** ﴾ وهو المقام الثالث ﴿ **مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ** ﴾ وهو المقـــام الرابع ﴿ **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ** ﴾[٤] وهو المقام الخامس ، لا يهتدي السالك فيها يضلّ ضلالاً بعيداً ، ويخسر خسراناً مبيناً /م ٨٧ .

[أ – مقام الصورة] :

واعلم أنّ في مقام الصورة عشرين مقاماً : أعلاها الصورة المجرّدة ، وأدناها الترب[٥] المؤصدة ، وما بينهما درجات الهالكين .

---

(١) تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٧٦/٤ .

(٢) في (ح) : فيه .

(٣) فصوص الحكم ، ابن عربي : ١١١ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٧٦/٤ .

(٤) سورة النور : ٤٠ .

(٥) في (ح) : التراب .

والأول : النفس .

والثاني : الطبيعة .

والثالث : المادّة .

والرابع : المثال .

والخامس : المحدّد الجهات فلك الأطلس .

والسادس : فلك الكرسي فلك الثوابت .

والسابع : فلك المنازل .

والثامن : فلك البروج .

والتاسع : فلك زحل .

والعاشر : فلك المشتري .

والحادي عشر : فلك المريخ .

والثاني عشر : فلك الشمس .

والثالث عشر : فلك الزهرة .

والرابع عشر : فلك العطارد .

والخامس عشر : فلك القمر .

والسادس عشر : كرة النار .

والسابع عشر : كرة الهواء .

والثامن عشر : كرة الماء .

والتاسع عشر : كرة التراب .

والعشرون : جسم الكلّ .

ولكل من هذه المراتب قائل يعبدها ويقرّ لها بالألوهيّة والوحدانيّة ، إذا نظـــرت في التواريخ والسنن سيّما تفسير الكبير الذي كتبه الملاّ حسين الكاشفي[1] ، يظهر لك حقيقة الأمر ، فإذن تعرف عياناً تأويل قوله تعال ﴿ **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ** ﴾[2] إذا أردت منه[3] مقام الجسم ، بعكس مـــا ذكرنا من الترتيب والتأويل بالعكس أظهر وأبين ، كما لا يخفى على الفطن العارف .

[ب – مقام المعنى] :

ومنهم من تجاوز عن مقام الصورة وقال : إنّ معبوده معنى ، وهذا إن أشـــار إلى حدّ معنويّ ، فهذا أيضاً كالأوّلين ، وإن أشار إلى معنى غير

---

(١) الكاشـــفي : الملا حسين بن علي الكاشفي ، البيهقي ، السبزواري ، ثم الهروي ، المعروف بـــالولي حسين الكاشفي البيهقي ، وبالواعظ الهروي . متصوف ، أديب ، مفسر ، منجم . تـــوفي بهراة عام (٩١٠ هـ) . من مؤلفاته : تفسير سورة يوسف ، روضة الصفا في مقتل الحسين عليه السلام ، لوامع الشمس في أحكام طوالع سني العالم ، ما لابد منه في المذهب ، ورشحات عين الحياة في مناقب مشايخ النقشبندية .

معجم المؤلفين ، كحالة : ٣٤/٤ .

(٢) سورة النور : ٤٠ .

(٣) لم ترد في (ح) .

محـــدود بـــالحدود المعنويّة ، فهو موحِّد لكن توحيده أدنى المراتب وأسفل الدرجـــات ، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ **فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ **يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَـــمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا** ﴾[2] ، وهذا المقام آخر مقامات النهاية والتعيين والتقييد .

وإذا تجاوز السالك عن هذا المقام يصل إلى مقام اللانهاية واللاتعيّن واللاتقـــيّد ، ومقام معرفة النفس لا من حيث هي ، بل من حيث ظهور الرب وصفة الحق .

وهـــذا المقام هو مقام كمال التوحيد والمعرفة ، وهو آخر المراتب وأقصى الدرجات ، من عرفه فقد[3] عرف الله ، ومن جهله فقد جهل الله، هـــذا منتهى معرفة الوجود المقيّد ، ليس له فوقها درجة ولا منزلة ، (ليس وراء عبّادان قرية)[4] ، ويسمّونه بالدواة الأولى ، والمداد الأوّل ، والنفس الرحمانيّ الثانويّ /م ٨٨ .

وأمّا الموجودات المطلقة ، فلهم مقامات في التوحيد ، كلها مظاهر الحـــقّ ومقاماته ، الأول : ظهوره لعبده في النقطة ، [ثمّ في السراج – أي

---

(١) سورة البقرة : ١٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠ .

(٣) لم ترد في (ح) .

(٤) مجمع الأمثال ، الميداني : ٢/٢٥٧ ، حرف اللام ، المولدون .

الألف -][1] ثمّ في الحروف - أي السحاب المزجى - ثمّ في الكلمة التامّة، أي السحاب المتراكم .

الأولى : معرفة الباطن بالنقطة .

والثانية : معرفة الباطن - من حيث هو باطن - بالنفس الرحماني الأولي .

والثالثة : معرفة الظاهر بالسحاب المزجى .

والرابعة : معرفة الظاهر - من حيث هو ظاهر - بالسحاب المتراكم .

وهذه المراتب هي المقامات والعلامات والآيات التي في الدعاء: **(فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأركاناً لتوحيدك ، وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان ، يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلاّ أنّهم عبادك وخلقك ، فتقها ورتقها بيدك ، بدؤها منك ، وعودها إليك ، أعضاد وأشهاد** /ح ٣٥ ، **ومناة وأذواد ، وحفظة وروّاد، فبهم ملأت سماءك وأرضك حتّى ظهر أن لا إله إلاّ أنت)**[2] الدعاء .

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) مصباح المتهجد : ٨٠٣ ، رجب/٩ . إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس الحسني: ٣/٢١٤، ب٨ فيما نذكره مما يختص بشهر رجب ... ، ف٢٣ فيما نذكره من الدعوات في أول ◄

فالمقامات - أي مقامات ظهور الحق لعبده في التوحيد - خمسة ؛ المرتبة الخامسة أعلى مراتب الوجود[1] المقيّد ، والمراتب الأخر في الوجود المطلق لا دخل لها في الوجود المقيّد ، وهي الاسم المكنون المخزون الذي استقرّ في ظلّه فلا يخرج منه إلى غيره ، فافهم .

فإن فهمته فأنت الموحِّد الكامل كالكبريت الأحمر ، فإنّ المولود الفلسفيّ هو الموحِّد ؛ ولذا قلنا : إنّ اسمه عبد الله في مقام : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾[2] .

فالمجموع أحد عشر مرتبة ، خمسة منها نور ونجاة ، وخمسة منها ظلمة وهلاك ، وواحد ﴿ **فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** ﴾ ، ﴿ **يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا** ﴾[3] .

وتسمّى هذه المراتب بميادين التوحيد ، فالساكنون في درجات الخمسة الأول يقولون : (لا إله إلاّ الله) بلسان حالهم ، ولا يقولون بلسان مقالهم واعتقادهم ، وإن ادّعوا كذبوا ، ولا اعتناء بما يقولون ؛

◄ يوم من رجب ... . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣٩٣/٩٥ ، أبواب أعمال مطلق السنين و الشهور ... ، ب٢٣ أعمال مطلق أيام شهر رجب ... /١ .

(١) في (ح) : وجود المراتب .

(٢) سورة الفاتحة : ٥ .

(٣) سورة البقرة : ١٩-٢٠ .

لأنّهـــم يقولـــون ما لا يفعلون ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾[1] .

(١) سورة الصف : ٢-٣ .

[تحقيق حول النفي في كلمة التوحيد]

اعلم أنّ (لا) هو النفي الصريح الباتّ البحت ، الذي هو شيء .

اختلفا في أن النفي شيء أم لا ، قال أحدهما : إنّه شيء ، وقال الآخر : إنّه ليس بشيء ، فسألا العالم عليه السلام ، قال : (**إنّه شيء ، وقل بقول هذا الرجل في هذه المسألة**)[١] .

ومعنى شيئيّته ما عرفت سابقاً[٢] من أنّه منزلة /م ٨٩ اللّاشيء ، ولذا قال تعالى : ﴿ **أَوَلا يَذْكُرُ الْأِنْسَانُ أنا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً** ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْأِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً** ﴾[٤] .

ومن المعلوم أن النفي إنما يتعلّق بالقيد لا المقيّد ، فثبت أن (لا) نفي وعدم ، والإله أيضاً نفي وعدم ، ولا أصل له ، و لا تحقّق ، ولا تذوّت ، بل اللاشيء الصرف ، والليس الساذج .

---

(١) اختيار معرفة الرجال ، الشيخ الطوسي : ٤٨٢/٥٤٤/٢ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣٢٢/٤ ، ك التوحيد ، أبواب أسمائه تعالى ... ، ب٦ نادر .

(٢) انظر : ٢٧٥/١ .

(٣) سورة مريم: ٦٧ .

(٤) سورة الإنسان : ١ .

والمــراد بالإله في هذا المقام كلّ شيء يقصد سوى[١] الله وينظر إلــيه، إذ كل ما سواه إذا كان مقصوداً ومنظوراً إليه فهو إله سوى الله ، وشــريك له في الوحدانــيّة عند العارفين الموحّدين ، يقول صاحب مقام التوحيد الشهوديّ[٢] :

كلّ ما في الكون وهم أو خيال   أو عكوس في المرايا أو ظلال

ويقول صاحب مقام التوحيد الحقيقيّ الله فحسب ، ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[٣] .

وقــد سمعــت أن بعــض الموحّدين لمّا حضرته الوفاة حضر عنده أصحابه وتلامذته ، فقال واحد منهم حين احتضاره : (لا إله إلا الله) ، فأشار بيده أن لا يقول هذه الكلمة ، ثم قال[٤] : الله ، الله ، فأشار بيده أن يقــول ، لأن هذا المقام ليس بمقام النفي ، بل هو مقام الإثبات ، إذ ليس سواه ، و لا موجود غيره .

---

(١) في (ح) : إلا .

(٢) نقد النصوص ، الجامي : ١٨١ .

(٣) سورة الأنعام : ٩١ .

(٤) في (ح) : فأشار بيده .

ولهـــذا المعنى يصحّ لك أن تقول : لا موجود إلا الله ، ولا وجود سوى الله ، فوحدة الوجود بهذا[١] المعنـــى يصح ، فكلّ الأشياء عدم ونفي ولـــيس ، فقولـــك : (لا إلـــه [إلا] الله[٢]) نفي النفي ، وهو[٣] يوجب الإثـــبات ، وهو الله ، وهو مقام الاسم والصفة والوجه والظهور والتجلّي والإشراق واللمعان ، ولولا أنه يوجب الإثبات لما عرف الحق ، ولما عرف مجـــرّداً عن القيود والتعيّنات ، فيصير قولك : (لا إله إلا الله) سبباً لنفي عـــالمي الوجـــوب والإمكان ، ولّما أن نفي النفي يوجب الإثبات ، فيبقى الوجوب عند إزالة الممكنات .

چو ممكن گرد امكان برفشاند بجـــز واجب دگر چيزى نماند

وهذا معنى ما قال الشاعر بالفارسيّة :

گر نبودى نفي نفي إثبات در إثبات حق
باعث نفي دو عالم مي شد استثناى من

---

(١) في (ح) : لهذا .

(٢) لم ترد في (م) .

(٣) في (ح) : وهو لو لم .

قـــد اضطربت العقول وتشوّشت في معنى هذا البيت ، وما عرفوا وجــه الصـــواب ، وهذا الذي ذكرته ماخلج بخاطري الفاتر في حلّ هذا البيت ، لكنّه أعلى المعاني وأشرفها وأقواها وأعظمها . إلى هنا نقطع الكلام عن بيان معنى لا إله إلا الله ، وأين الثريّا من يد /م ٩٠ المتناول .

وهذه الكلمة أشرف وأعز من أن يعرف حقيقة ما فيها من الأسرار و العلوم والمعارف هذا الفقيرُ ، فلنقبض العنان ؛ لأني لست من فرسان هذا الميدان .

[قوله تعالى : ﴿ هو ﴾]



[﴿ هو ﴾ زائد ومخفف من لفظ الجلالة]

ولنشرع في بيان الأسرار المودعة في لفظ (هو) .

فنقول - واثقاً بالله الملك العلّام ، وجاعلاً نفسي هدفاً لسهام طعن أغالـيط الأوهام - إن لفظ (هو) مخفف[1] لفظ (الله) وازدياده ؛ لأنك إذا[2] حذفت الألف من (الله) يبقى (لله) ، فالمعنى : لله ملك السماوات والأرض وما بينهما، وإذا حذفت اللام مع الألف الثانية يبقى (له) ، أي: لـه ما في الوجود المطلق والمقيّد ، وإذا حذفت اللام الثانية يبقى (الهاء) وهو التخفيف ، وإذا أشبعت الهاء يكون (هو) ، وهو الازدياد[3] .

وأمـا سـرّ التخفيف ، فللتّنبيه على بساطة مسماه ، وتقدّسه عن الاعتـبارات ، وعن الملاحظات والإضافات ؛ لكونه موضوعاً بإزاء الهوية الصرفة ، مع قطع النظر عن تنـزّله إلى مقام وظهور ليظهر اسم الإضافة ، ولـذا قـيل إن (هـو) ليس باسم ، بل هو المسمّى مع قطع النظر عن ملاحظة الاسميّة .

---

(١) في (ح) : مخفظ .

(٢) في (ح) : لو .

(٣) انظر : تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٤/٢٤ .

و أما سرّ الازدياد ، فلكونه[١] أخصّ وأعلى من (الله) ، إذ يطلق عليه (الله) ، وهو الهويّة ، والله يطلق على الألوهية ، وأين هذا من ذاك ، فهــو أعــمّ الأسماء و الصفات ، فيكون أخصّها حتّى من لفظ الله ، ولذا قدمه[٢] الله سبحانه في قوله : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[٣] .

فقدم (هو) على (الله) إشعاراً بكونه أخصّ الأسماء والصفات ، وموضــوعاً لــلهويّة ، وقدم (الله) على الأحدية لكون (الله) أخصّ ، وقدم[٤] على الأحدية تقدّم الكل على الجزء ، كما ذكرنا سابقاً[٥] ، ولذا قيل[٦] : إنه تمام الأسماء الحسنى ؛ لأن الأسماء الحسنى تسعة وتسعون ، فإذا أضــفت إلــيها اسم (هو) إضافة المنير إلى الشعاع ، فيتمّ ويظهر بالجبل المحيط بالدنيا[٧] ، وهو القاف .

وإذا أضفت إليها أحد عشر ، يكون كما قال تعالى : ﴿ **هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** ﴾[٨] ، بالإشباع إذا جعلت لفظ (هو) مبتدأ والعليّ الكبير خبره ،

---

(١) في (ح) : فلكونها .

(٢) في (ح) : قدم الله في .

(٣) سورة الإخلاص : ١.

(٤) في (م) : أقدم .

(٥) انظر : ٢١٩/١ .

(٦) شمس المعارف ، البوني : ١٦٠ .

(٧) في (ح) : للدنيا .

(٨) سورة الحج : ٦٢ .

كمـــا قال تعالى : ﴿ **وَإنهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾[١] ، بدون الإشباع .

ومعـــنى هذه الإضافة أن (هو) كان في رتبة المسمّى أحَدَ عشر ، فإذا تنـــزّل إلى مقام الأسماء كان مائة وعشرة ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الْعَلِـــيُّ الْكَبِيرُ** ﴾[٢] ، يعني (هو) إذا تنـــزّل إلى مقام الأسماء ، كان اسمه العليّ الكبير ، لأن عدد /م ٩١ (عليّ) يطابق عدد (هو) بعد تنـــزّله ، لأن الآحـــاد إذا تنـــزل تكون عشرات[٣] ، والعشرات إذا تنـــزل تكون مئات [٤] ، فلفظ أحد عشر إذا تنـــزّل كان مائة وعشرة ، وهـــو عـــدد (عليّ) .

ولـــذا ورد في الحديث : (**إن الله تعالى اختار لنفسه أسماءً لغيره يدعوه بها ؛ لأنه إذا لم يدع باسم لم يعرف ، فأول ما اختار لنفسه العليّ**

---

(١) سورة الزخرف : ٤ .

(٢) سورة سبأ : ٢٣ .

(٣) في (ح) : عشرة .

(٤) في (ح) : مائة .

العظـــيم ، لأنـــه أعلى الأشياء /ح ٣٦ كلّها فمعناه الله ، و اسمه العليّ العظيم ، وهو أول أسمائه لأنه علا على كل شيء)[١] .

والمـــراد بـــ (الله) في قوله فمعناه (الله) هو لفظ (الله) ، مع ملاحظة (هو) ، فمعناه الله هو ، واسمه (العليّ العظيم) .

قال تعالى في هذه الآية الشريفة التي نحن بصدد شرحها وتفسيرها : ﴿ **وَهُـــوَ الْعَلِـــيُّ الْعَظِيمُ** ﴾[٢] فهو الاسم الأعظم ، لاشتماله على جميع مراتب الأسماء والمسمّيات و الأفعال والصفات ، لعمومه وشموله وانبساطه، لأنه حرفان : الهاء ، والواو .

[الهاء في ﴿ هو ﴾ والظهور]

أمـــا الهـــاء : فهي إشارة إلى تثبيت الثابت باللفظ والعبارة ، وإلى مراتب تجليات الثابت المثبت حسب اختلاف مراتب التجلّيات بالعدد .

---

(١) الكافي ، الشيخ الكليني : ١١٣/١ ، ك التوحيد ، ب حدود الأسماء /٢ . التوحيد ، الشيخ الصـــدوق : ١٩٢ ، ب٢٩ أسمـــاء الله تعالى ... /٤ . الاحتجاج ، الطبرسي : ١٩٣/٢ ، احتجاج الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

فالثابت المتجلّي مسمى المتجلى له بالاسم الأعظم ، الذي هو المتجلّي ، وأشار إلى أن الاسم والمسمّى واحد ، لا اختلاف بينهما أبداً ، باتّحاد صورة اسم الهاء مع صورة معناه[1] .

وأما الأول: فظاهر عند أهل الظاهر والباطن والصورة والحقيقة ، لأنك إذا قلت (ه) فقد أشرت إلى شيء ثابت متحقّق بعيد عن المنال .

وأما الثاني : فلأنك ما تشير إلى حقيقة الثابت وظهوره ليكون على نهج واحد ، بل تشير إلى جهة ظهوره لك بك .

والموجودات بالإجمال على قسمين : مطلق ، ومقيد .

[١ - الظهور للمقيد :] :

ولاشك أن ظهوره للمقيد بواسطة ظهوره للمطلق ، فيكون الظهور للمقيد واحداً ، لأن المقيد يقال للشيء الواحد المتعيّن بالتعيّنات المختلفة المتفاوتة ، فالمقيّد[2] واحد ، وهو أمر الله الوحداني الانبساطي ، الساري في جميع الأشياء على حسب قابليّاتها، وقدر استعداداتها[3] ، ﴿ **وَمَا**

---

(١) في (ح) : معناها .

(٢) في (ح) : فالتقييد .

(٣) في (ح) : استعدادها .

أَمْرُنَا إلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[١] ، و ﴿ **مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾**[٢] ، ﴿ **مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾**[٣] .

والقيود هي التعيّنات من المشخصات الستة : الكمّ ، والكيف ، والوضع ، والرتبة ، والجهة ، والزمان ، والمكان ، فالمقيد هو المجموع فإذا سلب عنه القيود ، وما يلازمها – أي في وجدانه – فيعرف الثابت ، ويشير إليه من حيث الإشارة ، /م ٩٢ قال عليه السلام : (**كشف سبحات الجلال من غير إشارة**)[٤] ، وهذا الظهور واحد إلا أن المرايا مختلفة ، كما لا يخفى .

[**٢ – الظهور للمطلق**] :

وأما في الوجود المطلق فالظهور متعدّد ؛ لأنه هو الكلمة التامّة التي خضعت لها السموات و الأرض ، و انزجر لها العمق الأكبر ، وهي لا تتحقّق ولا تظهر إلا بأربع مراتب :

الأولى : النقطة ، وهو الظاهر الباطن ، السرّ المقنّع بالسرّ .

---

(١) سورة القمر : ٥٠ .

(٢) سورة لقمان : ٢٨ .

(٣) سورة الملك : ٣ .

(٤) نور البراهين ، السيد الجزائري : ٢٢١/١ ، ب٢ التوحيد ونفي التشبيه /٣٧ . جامع الأسرار ، الآملي : ٢٨ .

الثانية : الألف ، وهي الباطن من حيث هو باطن ، وظاهر بأول الظهور .

الثالثة : الحروف ، وهي الظاهر و العماء ، والحجاب الأخضر .

الرابعة : الكلمة ، وهي الظاهر من حيث الظهور .

ولّما تمت الكلمة تظهر منها الدلالة ، فتتعلّق بقلب المخاطب ، فيظهر المعنى ، فالدلالة واحدة ولو كانت المعاني مختلفة ، فهو ليس إلا من جهة اختلاف أفهام المخاطبين ، كما لا يخفى ، فظهوره للنقطة غير ظهوره للألف ، وهكذا ظهوره للكلمة[1] غير ظهوره للحروف ، وهكذا ظهوره للدلالة غير ظهوره للكلمة .

أمّا الدلالة فهي واحدة ؛ إذ لا يجوز أن تكون في الكلمة الواحدة من جهة الوحدة دلالات مختلفة ، فالدلالة في هذا المقام هو الوجود القابل للتقييد والتعيين ، وهو ظهور جهات الموجودات من ربهم ، وهو الماء النازل من السماء ، والمداد الأول ، والدواة الأولى ، والنفس الرحماني الثانوي .

المقام الخامس من المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، والكلمة التامة هي السرّ المقنّع بالسرّ ، ومقام الظاهر والولاية المطلقة ، والأزلية الثانوية ، وعالم فأحببت أن أعرف .

---

(١) في (ح) : للألف .

المقـــام الرابع من المقامات والعلامات والحروف هي مقام الظاهر ومرتبة العماء .

المقـــام الثالـــث من المقامات والألف هي المقام الثاني من المقامات والعلامات ، والنقطة هي المقام الأول من المقامات .

فالمقامات خمسة ، وهي قوى الهاء ؛ لأن الهاء لها من العدد خمسة ، كمـــا لا يخفـــى عـــلى العارف الفطن ، وهذه الخمسة هي نهاية مقامات الموحّديـــن ، مـــن أول الوجود إلى آخره ، من الوجود المطلق إلى الوجود المقيّد ، ومن العقل إلى الثرى .

وإذا تأمّلت في هذه الكلمات ترى فيه من العجائب والغرائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، فظهر لك من هذا البيان أن المقامات – في قوله عليه السلام : /م ٩٣ (**فجعلتهم معادن لكلماتك ، ومقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان**)[1] – خمسة ؛ للدليل العقلي المستمدّ من الفؤاد والنور ، قال عليه السلام : (**اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله**)[2] .

وأمـــا الثالث ، فلأن ظهور الحق تعالى للخلق ليس بذاته ولا بأمر آخـــر ، وإلا لكان تكليفاً بما لا يطيقه الخلق ، فظهر للخلق بالخلق ، قال

---

(١) سبق تخريجه : ١/١٧٩ .

(٢) سبق تخريجه : ١/١٢٤ .

علـــي عليه السلام : (**لا تحيط به الأوهام ، بل تجلّى لها بها ، وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها**)[1] .

فــإذا كـــان الأمر كذلك ، فيكون الظاهر والظهور والمظهر شيئاً واحـــداً ، لا اختلاف بينها إلا باللفظ والعبارة ، فاتّحد الاسم والمسمى ، فصورة اسمه هي صورة مسمّاه ، وهذا من خواصّ الهاء كما لا يخفى .

[الواو في ﴿ هو ﴾]

وأما الواو : فهي الإشارة إلى الغائب عن درك الحواسّ ولمس الناس بـــاللفظ والعـــبارة ، وإلى مراتـــب الموجودات العارفين الذين غاب الحق ســـبحانه عـــن إدراك أبصارهم وبصائرهم بالقوى والعدد ، وإلى مراتب ظهورات اسم (العليّ العظيم) ، الذي هو اسم (هو) باعتبار تنـــزّله في المراتب الأسمائيّة والصفاتيّة بالشكل والصورة .

أما الأوّل : فظاهرٌ لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع فهو شهيد ، لا يحتاج إلى البيان .

وأمـــا الـــثاني : فلأن لها من العدد ستة ، وهي إشارة إلى مراتب الموجودات المقيّدة :

---

(١) نهـــج البلاغة ، الرضي : ١١٥/٢ ، الخطب /١٨٥ . الاحتجاج ، الطبرسي : ٣٠٥/١ ، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام .

الأولى : عالم العقول .

الثانية : عالم النفوس .

الثالثة : عالم الطبائع .

الرابعة : عالم الجواهر الهبائيّة .

الخامسة: عالم المثال البرزخ .

السادسة: عالم الأجسام الملكيّة .

وكل ذلك مراتب المجهوليّة ، التي هي نفس المعلومية ، وهو تمام الوجود من العالي إلى السافل .

وأما الثالث : فلأن لذلك الاسم العظيم ظهورات معنويّة مخفية مستورة في المراتب الكونيّة في الدنيا ، بحيث يدبّرهم من حيث لا يشعرون، لكن الخواصّ يعرفون ، والعوام يجهلون ، والمنافقين ينكرون ، حسب درجاتهم ومقاماتهم .

وبالجملة ليس له ظهور تام بحيث يعرفه كل أحد معرفة ظاهرية مقالية ، /ح ٣٧ وإن كانوا يعرفونه حالاً واستعداداً ، وفي هذا المعنى قال الشاعر :

دانش حق ذوات را[١] فطرى است

دانش دانش است كان فكرى است

---

(١) لم ترد في (ح) .

وإليه أشار قوله تعالى: ﴿ **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾[١]، هذا حال النشأة الدنيويّة المشار إليها بالواو الأوّل، وله ظهورٌ برزخيّ ، أي آخر الدنيا وأوّل الأولى ، وهذا الظهور وإن كان /م ٩٤ تامّاً حالاً ومقالاً، قابليّة واستعداداً ولساناً ، إلا أن هذا الظهور ليس بنفسه وذاته ، بل بحرف مـــن حروف نفسه ، واسم من أسماء ذاته ، وهو بعد في حجاب الخفاء في الزمرّدة الخضراء .

وهـــذا هو المشار إليه بلفظ الألف التي بعد الواو ، وإشعاراً وتنبيهاً عـــلى قـــيامه بالأمر ، وله ظهور تامٌ وبروز عامّ ، بحيث لا يجهله أحدٌ ، ويقرّون به باللسان والحال ، أو ينكرونه مع المعـــرفة ، قـــال الله تعالى : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[٢] .

وهـــذا الظهـــور إنما هو في الأولى [في جميع مراتب الأكوان][٣] الستة المشار إليه بالواو الثانية .

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) سورة النحل : ٨٣ .

(٣) في (ح) : وجميع المراتب والأكوان .

[تمام الوجود في ﴿ هو ﴾]

فتمّ الوجود بجميع مراتبه وأقسامه في لفظ (هو) فهو الاسم الأعظم ؛ إذ لا نعني بالاسم الأعظم إلا الاسم الجامع المحيط بكل الأسماء والصفات ، ولذا ورد عن عليّ عليه السلام أنه قال : (**رأيت الخضر في المنام قبل بدرٍ بليلة ، فقلت له : علّمني شيئاً انتصر به على الأعداء .**

فقال : يا هو ، يا من لا هو إلا هو .

فلمّا أصبحت قصصت قصّتها على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا عليّ ، علّمت الاسم الأعظم ، فكان على لساني يوم بدرٍ .

قال : و قرأ عليه السلام يوم بدر ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[1] ، فلمّا فرغ قال : يا هو ، يا من هو ، يا من لا هو إلا هو ، اغفر لي ، وانصرني على القوم الكافرين .

وكان يقول ذلك في يوم صفّين وهو يطارد ، قال له عمّار بن ياسر : يا أمير المؤمنين ، ما هذه الكنايات ؟ .

فقال : اسم الله الأعظم ، وعماد التوحيد لا إله إلا هو ، وآخر الحشر ، ثمّ نزل وصلّى أربع ركعات قبل الزوال)[2] .

---

(١) سورة الإخلاص : ١ .

(٢) التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٨٩ ، ب٤ تفسير (قل هو الله أحد) إلى آخرها /٢ . تفسير مجمع البيان ، الشيخ الطبرسي : ٤٨٦/١٠ ، سورة الإخلاص . عدة الداعي ، ابن فهد ◄

[﴿ هو ﴾ والعوالم] :

واعلم أن (الهاء) من عالم الجبروت أوّل الوجود ، و (الواو) من عـــالم الملـــك آخر الوجود ، فهو الجامع بين الأول والآخر ، فهو الأوّل والآخـــر ، والأوّل هو نفس الآخـــر ، والآخـــر هو نفس الأوّل ، واسم الله (العـــليّ العظيم) هو الأوّل والآخـــر ؛ لنصّ قـــوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾[1] ، على تفسير ظاهر الظاهر .

[الهاء قطب للواو] :

ولاشك أن الأول قطب[2] للآخر ، والآخر يدور على الأول دورة متوالـــية غير متوالية ، فالهاء قطبٌ للواو أي مركز له ، والواو يدور عليه ، ألا ترى صورة الواو ؟ فإنها على شكل الدائرة ، ألا ترى الامتداد الذي بين الهـــاء والواو عند التركيب (هو) ؟ ، وكلّ ذلك إشارات ورموز لأمور

◄ الحـــلي : ٢٦٢ ، ف في مـــا الاستشـــفاء بالدعاء والاسترقاء ، القسم الثاني ما يستدفع به المكاره/١٢. بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٣٢/٩٠ ، أبواب الأذكار وفضلها ، ب١١ الاسم الأعظم /٣ .

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) في (ح) : تطلب .

خفــيّة ، لا يعــثر علــيها إلا الراسخون في العلم ، أو من علّموه إياها ، وتعرف من هذا الشكل حقيقة الأمر في ذلك /م ٩٥ :



من عرف نفسه فقد عرف ربه
والمقام الرابع من المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان
السحاب المتراكم الثالث من المقامات والعلامات
المقام الثاني من المقامات



[السالك وكرات ﴿ هو ﴾] :

/ح ٣٨ اعلم أن السالكين إلى الله سبحانه في السفر من الخلق إلى الحقّ ، لمّا قطعوا مسافة هذه الدائرة العظيمة ، والكرة المجوّفة ، يصلون إلى المركـز الـذي هو (الهاء) ، وكلّ سالك يرى ألفاً ، فأوّل مايرونه هو الـنقطة الغـير المنقسمة في الجهات الثلاث ، فإذا دخلوا في ذلك العالم ، ووصلوا إليها ، ومدّوا النظر إليها ، يرونها خطاً ممتدّاً .

فـإذا تقدّموا يرون الخطّ دائرة ، والدائرة كرة ، فيرون الكرة نفس الدائرة ، والدائرة نفس المحور ، والمحور نفس المركز ، والمركز نفس القطب والـنقطة ، فالدائـرة هي النقطة ظاهرها في باطنها ، وباطنها /م ٩٦ في ظاهـرها ، وهـو معنى قول النبي ﷺ : (**التوحيد ظاهره في باطنه ، وباطـنه في ظاهـره**)[1] . فظهـر لك أن الهاء هو النقطة ، والنقطة هي الدوائر الخمس المذكورة ، فافهم .

وهذا هو تفصيل ما يشمل عليه لفظ (هو) من الكرات والدوائر، وكـل واحـد منها يرتقي ألف ألف ، وأجرينا هذا الترتيب على ترتيب

(١) معـاني الأخـبار : الشيخ الصدوق : ١٠ ، ب معنى التوحيد والعدل /١ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٦٤/٤ ، ك التوحيد ، ب٤ جوامع التوحيد/١٢ .

الكــون ، واقتضــاء الرتــبة ، فالكرة الأولية تدير ما تحتها من الكرات والدوائر، فهي بمنــزلة القطب لها ، و إنما جعلناه كرة لفقره ، واستدارته عــلى وجه مبدئه ، فمنتهى الكرات متعالية متعارجة ومتصاعدة إلى الكرة الأولية الطوليّة .

فهي حقيقة الحقائق ، وكونها كرة من جهة استدارتها على نفسها على خلاف التوالي ، ودوران نفسها عليها على التوالي .

ولا تظــن أن نفسها قطب ، وإنما هي كرة ، أو أنها شيء غيرها ، بل هو عينها ، وسنــزيد لك البيان في كيفية الكرة الأولية واستدارتها على نفسها [فيما بعد][1] ، عند قوله تعالى : ﴿ **الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾[2] ، في كيفيّة القيّوميّة[3] .

وهــذه الدائرة بخلاف الدائرة الأولى ، ولا تخالف بينهما عند من عرف اصطلاحنا ، ومعنى كلامنا ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) انظر : ٢/٣٠١ .

[الدوائر الخمس]

واعلم أن الدوائر الخمس أربعة منها شيء واحد ، لا اختلاف فيها إلا بالاعتــبار ، وإلا فالنقطة هي نفس الألف ، وهي نفس الحروف وهي نفس الكلمة ، والمجموع نفس النقطة .

وإن شئت قل إنها واحدة ، بلا اختلاف ، ولا تعدّد ، ولا تكثّر ، وهـــي قصبة الياقوت ، وتحمل عليه أحاديث الاتّحاد ، وإن شئت قل إنها مختلفة ولو بالاعتبار ، كما هو الأصل ، وتحمل عليه أحاديث الاختلاف ، والمرتـــبة الخامســـة هي الآخر ، وهي المقامات والعلامات ، والفرق بين المرتبتين من وجوه :

منها : أن المراتب الأربعة لا فاضل لها ، ولا يخرج منها إلى غيرها، وهي الاسم المكنون المخزون الذي استقرّ في ظلّه ، فلا يخرج منه إلى غيره، وأمّـــا المرتبة الخامسة ، فلها فاضل ورشح وشعاع وعرق وتنّزل ، وأمثالها من العبارات :

عباراتنا شتّى وحســـنك و احد   وكـــل إلى ذاك الجمال يشير[1]

---

(١) البرهان ، الزركشي : ١٦٠/٢ ، تنبيه فيما يجب أن يلاحظ عند نقل أقوال المفسرين .

وهـــي الرشح المذكور في حديث كميل[١] ، كما يعرف من تتبّع الأحاديث ، فافهم .

[الهاء وقوله ﷺ : (يا أبا الخمس ...)]

واعـــلم أن /م ٩٧ (الهـــاء) هي أبو الخمس المذكور في الدعاء ، وهو : (**يا أبا الخمس ، بحق الخمس ، وآباء الخمس ، وأبناء الخمس**) .

وقد سئل جماعة من العلماء عن ذلك ، وعجزوا عن جوابه ، وكذا الفقير أيضاً ، لكن الآن قد فتح الله على قلب هذا المسكين حلّه ، وهو أن أبا الخمس هو اليمين ، والخمس هو أولاده بحذف المتكرّر ، وآباء الخمس هي قوى (الهاء) ، وقد قال العالم عليه السلام : (**إن الله تعالى خلق ألف ألف آدم ، وألف ألف عالم ، أنتم في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين**)[٢] .

والمـــراد بـــالأب هـــو الأصل والمنشئ ، وهو عامّ شامل ، وأبناء الخمـــس، وهـــي الحجب الخمسة ، فافهم ، فهّمك الله وإيّانا من مكنون العلم.

---

(١) جامع الأسرار ، الآملي : ٢٨ .

(٢) التوحـــيد ، الشـــيخ الصدوق : ٢٧٧ ، ب٣٨ ذكر عظمة الله جل جلاله /٢ . الخصال ، الشـــيخ الصدوق : ٦٥٢ ، ب الواحد إلى المائة /٥٤ . التفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ٥/٦٠ ، ســـورة ق /١٥ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٨/٣٧٥ ، ك المعاد ، ب٢٨ ما يكون بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار /٢ .

إذا عرفت هذا القدر من الكلام ، يظهر لك من الأسرار والمعارف، ما لاعين رأت و لا أذن سمعت .

[قوى الهاء]

واعـــلم أن قـــوى الهـــاء أربعة منها طبعها طبع الإكسير ، المولود الفلســـفيّ ، فـــإن له طبع واحد ، وطبيعة واحدة ، وإن كان مركّباً من العناصـــر الأربعة ، التي هي الأبيض الغربي ، والأحمر الشرقي ، والأصفر الشـــرقي ، والأرض المقدسة ، فهي خمسة ؛ لأن الأبيض الغربي لا بدّ وأن يكون جزئين ، بخلاف الشرقيّين والأرض المقدّسة .

فـــإذا سقيت الأرض بثلاث سقيات ، ونفخت فيها - أي في كلّ ســـقى - بريح الجنوب تنبت النبات ، وهي الشجرة ، فلها طبيعة خاصّة خامسة واحدة لا تشابه تلك الطبائع ، وتناسب الطبائع الأربع ، وتفعل في كلّ طبيعة فعلها ، كما يعلمه أهل الفن ، وليس هذا إلا من جهة أن فيها تلك الطبائع الأربع ، فالكلّ في الوحدة ، أي يجمع الكل حقيقة واحدة .

لك أن تقول ، وله طبيعة واحدة أوله طبائع مختلفة ، فالاختلاف في عين الاتفاق ، والاتفاق في عين الاختلاف ، وســـنزيد لك البيان في هذا الباب[1] ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر : ٢/٨٥ .

[كرات الواو]

[١ - كرات الواو السبع] :

وإذا عرفت أن الهاء خمس دوائر ، أربعة منها هي النقطة ، وهي الكرة المصمتة ، التي هي نفس الكرة المجوّفة ، النفس الرحماني الأولي والخامسة هي الظهور والظاهر والمظهر ، والوصف والصفة والموصوف ، والمجموع[1] هي مقامات التوحيد وعلاماته وأركانه ، بل هي التوحيد على ما فصّلت لك سابقاً ، فاعلم أن الواو التي في (هو) هي كرة واحدة مجوّفة ، مركزها في هذه الدوائر الخمس المذكورة ، وهي تنقسم /م ٩٨ على سبع كرات متطابقات ، مقعّر كلّ فلك على محدّب الآخر ، والفلك السافل يستمدّ من العالي .

الأولى : كرة المعاني المجرّدة عن الصور الرقائقيّة والنفسيّة والمثاليّة والجسميّة والعرضيّة .

الثانية : الكرة الرقائقية البرزخيّة .

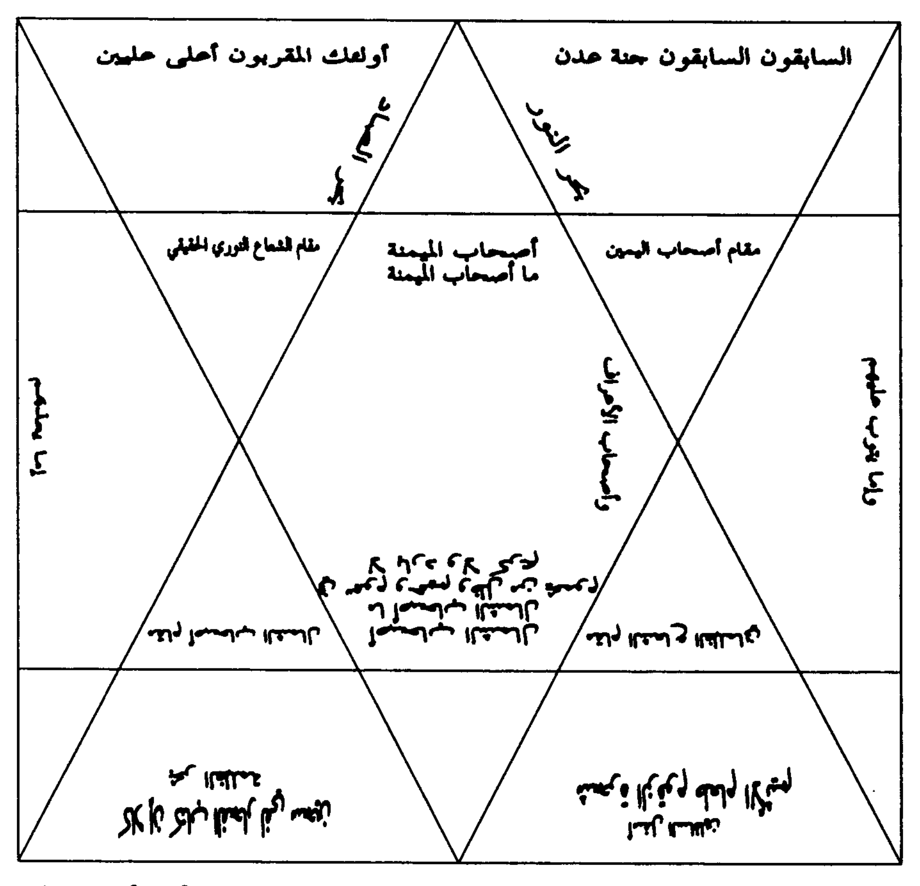
الثالثة : الكرة الصوريّة النفسية المجرّدة عن المادّة الجسميّة .

وهذه الكرة كرتان مخروطتان ، قاعدة كل منهما عند رأس الآخر ، وفيها مقامات المخروط الأول النوراني ، والثاني الظلماني ، وهذه الأولية

(١) لم ترد في (م) .

والأخـــروية بالشـــرافة ، وإلا فكل منهما ظهرا دفعةً في الوجود ، وهذا الاختلاف إنما نشأ من الإجابة والإنكار في يوم ألست بربكم قالوا بلى .

مقام العقل الكلي المتنـــزل إلى الصورة والخلق حين قوله تعالى أدبر أول من أجاب وإن كان أشرف الخلائق أجمعين



/ م ٩٩ — ح ٣٩ إنما كان الشكلان متداخلين ؛ لأن الله سبحانه بعد ما خلق طينة العلّيين ، وخلق طينة السجّين فامتزجتا ، ولذا كانتا متداخلين ، ﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّون ۞ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾[١] ، و ﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ** ﴾[٢] .

وهذا العالم كرة حقيقيّة ، إلا أن الكثرات أخرجته عن الكروية كما فهمت ، وهذه الكثرات وإن كانت في كل العوالم ، إلا أنها هنا ظاهرة ، وفي تلك العوالم خفيّة ، تراه شيئاً واحداً مع كمال الاختلاف .

ولذا قال تعالى : ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾[٣] ، في الكرة الأولية من الكرات السبعة ، فاختلفوا في الكرة الثالثة ، و قد سمّيناه في الاصطلاح الذر الثالث ، وقد نسمّيه الذرّ الثاني ، وقد نسمّيه الذر الأول ، على اختلاف الأنظار ، وتفاوت الأطوار ، كما لا يخفى على أولى الأبصار فافهم ، لكن لا تهتدي إلى هذه المطالب المذكورة في هذا المقام ، إلا إذا شافهناك أو فتح الله على قلبك أو سمعك ، وفقك الله تعالى لما يحبّ ويرضى .

---

(١) سورة المطففين : ١٨- ٢١ .

(٢) سورة المطففين : ٧ .

(٣) سورة البقرة : ٢١٣ .

الرابعة : كرة الطبائع .

الخامسة : كرة المادة الجسمانيّة الجوهر الهبائيّة .

وهي - مع قطع النظر عن المثال والصورة - جوهرٌ مجرد ، لا تدركها الحواسّ الظاهريّة ، تعد من عالم الغيب ، وهي موادّ الأجسام ، وقابلة النقش والارتسام .

وليس المراد من المادّة هنا المادّة مطلقاً ، إذ لا يصح ؛ لأن كل شيء مادته مساوقة لوجوده ، بل لا يتحقق ذلك الشيء إلا بالمادّة والصورة المناسبة له ، كما لا يخفى على العارف الفطن .

السادسة : كرة المثال و الصورة ، عالم هورقليا وجابلصا وجابلقا ، وعالم البرزخ ، ومأوى الأرواح المنتزعة من الأجسام العنصرية ، ومحدّب فلك الأفلاك الجسمانيّ على مقعره .

السابعة : كرة الأجسام مطلقاً .

والمراد بالجسم هنا الجسم الكلّي الواحد البسيط ، الجاري في الأجسام مطلقاً ، مثاله : الشجرة الواحدة - مع ملاحظة وحدتها - ثمّ الأصول والأغصان والأوراق والأثمار .

وهكذا هنا ، فالجسم بما هو جسم شيء واحد كرة واحدة ، فاختلف بالعلوّ و السفل ، فأول الأجسام محدّد الجهات ، وهي أول الأفلاك ، وآخرها فلك القمر ، وآخر الأجسام الأرض (وليس بعد عبّادان

قرية)[1] ، وهذا تمام الوجود المقيّد ، الكرات الواويّة ، لم تحسب البرزخ ، بمعنى أنك تحسبه في أحد الطرفين كما لا يخفى ،/م ١٠٠ وهو قوى الواو .

[**٢ – كرات الواو الثلاث**] :

واعلم أن في الواو ثلاث كرات أخر، بملاحظة زبرها وبيناها :

الأولى : كرة الواو الأولى .

الثانية : كرة الواو الثانية .

الثالثة : كرة الألف المتوسطة ، وهي علامة القيام ، وهي الواقف بين الطتنجين ، البرزخ بين العالمين ، وهي شهر رجب المرجب ، ولنقبض العنان ، فللحيطان أذان ، ونعما قال :

أخـــاف عليك من غيري ومني ومـــنك ومن زمانك والمكان

فلـــو أني جعلـــتك في عـــيوني إلى يـــوم القـــيامة ماكفـــاني

إذا فهمـــت هذا المطلب تكون كالإكسير ، لكني أوصيك بالحفظ والكتمان ، حفظك الله وإيانا من شر الشيطان .

---

(١) مجمع الأمثال ، الميداني : ٢٥٧/٢ ، حرف اللام ، المولدون .

[﴿ هو ﴾ والظاهر والباطن]

واعـــلم أن (هو) هو الأول والآخر ، فالهاء هو الأول والواو هو الآخـــر ، والهاء هو الباطن والواو هو الظاهر ، والهاء هو الظاهر والواو هو الباطن ، والواو هو الأول والهاء هو الآخر ، والهاء هو الأول والآخر والواو هو الآخر و الأول ، وأوليتهما نفس آخريتهما ، وظهورهما نفس بطونهما.

فالهو هو الغيب والشهادة ، فالهاء هو الغيب ، والواو هو الشهادة ، وكذا بالعكس .

أما أن الهاء هو الأول : أمّا من جهة اللفظ فكما عرفت من أنها من أقصى الحلق ، وهي مقام الحروف من عالم الجبروت ، وأما من جهة المعنى فكمـــا عرفت أيضاً من أنها الإشارة إلى الهويّة الأولية ، التي هويّة كلّ ذي هوية بفاضل ظهور هويّته ، وهو المسمّى وما سواه الاسم ، فهو الأول .

وأما أن الواو هو الآخر : أمّا من جهة اللفظ فلما قلنا إن الواو /ح ٤٠ شفويّة ، وهي مقام الحروف من عالم الملك ، وهي آخر العوالم ، وأمّا مـــن جهة المعنى فلما عرفت من إنها الإشارة إلى الوجود المقيّد على جهة الوحدة والبساطة ، كما لا يخفى .

وأمّـــا أن الهاء هو الباطن : فمعلوم من جهة اللفظ والمعنى ؛ لأنها السرّ المقنع بالسرّ ، والمجلّل به .

وأمّا أن الواو هو الظاهر : فمعلوم أيضاً من جهة اللفظ والمعنى ، لا يحتاج إلى البيان .

وأمّا أن الهاء هو الظاهر : لكونها في أول مرتبة الظهور بعد مرتبة الخفاء والعماء ، وهي المحبّة التي قال تعالى : (**كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**)[1] ، وهي صبح الأزل الطالع من /م ١٠١ ظهور شمس الأزل .

وأما أن الواو هي الباطن ؛ لأنها مقامات التنزّل ، ومراتب المجهوليّة، فقد خفى فيها جميع مراتب الهاء ، فبطن لكمال ظهوره .

وأما إن أوّليّتهما نفس آخريّتهما :

أمّا في الهاء : فظاهر في اللفظ والمعنى :

اى تو مخفى در ظهور خويشتن قرنت
اى رخت يسنهان به[2] نور خويشتن

وأمّا في الواو : أمّا في اللفظ ، فلأن الواو أوّلها وآخرها واحد ، وأمّا في المعنى ، فلأن الآخرة هي الأولى ، والأولى هي نفس الآخرة ، ومن هنا تعرف السرّ اللفظي من اتصال الواوين في الشكل ، وانفصالهما في

---

(١) سبق تخريجه : ٣٠٢/١ .

(٢) لم ترد في (ح) .

الترتيـــب ، وفيه سر خفيّ لا يعثر عليه إلا العارفون البالغون مقام المعرفة ، فافهم .

[لفظ الجلالة والزبر والبينات]

واعلم أن بيّنات الألف القائم في (الله) هو زبر الألف المبسوط ، الـــذي هي نفس الألف القائم ، وهي اليمين الذي هو تنـــزّل (هو) في مرتـــبة الأسمـــاء ، وهـــو (العليّ العظيم) الذي في هذه الآية الشريفة في آخـــرها، واللامان والهاء في (الله) أي بيّناهما هي زبر الألف القائم ؛ لأن اللامـــين عددهمـــا ثمـــانون ، والألـــف اثنان ، أوّلهما الآحاد ، وثانيهما العشرات، فيكون الحاصل اثنين وتسعين ، وهو زبر الألف القائم ، إنما بيّنا لخفائه ، والأول لا خفاء فيه ، كما لا يخفى .

احفظ هذه المراتب ، واكتمها ولا تبرزها عند غير أهلها ، لما قال العالم عليه السلام : (**ما كلّ ما يعلم يقال**)[1] .

---

(١) سبق تخريجه : ١/١٣٥ .

[﴿ هو ﴾ ومقام الجامعية]

وإذا عرفت هذا القدر من الكلام تعرف أن (هو) هو الاسم الأعظم الأعلى ، الذي كلّ الأسماء عنه ومنه وإليه وبه ، ومنه وجدت الموجودات ، وهو أول مظهر بأول ظهور الذي هو نفس المظهر ، وهو المسمّى والاسم عين المسمّى ، وهو (**الاسم الذي ليس بالحروف مصوّت، ولا باللفظ منطق ، ولا بالشخص مجسّد ، ولا باللون مصبوغ، برئ عن الأمكنة والحدود والأعراض**)[1] .

لأن كلّ ذلك مما أحدثها ما يعبّر عنه بالهاء ، وأجزاء لما يعبّر عنه بالواو ، والواو هو الكلّ وهو غير أجزائه ، فليس بلفظ ، ولا شخص ، ولا لون ، ولا حرف ، ولاغير ذلك ، والهو اسم للمجموع ، أي المحدث والمحدث .

لا يقال : إن (هو) لفظ ، والمفروض أن ذلك الاسم ليس باللفظ منطق .

لأنا نقول : إن /م ١٠٢ (هو) ليس ذلك الاسم ، لأن الاسم اللفظي هو المظهر للاسم المعنوي ، الذي هو الأصل على الحقيقة ، وهذا

---

(١) اقتباس من قوله عليه السلام : (**إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير مصوت ...**) ، وقد سبق تخريجه : ٢٥٣/١ .

اللفـــظ لا اعتناء بشأنه ، نعم له تأثير باعتبار مناسبته لذلك الاسم ، وهو ليس بجسم ولا لفظ ، ولا معنى ، كما لا يخفى على العارف الفطن .

فجعـــل الله سبحانه ذلك الاسم على أربعة ، وأفقد واحداً منها ، وهـــو المكـــنون المخزون ، وهذا المفقود هو عوالم الهاء ، أربعة منها ، أي النقطة والألف والحروف والكلمة ، والخامس لا نتكلّم فيه أبداً إن شاء الله تعـــالى . والـــثلاثة الظاهرة هي ما يعبّر عنها بحرف الواو ، وهو الكرات الـــثلاث الأصـــلية - أي كرة المعاني ، وكرة الصورة ، وكرة الأجسام - على ما فصّلت لك سابقاً[1] .

وخلـــق لكـــل واحد منها أربعة أركان ، وهو ركن الخلق والحياة والـــرزق والموت ، فيكون اثني عشر ، بضرب الثلاثة في الأربعة ، ثمّ خلق لكـــلّ مـــنها ثلاثين اسماً ، فيكون ثلاثمائة وستّين ، بضرب الاثني عشر في الثلاثين ، كما ذكرنا لك سابقاً[2] ، وسنفصّله لا حقاً[3] - إن شاء الله - فهـــو الجامع لجميع ما في الوجود المطلق والمقيّد ، وكلّ شيء تحته ، وكل موجود تحت حيطة تصرّفه ، وهو الذات ، وذات الذوات[4] ، والذات في الذّوات للذات .

---

(١) انظر : ٢/٧٦ .

(٢) انظر : ١/٢٥٥ .

(٣) انظر : ٣/٢١ .

(٤) في (ح) : الذات .

فهويّة كل ذي هويّة من فاضل ظهور هويّته ، وهويتّه بهويّة نفسها، فبها وإليها تدور كل الأفلاك والكرات ، وهي تدور على نفسها ، ونفسها تدور عليها ، فاستدارة جميع الأشياء عليها ، واستدارتها على نفسها دورة لا على التوالي ، واستدارة نفسها عليها استدارة متوالية على التوالي .

ومعـــنى ذلك أن الله تعالى جعلها ممدّاً لجميع الموجودات ، وأمدّها بها نفسها لا بما يغايرها ، ولذا يشار إليها بالكاف المستديرة على نفسها ، مثاله السراج ، فإنه عرش النار ، ومستويها بالرحمانيّة ، فظهرت بالسراج ، وأعطت كل ذي حق من الأشعة حقّها ، وساقت إلى كلّ مخلوق رزقها .

فالســـراج هو خزانة النار ، يعنـــي جعلته خزانة للأشعة ، فتستمد الأشـــعة مـــنها بالسراج ، وجعلت السراج خزانة لجميع الفيوضات التي للأشعة ، وجعلته لنفسه أيضا ، فيستمدّ السراج من النار بنفسه ، فالأشعة تســـتدير على السراج على خلاف التوالي ، والسراج يستدير على نفسه أيضـــاً على خلاف التوالي ، ونفسه تدور عليه على التوالي ، فافهم فهّمك الله وإيانا من مكنون العلم ومخزون السرّ /م ١٠٣ بالنبيّ وآله الطاهرين .

هذا مجمل الكلام في تحقيق معنى (هو) ، ونفصّل فيما بعد[١] عند قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾[٢] .

---

(١) لم يتكلم المصنف تدّسّ عن ذلك ؛ لأنه لم يُكمل الكتاب .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

وقــد ذكر ابن سينا[١] - في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٢] - كلاماً لا بأس بذكره هنا ، وإن كان على الظاهر بينه وبين ما ذكرنا يوهم التنافي والتناقض ، لكن عند التحقيق لا منافاة بينهما ، قال:

((الهو هو المطلق ، هو الذي لا يكون هويّته موقوفة على غـــيره ، [فإن كل ما كان هويته مستفادة من غيره] فهو مستفاد منه ، فمتى اعتبر غـــيره لم يكن هو هو ، وكل ما كان هويّته لذاته - سواء اعتبر غيره أو لم يعتبر - فهو هو ، لكن كل ممكن فوجوده من غيره ، وكلّ ما كان وجوده من غيره فخصوصيّته وجوده منه ، وذلك هو الهويّة ، فإذاً كلّ ممكن فهويّته مـــن غيره ، والذي يكون هويّته لذاته هو واجب /ح ٤١ الوجود))[٣] . انتهى .

أقول - ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم - أمّا هذا الكلام قشـــريّ ظاهـــريّ ، وهـــو على ظاهره صحيح لا غبار عليه ، وأما على

---

(١) الشيخ الرئيس : أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا ، ولد في عام (٣٧٠ هــ) ، وتوفي عـــام (٤٢٨ هــ) ، برع في كثير من العلوم ومنها الفلسفة والطب والمنطق . له كثير من الكتب منها : الشفاء والنجاة والإشارات والمباحثات والمبدأ والمعاد والتعليقات .

انظر : روضات الجنات ، الخونساري : ١٥٩/٣ . شذرات الذهب : ٢٢٤/٢ . سير أعلام النبلاء ، الذهبي : ٥٣١/١٧ .

(٢) سورة الإخلاص : ١ .

(٣) تفســـير سورة الإخلاص ، ابن سينا : ١٦ . نقلاً عن شرح توحيد الصدوق ، القمي : ٢/ ١١٢ .

الحقـــيقة، فـــإن كـــان مراده هو ما ذكرنا وبيّنّا وفصّلنا وأجملنا في هذه الكـــلمات في هـــذه الأوراق ، فحقّ لا مريّة فيه ، ولاشك يعتريه ؛ لأن الممكـــن الفقـــير لا يقدر على شيء ، ولا يصل إلى شيء ، وما أوتي من العـــلم إلا قلـــيلاً ، فكيف آثاره وأفعاله ، و أفهامه وكلماته ، وإشاراته وعباراته ، نعم ما قال ابن أبي الحديد[1] :

فـــيك يا أُعجوبة[2] الكون غـــدا الفكـــر كلـــيلا
أنـــت حـــيّرت ذوي اللبّ وبلبلـــــت العقـــــولا
كلّمـــا أقـــدم فكـــري فـــيك شـــبراً فـــرّ ميلا

يـــا أخـــي - وفّقك الله ، وأعانك على الطاعة والتقوى ، وجعل آخـــرتك خيراً من الدنيا – لا تلتفت إلى من يدّعي معرفة الذات - تبارك وتعـــالى - ويتكلّم فيها ، واحثُ التراب في فيه ؛ لأنه جاهل لا يعـــرف شـــيئاً ، لو كان له معرفة وديانة لا يدّعي هذه المرتبة ، انظر إلى كلمات

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٥١/١٣ . مجمع البحرين ، الطريحي : ٤٢٣/٣ .
(٢) في (ح) : أغلوطة .

الأنبياء وكلام فخرهم وسيدهم : (**ما عرفناك حق معرفتك**)[١] ، (**أنا لا أحصي ثناء عليك /م ١٠٤ أنت كما أثنيت على نفسك**)[٢] .

وقال عليه السلام[٣] :

اعتصام الورى بمغفرتك ... عجز الواصفون عن صفتك

تــب علينــا فإننا بشر ... مــا عرفناك حقّ معرفتك

قال ابن أبي الحديد ، ونعم ما قال[٤] :

مــن أنت يا رسطو ومن ... أفــلاط قبلك يا مبلــد

ومــن ابن سينا حين قرّر ... مــا بنيت لــه وشيّــد

ومــا أنــتم إلا الفــراش ... رأى السراج وقد توقّــد

فدنــا فأحــرق نفســه ... ولو اهتدى رشداً لأبعــد

---

(١) عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي : ١٣٢/٤ ، الخاتمة ، الجملة الثانية /٢٢٧ . بحار الأنــوار ، العلامة المجلسي :٢٣/٦٨ ، ك الإيمان و الكفر ، ب٦١ الشكر/١. نقد النقود ، الآملي : ٦٣٣ .

(٢) سبق تخريجه : ٣٠٦/١ .

(٣) حق اليقين ، شبر : ٤٦/١ . علم اليقين ، الكاشاني : ١٥٨/١ . نور البراهين ، الجزائري : ٣٥/١ .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٥٢/١٣ .

يا نور ، يانور النور ، يانور كلّ نورٍ ، يا مدبّر الأمور ، اهدنا من عـــندك ، وأفض علينا من فضلك ، وانشر علينا من رحمتك ، وأنزل علينا من بركاتك ، اللهم أخرجني من ظلمات الوهم ، وأكرمني بنور الفهم ، و لا تــزغ قلــبي بعـــد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب.

إلى هـــنا نقطع الكلام ، لأن المقام لا يقتضي أزيد من هذا ، وكم مـــن المعـــارف والأسرار المودعة في لفظ (هو) وكتمته ؛ لعدم احتمال الناس، وللخوف من فرعون وملأهم ، وتطويل مملّ ، ولاحول ولا قوة إلا بـــالله العليّ العظيم والحمد لله رب العالمين [و الصلاة والسلام على خير المرسلين محمد وآله وأصحابه الأكرمين الأطيبين][1] .

---

(١) لم ترد في (ح) .



[**قوله تعالى** :

﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾]



[قوله تعالى ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾]

ولما فرغنا عن بيان كلمة التوحيد نشرع في تفسير الآية .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **الْحَيُّ الْقَيُّوم** ﴾[1] .

أقول – ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم – : إن الكلام في هذين الاسمين الشريفين من وجوه :

الأول : في الحيّ .

والثاني : في القيّوم .

والثالث: في المجموع المركّب .

والرابع : في معنى كونهما الاسم الأعظم .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

[الوجه الأول

الكلام في ﴿ الْحَيُّ ﴾]



[الوجه الأول
الكلام في ﴿ الْحَيُّ ﴾]

[﴿ الْحَيُّ ﴾ والصفات الذاتية]

أما الأول : فاعلم أن الحيّ هو الصفة الذاتيّة لله تعالى ، إذ لا يصحّ سلبه عنه سبحانه ، وقد عرفت أن الصفة الذاتيّة هي عين ذات الحقّ ﷻ بلا فرق ، فالذات هي الصفة والصفة هي الذات ، وإلا هل هما قديمان ، أو الصفة حادثة ؟ .

والأول باطل ؛ لأن تعدد القدماء /م ١٠٥ عند الموحّدين المسلمين باطل بالأدلة القطعيّة المذكورة في الكتب الكلاميّة والحكميّة .

والثاني لا يمكن أن يعقل ؛ لأن الصفة الذاتيّة هي الثابتة في مرتبة الذات ، وهي قديمة ، فلا يصحّ فرض ثبوت الحدوث فيها ، لأن الحدوث في الإمكان ، والقدم في الأزل والوجوب ، وبينهما بون بعيد ، لا يترل القدم إلى الحدوث ، ولا يصعد الحدوث إليه ، فلا يتصوّر كون الصفة الذاتيّة حادثة ، فيجب أن تكون قديمة .

والكثرة عندنا منتفية ، فإذاً هو الصفة والصفة هو ، فإذاً تقول هو الحيّ ، وهو الحياة ، لا فرق بين المبدأ والمشتقّ في هذا المقام إلا بالعبارة ،

فـــإذاً لا نعـــرف حقـــيقة الحياة إذ جعلناها صفة ذاتيّة ، ولا نفهمها ولا ندركهـــا ، ولا نعقـــلها ، ولا نتصـــوّرها ، ولا نتخيّلها ، ولا نحسّها . (**الطـــريق مســـدود ، والطلب مردود**)[١] ؛ لأن معرفتها يستلزم معرفة الذات ، بل هي معرفة الذات .

[الحياة الذاتية والفعلية]

فنقول : إذا عرفنا الحياة الذاتيّة فقد عرفنا ذات الحق -جل جلاله- لمـــا سبق من أن الصفة هي الذات ، لكن معرفة الذات ممتنعة فمعرفة الحياة ممتـــنعة ، فإذاً تعرف أن إطلاق الحياة على الواجب والممكن ، كقولك الله حـــيّ ، وزيـــد حيّ ، من قبيل الاشتراك اللفظي لتباين الحقيقتين[٢] كما فهمـــت ســـابقاً[٣] ، لكن لمّا كانت الصفات التي نقول إنها ذاتيّة كالعلم والســـمع والبصـــر والحياة وأمثالها على نحوين ، نحكم على نحو بالذاتيّة ، وانقطاع الفهم عن إدراكه ومعرفته ، ونحكم على نحو بالفعليّة ، ووصول الفهم إلى إدراكه ومعرفته .

---

(١) سبق تخريجه : ١/١٧٢ .

(٢) في (ح) : الحقيقة .

(٣) انظر : ١/١٧٢ .

والأول : مـــثل ما إذا قلت عالم ولا معلوم ، سميع ولا مسموع ، بصـــير و لا مبصر ، قادر ولا مقدور ، حيّ ولا حيّ ولا ميّت[١] ، وهذه الأوصـــاف ذاتـــيّة ، عـــين ذاته تعالى بلا تفرقة بين الذات والصفات ؛ لانقطاعها عن الارتباط والإضافة والإسناد ؛ لأن الارتباط يستلزم المناسبة والمشـــابهة بين المرتبطين والمنتسبين ، و ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[٢]، ولا نعرف حقيقة هذه الصفات ولا معانيها ولاصورها أبداً بوجـــه من الوجوه ، وهي قديمة منقطعة عن الحوادث ، لا مثال لها فيها ، ولا صورة أصلاً وقطعاً .

والثاني : مثل ما [إذا] قلت : عالم إذ معلوم ، وقادر إذ مقدور ، وسميع إذ مسموع ، وبصير إذ مبصر ، وأمثال ذلك ، وهي حينئذ صفات أفعال ، انتهى إليها جميع التعلّقات ، وكلّ /م ١٠٦ الأوصاف التي اتّصف بها الخلق من هذه ، فهي مثال وظلّ وصورة من هذه الأوصاف ، إذ بالعلم أوجد الحوادث ، وبالقدرة أقام المقدورات .

---

(١) قـــال الإمام الصادق عليه السلام : (**لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدرة ذاته ولا مقدور**) . الكافي ، الكليني : ١٠٧/١ ، ك التوحـــيد ، ب صـــفات الذات /١ . التوحيد ، الصدوق : ١٣٩ ، ب ١١ صفات الذات وصفات الأفعال /١ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

فالعلم والقدرة اللتان في الخلق هما مثال لمؤثّرهما ومبدئهما ، ضرورة أن الأثـــر عـــلى هيئة صفة المؤثّر ، وكذا السمع والبصر والحياة ، وأمثال ذلك، وهو معنى ما قال العالم عليه السلام : (**فألقى في هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله**)[1] .

[معرفته تعالى بطريق الظلية]

ولمّا كان الشيء لا يتجاوز مبدأه ، فغاية معرفته معرفة تلك الأمثلة بطـــريق الظلّـــية لا الأصلية ، فيحكم على مؤثّره بالعلم والقدرة والحياة والســـمع والبصـــر لما عرف نفسه ، ووصل المثال الملقى في هويّته ، لكن العـــارف والمعـــروف والمعرفة كلّها حادثة ، لا دخل فيها للقديم ، إلا أنه تعـــالى أجاز ذلك لنا ، وقبل /ح ٤٢ عنّا ، لأنه لا يكلّفنا إلا بقدر وسعنا وطاقتنا .

---

(١) مناقـــب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : ٣٢٧/١ ، ب درجات أمير المؤمنين ، ف في المسابقة بالعلم . عيون الحكم والمواعظ ، الواسطي : ٣٠٤ ، ب١٤ ما ورد من حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حرف الصاد ، ف١ باللفظ المطلق /٥٤١٤ . الصراط المستقيم ، العاملي : ٢٢٣/١ ، ب٧ في شيء مما ورد في فضائله عليه السلام ... ، ف١٩ .

انظـــر إلى الأشـــعة المحدثة من النار بتوسّط السراج ، وهل تعرف السراج ؟ ، وهل يمكن أن تصف مؤثّرها إلا بالإضاءة[١] والإنارة ؟ ، لأنها غاية معرفتها ، ومنتهى علمها .

مع أنك تعلم وتقطع بأن مؤثّرها بريء عن هذه الصفة التي تصفها الأشعة بها ، إذ ليس في النار وحدها إضاءة ولا إنارة ، ولو أن النار تكلّف الأشعة بمعرفة نفسها كما هي ، يكون تكليفاً بما لا يطاق ، وأنت تلومها وتوبّخها على هذا الفعل الشنيع القبيح .

ومـــن هـــذا المثال تعرف معنى قوله تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِــزَّةِ عَمَّــا يَصِفُونَ ۞ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[٢] .

ولذا قال العالم عليه السلام : (**كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم**)[٣] .

فـــإذاً يمكنـــنا أن نتكلم في أوصافه تعالى ونعرفها ، إذ لها خلقنا ، ولولاهـــا ما وجدنا ، وهي ثمرة وصفه لنا ، كلّم الناس على قدر عقولهم ، ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾[٤] .

---

(١) في (ح) : الإضافة .

(٢) سورة الصافات : ١٨٠- ١٨٢ .

(٣) سبق تخريجه : ٢٧٣/١ .

(٤) سورة إبراهيم : ٤ .

[الحي والصفات الجلالية والجمالية]

فنقول : — ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم — : إن الحياة هي ضد الممات ، فكل نقص في الحقيقة موت ؛ لأنه فقدان صفة الكمال ، والفقدان طبعه البرودة واليبوسة ، وهي طبع الموت ، ولأن النقص ظلمة ، وهي الموت ، لأن الظلمة عدم النور .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ ﴾[1] : أنه العالم القادر السميع البصير المدرك ، الرحمن الرحيم ، الخالق البارئ المصوّر ، المقدّر المدبّر ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له /م١٠٧ كفواً أحد .

وبالجملة هذا الاسم شامل لجميع الأسماء ، والصفات الكماليّة ، التنزيهيّة التقديسيّة ، والإضافية الارتباطيّة ، والخلقيّة الفعليّة ، وهو تفصيل (هو) وتفصيل أساميه ، ولعمري إنه شامل لجميع الصفات الجلاليّة ، والسمات الجماليّة ؛ لأن المراد بالحياة في هذه الآية الشريفة الحياة الكاملة التامّة العامة ، التي لا حياة فوقها ، كما يشهد به سياق الكلام ، لمن عرف المرام ، ولام الجنس ، فإذا كان كذلك فلا يعتريه موت أصلاً بوجه من الوجوه ، فليس بجاهل ؛ لأن الجهل البسيط فقدان ، والجهل المركّب ظلمة.

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

قال تعالى : ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ** ﴾ أي ظلمات الجهل ﴿ **لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** ﴾[١] .

قال العالم ﵇ : (**همج رعاع أتباع كل ناعق ، يميلون مع كلّ ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق**)[٢] .

وليس بعاجز ، وليس بظالم ، وليس بجسم ، وليس بمركب ، وليس بجوهـــر ، وليس بعرض ، وليس بكلي ، وليس بجزئي ، وليس بعرضي ، وليس بجنس ، ولا فصل ، ولا له أب ولا أم ، ولا في زمان ولا في مكان ، ولا في جهة ، ولا له وضع ، و لا معنى ولا لفظ ، وأمثال ذلك من صفات الخلـــق ، فلا تكون الحياة كاملة إلا إذا نفيت عن الحق تعالى جميع صفات الخلـــق ؛ لأن صـــفات الخلق صفات الافتقار والاحتياج ، وصفات الحق صفات الغناء والقدرة ، فلا يصدق أحدهما على الآخر ، كما لا يخفى على أولى البصائر ، و ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾[٣] .

فهو الحي الباقي الجامع لجميع الصفات الكماليّة ، والنعوت الجلاليّة والجماليّة ، فهو بيان أسامي (هو) ، وبعبارة أخرى هو تفصيل تنـــزّلات

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٢ .

(٢) سبق تخريجه : ٢٢٨/١ .

(٣) سورة القصص : ٨٨ .

(هـــو) في مرتـــبة الأسماء ، فكان (العليّ العظيم) ، كما في آخر الآية الشـــريفة ، فذكر في هذه الآية الشريفة جميع الأسماء الحسنى ، ومسمّياها بالإشارة والتلويح ؛ لأنها أبلغ من التصريح .

[حياته تعالى وحياة خلقه]

اعـــلم أنـــه قيل : (لقائل أن يقول : لما كان معنى الحيّ هو الذي يصـــح أن يعـــلم ويقدر ، وهذا القدر حاصل لجميع الحيوانات ، فكيف يحسن أن يمدح الله تعالى نفسه بصفة مشاركة فيها أخسّ الحيوانات .

والذي في هذا الباب أن الحيّ في اللغة ليس عبارة عن هذه الصحّة، بل كل شيء كان كاملاً في جنسه فإنه يسمّى حيّاً ، ألا ترى أن عمارة /م ١٠٨ الأرض الخربة تسمّى إحياء الموات ؟ ، وقد[١] قال تعالى : ﴿ **فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾[٢] .

والصفة المسمّاة في عرف المتكلّمين إنما سمّيت بالحياة ؛ لأن كمال الجســـم أن يكون موصوفاً بتلك الصفة ، وكمال حال الأشجار أن يكون مورقة خضرة ، فلا جرم سمّيت هذه الحالة حياة .

فثبت أن المفهوم الأصلي من لفظ (الحيّ) كونه واقعاً على أكمل حاله وصفاته ، وإذا كان كذلك ، فقد زال الإشكال ؛ لأن المفهـــوم من (الحيّ) هو الكامل ، ولما لم يكن ذلك مفيداً بأنه كامل في هذا دون ذلك

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) سورة الروم : ٥٠ .

، دلّ على أنه كامل على الإطلاق ، والكمال على الإطلاق أن لا يكون قابلاً للعدم لا في ذاته ، ولا في صفاته الحقيقيّة ، ولا في صفاته النسبيّة الإضافية .

ثمّ عند هذا ، إن خصّصنا القيّوم بكونه سبباً لتقويم غيره فقد زال الإشكال ؛ لأن كونه حيّاً يدلّ على كونه متقوماً[١] بذاته ، وكونه قيوماً يدل على كونه مقّوماً لغيره .

إن جعلنا القيوم اسماً يتناول المتقوّم لغيره كان لفظ القيّوم مفيداً فائدة لفظ الحيّ مع زيادة ، فهذا ما عندي)[٢] .

ولقائل أن يقول[٣] : الحياة حقيقة صفة مستلزمة لاتّصاف محله بالعلم والقدرة ، ولمّا كان العلم والقدرة على أنواع متفاوتة بالكمال والنقصان ، والله تعالى متّصف بأكمل الأنواع حسن مدح نفسه بهما[٤] ، وإن كان غيره يشاركه فيهما في مطلقهما .

فكذلك الحياة على أنواع متفاوتة ، والله تعالى متّصف بأكمل أنواعها ، وهي الحياة المستلزمة لأكمل أنواع العلم والقدرة ، والبقاء الدائم الذي لا سبيل عليه للفناء ، فحسن مدح نفسه بهما .

---

(١) في (م) : متقوياً .

(٢) تفسير الرازي ، الرازي : ٨/٧ .

(٣) انظر : تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٧٩/٤ .

(٤) في (م) : لهما .

وأما إطلاق الحياة في غير الذي يصح أن يعلم ويقدر فبطريق المجاز، فإن الأرض الخربة لما اتصفت بصفة[1] تقتضي الزرع والغرس أو البناء فيها التي هي كمالاتها ، سمّيت تلك الصفة حياة ، وإحداث تلك الصفة فيها إحياء بطريق المجاز . انتهى .

[مراتب الحياة]

أقول - لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم - : إن إطلاق الحياة على ما قرّرنا لك سابقاً على أنواع الموجودات كلّها ، على سبيل الحقيقة ، لكنه ليس على الحقيقة الأولية ، بل على الحقيقة بعد الحقيقة ؛ لأن الحياة هي ضدّ الممات /ح ٤٣ .

[١ - حياته تعالى] :

فالحياة الكاملة التامّة التي لا يشوبها عدم ولا موت بوجه من الوجوه ثابتة لله تعالى ، ويطلق عليه تعالى لفظ /م ١٠٩ الحيّ بهذا المعنى ، على الحقيقة الأولية ، وليس لأحد من الموجودات المطلقة والمقيّدة نصيب في هذا الإطلاق أبداً ، وإلا لاشترك معه غيره من خلقه ، وليس كمثله شيء .

---

(١) لم ترد في (ح) .

[٢ – حياة فعله تعالى] :

ثم تحت تلك المرتبة الأزلية حياة فعله تعالى ، وهذه الحياة عين الفقدان والموت والفناء في مبدئه ، فحياته بالتفات مبدئه إليه والتفاته إلى مبدئه ، فمتى انعدم أحد الالتفاتين كان ميّتاً ، إلا أن انعدام الأول يقتضي فناءه بالكلية ، وانعدام الثاني لا يقتضي الفناء كذلك ؛ لأن هذا انعدام بالالتفات الثانوي ، وليس بأوليّ كما لا يخفى .

فإطلاق الحياة على هذه الحقيقة إطلاق ثانوي ، تحت الإطلاق الأولي وحقيقة فيها من بعد تلك الحقيقة ، فهي حقيقة من بعد الحقيقة .

[٣ – حياة الماء (الوجود)] :

ثم دون تلك المرتبة مرتبة الماء ، الذي به حياة كل شيء ، قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** ﴾[(١)] ، إذ لا يجوز أن يراد من الماء في هذا المقام الماء الذي هو أحد العناصر ، كما ذكرنا سابقاً[(٢)] ، فراجع تفهم .

فيجب أن يراد به الوجود الذي به حياة كل شيء ، من المجرّدات والمادّيات ، والعنصريّات والجسمانيّات ، وأمثال ذلك من الموجودات .

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٠ .

(٢) انظر : ١/١٣١ .

فـــإطلاق الحياة عليه على سبيل الحقيقة البتّة ، فإطلاق الحياة عليه وعـــلى الأول لـــيس من قبيل الاشتراك المعنوي ، كما هو ظنّ جماعة من العلماء[١] ، بل من قبيل الاشتراك اللفظي ؛ لعدم الحقيقة الجامعة ، كما لا يخفـــى ، فهـــذه حقيقة ثانية تحت تلك الحقيقتين الأوليتين ، وحياة هذه الحقيقة بنفس التجليّ والإشراق واللمعان ، بل هو نفس التجليّ والإشراق وجمال المحبوب للمحبيّن المقيّدين ، وموته بعدم التجلي .

[٤ – حياة العقل الأول] :

ثم دون تلـــك المرتـــبة العقل الأول ، وهو مقام السراج ، وأول المتجلي والمقيّد ، فحياته بجزئه على سبيل الإطلاق ظهور النار ، الذي هو الحقـــيقة الثالثة ، والدهن الذي هو القيد والتعيّن الموجود حين تنـــزل الماء إلى الأرض ، وإطـــلاق الحياة عليه على سبيل الحقيقة لا المجاز ، وفي هذه المرتبة مرتبتان :

الأولى : العقل الطبعاني .

الثانية /م ١١٠ : العقل السمعاني .

---

(١) انظر : ١/١٧٠ .

وقال العالم عليه السلام[1] :

رأيـــت العقل عقلين	فمســـموع ومطبوع
فـــلا يـــنفع مسموع	إذا لم يـــك مطبوع
كما لا تنفع الشمس	وضـــوء العين ممنوع

والعقل الطبعاني على مراتب :

العقل الهيولاني .

والعقل بالملكة .

والعقل بالمستفاد .

والعقل بالفعل .

وهذه المقامات والمراتب إنما تتحقّق عند إشراقات العقل الكلّي في مرايا القوابل .

مـــثاله : الشـــمس ، فإنّها لا تظهر ، ولا يتحقّق نورها ، إلاّ عند جسم كثيف ، فإذا وجد الجسم الكثيف يظهر نور الشمس .

---

(١) مجمع البحرين ، الطريحي : ٢٣٧/٣ . نهج السعادة ، المحمودي : ١٧٤/٨ .

وهــذا الظهــور إنما يختلف باعتبار اختلاف الأجسام ، في الغلظة والرقّة ، والكثافة والدقّة ، والاحمرار والاصفرار ، والاستقامة والاعوجاج، وأمثال ذلك .

مــثلاً : إذا أشرقت على الجسم الكثيف مثل الأرض الغليظة ترى نــوراً ظاهراً في كمال التلألؤ واللمعان ، فإذا أشرقت على الزجاجة ترى النور أكثر والتلألؤ واللمعان أشدّ ، بحيث ترى ظهور الشمس ومثالها فيها.

وإذا أشــرقت على البلّور ترى النور أكثر وأقوى وأشد في كمال الحرارة بحيث يحرق .

وإذا أشرقت على المرآة السوداء ترى النور أسود .

وكذا إذا أشرقت على الصفراء والحمراء وأمثالها ، مع أن الشمس على حالة واحدة ، وإشراقها بطور واحد ، وهو كما قال الشاعر[1] :

أرى الإحسان عند الحرّ ديناً ... وعند النذل منقــصة وذمّاً

كقطر الماء في الأصداف درّ ... وفي بطن الأفاعي صار سمّاً

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ابن الوردي : ١٩٥ .

[ظهورات العقل الكلي]

فـــإذا عرفت هذا المثال ، فاعلم إن الماء لّما نزل إلى الأرض – بإذن الله تـــبارك وتعالى – حييت الأرض ، وخرجت شجرة العقل ، وهو أوّل شـــجرة نبـــت مـــن جنان الوجود ، وأول من ذاق الباكورة ، في جنان الصـــاقورة ، وأول غصـــن أخذ من شجرة الخلد ، وأول سراج أوقد من الشـــجرة المباركة ، التي هي الحقيقة المحمّديّة ، وحياته من الماء والأرض – أي من ماء الوجود وأرض القابليّات – أو من مسّ النار والدهن .

وهـــذا السراج لّما كان أوّل الوجود ، وأقرب الأشياء إلى المبدأ ، كان له نورٌ وأشعة ، وإلا تلزم المفاسد المتكثّرة ، التي /م ١١١ يعلمها من لـــه قلـــب أو ألقى السمع وهو شهيد[١] ، ولاشكّ أن أشعته من سنخه وجنســـه ، وليست في مرتبته ومقامه ، وإلاّ لا تكون شعاعاً ونوراً ، بـــل هي منير ، [فتتحقّق][٢] العقول الجزئيّة .

ولّما كان النور – أي السراج – لا يظهر إلا عند وجود القابليّات ، فيجـــب أن يكون مرايا وقوابل لظهور العقل الكليّ ، وهي الموجودات مما تحـــته ، فثبت أن للعقل ظهور في كل موجود بحسب مراتبها ووجوداها ، وهو العقول الجزئيّة ، فإذا قطع الشخص قوسي الصعود والترول كان أوّل

---

(١) اقتباس من سورة ق : ٣٧ .

(٢) في (ح) ، (م) : فتحقق .

ما ظهر فيه من العقل العقل الطبعاني ، إذا كان دماغه مستقيماً غير مختلّ ، وهذا العقل حياته من ظهور العقل الكلي ، والحد المعنوي الجزئي ، حسب قابلية تلك المرآة .

فإذا اختل واحد منها يموت ، وهذا الاختلال عند اختلال الدماغ ، فإذا اختل دماغ الشخص ، بحيث لا يكون له استقرار أبداً ، يختل ظهور العقل الكلي فيه ، فيكون الشخص مجنوناً لا يميز بين الجيد والرديء ، والحق والباطل ، ولا يعرف شيئاً ، فلا يكلف بشيء ، وحاله في يوم القيامة حسب اختلال الدماغ ، كما نفصل[١] - إن شاء الله تعالى - عند قوله تعالى : ﴿ **مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنه** ﴾[٢] .

هذا حال من إذا كان دماغه مختلاً ، وأما إذا كان معوجاً فيكون الظهور معوجاً ، فينقلب الأمر فيرى الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، والجيد رديئاً ، والرديء جيداً ، فيكون العقل النكراءَ والشيطنةَ ، وهي شبيهة بالعقل ، وليس بعقل[٣] ، وهذا معنى موت العقل الطبعاني وحياته ، فافهم إن كنت تفهم ، وفقك الله وإيانا إن شاء الله تعالى .

---

(١) لم يتكلف السيد المؤلف قدّس سرّه عن ذلك ؛ لأنه لم يكمل الكتاب .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) الكافي ، الشيخ الكليني : ١/١١ ، ك العقل والجهل /٣ . المحاسن ، البرقي : ١/١٩٥ ، ك مصابيح الظلم ، ب١ العقل /١٥ . وسائل الشيعة ، الحر العاملي : ١٥/٢٠٥ ، ك الجهاد ، ب٨ وجوب طاعة العقل ومخالفة الجهل /٣ .

[وسائل تقوية العقل الطبعاني] :

وهـــذا العقـــل الطبعاني إذا أيده الشخص بالاكتساب يقوى شيئاً فشيئاً ، إلى أن يبلغ الشخص إلى مقام لا يكون الآخر مثله في ذلك المقام ، وهو على أنحاء :

[أ – معاشرة أولي الفنون] :

منها : المعاشرة والصحبة مع أولي الفنون وأولي الأفهام ، فيحصل للشـــخص /ح ٤٤ إدراك وتميز لا يكون عند من لم يعاشرهم ، وقد جعل بعـــض العارفين المعاشرة والصحبة بطن الأم فيما اشتهر أن (**الشقي شقي في بطـــن أمـــه ، والســـعيد سعيد في بطن أمه**)[1] ، أي بطن الصحبة والمعاشرة ، وهو المراد من الأب والأم في حديث (**كل مولود يولد على الفطرة ، لكن أبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، ويمجسانه**)[2] /م ١١٢ .

---

(١) سبق تخريجه : ١/١١٥ .

(٢) عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي : ١/٣٥ ، الفصل ٤/١٨ . عدة الداعي ، ابن فهد الحلي : ٣١١ ، خاتمة الكتاب في أسماء الله الحسنى /٨٣ . من لا يحضره الفقيه ، الصدوق : ٢/٤٩ ، ك الخمس ، ب الخراج والجزية /١٦٦٨ .

[ب - الممارسة] :

ومنها : الممارسة ، مثل مارس الصنائع كالصباغة والنجارة والخياطة والخبازة ، وأمثال ذلك من أنحاء الصنعة ، إذ كل من له بصيرة يعرف أن الخياط لا يقدر أن يعمل عمل النجار ، وهو عمل الخباز ، وهو عمل الصباغ ، وأمثالها ، وهو من جهة عدم إدراكه ؛ لعدم اكتسابه ؛ لعدم ممارسته .

ومثل من مارس في العلم على جميع أنحائه كالنحو و الصرف والمعاني والمنطق ، والحكمة بجميع أقسامها من الطب والأخلاق والفقه والرياضي والطبيعي ، والإلهي بكلا معنييه ، والعلوم الغريبة كالكيميا والليميا والهيميا والسيميا والريميا ، وكالجفر الجامعة ، والرمل والحساب والعدد ، وأمثالها من العلوم .

وهذه كلها تحصل عند الاكتساب بالممارسة ، أي بكثرة مطالعة الكتب ، وأقوال العلماء ، وكثرة التعليم والتعلم ، مما هو المعهود عند أهل هذا الزمان ، كما لا يخفى عند من له عقل سمعاني .

[ج - استعمال الأدوية] :

ومنها : استعمال الأدوية ، مثل أكل الأشياء الحارة اليابسة أو الرطبة حسب اختلاف الأمزجة ، مثل أكل اللبان واللبن والسمن والعسل

والقــرنفل والـــلحم ، وأمثالها من المسخنات ، سيما إذا خلط اللبان مع القــرنفل ، وأكل كل صبح مقداراً منه ، يرى حدة فهمه وذهنه وحفظه وإدراكه ما لا يوصف .

وكـــذا إذا[١] أكل اللبان كل يوم ، وهو أكل الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام[٢] ، وكـــذا الــتمر والحلويات بأقسامها على الاختلاف في الشدة والضـــعف ، ولـــذا ورد أن (**المؤمـــنين حلويون**)[٣] ، وهذا الكلام لا يسعنـــي الآن بيانه ؛ لعدم اقتضاء المقام .

وهذه الأدوية ليس على سبيل العموم ، بل لابد من ملاحظة مزاج الشـــخص ، إن وفقنـــي الله تعالى أكتب فيما بعد رسالة في هذه الأمور ، بحيـــث يشفى العليل ، ويبرد الغليل ، إنه على كل شيء قدير ، وما ذلك عليه بعزيز .

---

(١) لم ترد في (م) .

(٢) مكـــارم الأخـــلاق ، الشيخ الطبرسي : ١٨٧ ، ب٧ في الأكل والشرب ... ، ف١١ في البقول . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٣٤/٥٩ ، ب٨٤ ، ك السماء و العالم ، الحرمل والكندر/٤ .

(٣) كشف الخفاء ، العجلوني : ٢٩٣/٢ ، حرف الميم / ٢٦٧٩ . وانظر : مكارم الأخلاق ، الطبرسي : ١٦٩ ، ف ٩ ، في التمر .

[د - المعالجات] :

ومـــنها : أنحاء المعالجات ، كالحجامة على القفاء ، وتقليل الدم ، وقـــد روي عـــن النبـــي صلى الله عليه وآله أنه قال : (**لما عرج بي إلى السماء ، ووصلت إلى السماء السابعة ، ما لا قانـــي ملك من ملائكة ذلك الفلك إلا وأوصانـــي أن آمر أمتـــي بالحجامة على القفاء**)[1] .

وذلـــك لأن السماء السابعة سماء زحل ، وهو المدبر للعقول على ســـبيل الجمـــيع بإذن الله تعالى /م ١١٣ ، يعني أن الله سبحانه وكل على ذلـــك الفلك بكله ملكاً كلياً من جنود ميكائيل ، يدبر العقول الجزئية ، ويصـــلحها بنظر[2] زحل وفلكه بجسم الكوكب ، والفلك يدبر محل العقل - أي الدمـــاغ - وبـــروحه يدبر العقل ، وتلك الملائكة جزئيات لذلك الملك، ومدبرات لكل فرد فرد من أفراد الموجودات ، ولذا وصّوه صلى الله عليه وآله بالحجامة على القفاء ، لإصلاح عقل أمته .

وهـــذه الأدويـــة والمعالجات كلها لإصلاح المحل ، فإذا صلح المحل يظهـــر النور فيه أكثر وأشد ، كما إذا صقلت الأرض يظهر نور الشمس

---

(١) تفســـير القمـــي ، القمـــي : ٩/٢ ، سورة الإسراء ، آية : ١ . التفسير الصافي ، الفيض الكاشـــاني : ١٧٢/٣ ، ســـورة الإسراء ، آية : ١ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٨/ ٣٢٦ ، تـــاريخ الرســـول الأعظم ﷺ أبواب أحواله ﷺ من البعثة ... ، ب٣ إثبات المعراج ومعناه وكيفيته ... /٣٤ .

(٢) في (ح) : منظر .

فيها أكثر وأشد بالنسبة إلى الأرض الغير المصقلة ، كما لا يخفى على الفطن العارف .

[هـ - الأذكار] :

ومنها : استعمال الأذكار من الأسماء الحسنى ، مثل : [يا علي][1] يا عليم ، يا حكيم ، يا حي ، يا قيوم ، يا نور ، يا هادي ، وأمثالها من الأسماء ، فإذا واظب الشخص كلاً من هذه الأسماء بعدد معين ، لا يسعني الآن بيان قاعدته ، بحضور القلب ، وطمأنينة النفس ، وإلا فلا يؤثر ، ولو قرأ مدى العمر فإن الإقبال روح العمل ، لا يستقر الجسم بدون الروح ، كما لا يخفى .

[و - استعمال المثلثات وغيرها] :

ومنها : استعمال ما قرره أهل الجفر ، من وضع المثلثات والمربعات والمخمسات على وفق اسمه ، واسم الله ، والعقل مثلاً . وضوابطه مذكورة في كتب أهل الجفر ، وأهل العدد ، وكل من يفعل يزداد عقله البتة ، ويستوي فيه المؤمن والكافر ، والعالم والجاهل ، والعادل والفاسق ، إلا أنه يكشف لكل حسب ما هو عليه :

---

(١) لم ترد في (ح) .

كقطر الماء في الأصداف در   وفي بطن الأفاعي صار سماً[1]

وقصة ابن مقنع وابنه السند ، وما فعل من بسط اسم ابنه مع اسم الله والعقل ، من المشاهير ، وهو كافر يدعي الربوبية والألوهية ، وذلك ؛ لأن الله سبحانه (**أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها**)[2] ، وجعل لكل شيء خاصية واقتضاء ، فإذا وجد ذلك الشيء مع تمام شرائطه وأسبابه ، تترتب عليه تلك الخاصية ، بحسب الاقتضاء المودع فيه ، مثلاً جعل المركب ليسود ، فإذا أصاب اليد يخلق الله تعالى فيها اقتضاء المركب - أي السواد - وإلا يلزم أن يمنع الأسباب من مقتضياتها .

وهذا كما يجري في المعصية يجري في الطاعة /م ١١٤ ، وفي هذا الفساد الكلي في العالم العلوي والسفلي ، وإذا عرفت هذه الدقيقة تعرف سر القدر ، إن شاء الله تعالى .

[**ز - الرياضات**] :

ومنها : فعل الرياضات ، وخلوص العمل لله تعالى ، وتخلية القلب عما سوى الله ، قال صلى الله عليه وآله : (**من أخلص لله العبودية أربعين**

---

(١) سبق تخريجه : ١١٣/٢ .

(٢) سبق تخريجه : ٢٣٥/١ .

صــباحاً ، تفجــرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)[١] ، فإن كان مؤمناً كان هدى ونوراً ، وإن كان كافراً كان حجة عليه[٢] .

وقــال أيضــاً : (**لــيس العلم في السماء فيترل إليكم ، ولا في الأرض فيصــعد إلــيكم ، بل هو مكنون فيكم ، ومخزون في قلوبكم ، تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم)**[٣] .

وقــال ﷺ : (**ليس العلم بكثرة التعلم ، بل هو نور من عند الله يقذفه في قلب من يحب ، فينفسح فيشاهد الغيب ، وينشرح فيحتمل البلاء)**[٤] .

---

(١) عــيون أخبار الرضا ، الصدوق : ٧٤/١ ، ب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعــة /٣٢١ . الرواشــح السماوية ، المحقق الداماد : ٢٠٠ . عدة الداعي ، ابن فهد الحلي : ٢١٨ . (باختلاف يسير) .

(٢) قــال تعــالى في الحديث القدسي : (**يا أحمد ، إن العبد إذا جاع بطنه ، وحفظ لسانه ، علمته الحكمة ، وإن كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً ، وإن كان مؤمناً تكون حكمـــته له نوراً وبــرهاناً ، وشفاء ورحمة ، ويعلم ما لم يكن يعلم ، ويبصر ما لم يكن يبصر**) . الجواهر السنية ، الحر العاملي : ٢٠٠ .

(٣) انظــر : قــرة العيون ، الكاشاني : ٤٢٩ ، المقالة ٩ ، كلمة فيها إشارة إلى طريق تحصيل الحكمة ... .

(٤) الــتحفة السنية ، الجزائري : ٧ . منية المريد ، الشهيد الثاني : ١٤٩ ، ف١ ، ب١ آداب المعــلم والمتعــلم ، ف٣ . الأصول الأصيلة ، الفيض الكاشاني : ١٦٥ ، الأصل ٩ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٢٥/١ ، ك العلم ، ب٧ آداب طلب العلم وأحكامه /١٧ .

قيل : هل لذلك من علامة يا رسول الله ؟ .

قـــال ﷺ : (**التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله**)[١] .

وقـــال الله تعالى في الحديث القدسي : (**ما زال العبد يتقرب إليّ بالـــنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الـــذي يبصـــر به ، ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت عني ابتدأته**)[٢] . الحديث .

وقـــــال تعـــالى : ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً** ﴾[٣] ، أي علماً جماً .

وقـــال : ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾[٤] .

---

(١) روضـــة الواعظـــين ، النيسابوري : ٤٤٨/٢ ، مجلس في ذكر الدنيا . تفسير مجمع البيان ، الشـــيخ الطبرسي : ٣٨٨/١٠ ، سورة الشرح ، آية : ١ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٢٢/٧٠ ، ك الإيمـــان و الكفر ، أبواب الإيمان و الإسلام و التشيع ... ، ب١٢٢ حب الدنيا وذمها ... /١١٠ .

(٢) الكافي ، الشيخ الكليني : ٣٥٢/٢ . ك الإيمان والكفر ، ب من آذى المسلمين أو احتقرهم /٧ . المحاســـن ، البرقي : ٢٩١/١ ، ك مصابيح الظلم ، ب٤٧ المحبوبات /٤٤٣ . كتاب المؤمن ، الحسين بن سعيد : ٣٢ ب٢ ماخص الله به المؤمنين من الكرامات و الثواب/٦٢ .

(٣) سورة الجن : ١٦ .

(٤) سورة يوسف : ٢٢ .

وقال تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** ﴾[١] .

وأمثال هذه من الآيات والروايات كثيرة .

[١ - **كيفية الرياضة**] :

والناس اختلفوا في كيفية هذه الرياضة ، كل من بنى له طريقة ، وجعل له وجهاً توجه إلى الله سبحانه بذلك الوجه، على ظنهم ومعتقدهم، ووصلوا إلى مطلوبهم /ح ٤٥ ، لكن بعضهم خرجوا من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان واليقين ، وبعضهم خرجوا من ظلمة الجهل ودخلوا في ظلمة الإنكار والنفاق ، قال تعالى فيهم : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[٢] ، وقال : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً** ﴾[٣] .

والآخرون مثل اليهود والنصارى والمجوس ، وأمثالهم من الكفار من مرتاضيهم وأحبارهم ورهباهم ، والرياضات التي لهم ، والكشف الذي لهم ، حتى إنهم يرون الذي أسلم وترك دينهم وطريقتهم بصورة الكلب

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ .

(٢) سورة النحل : ٨٣ .

(٣) سورة النمل : ١٤ .

والخنزير ، وأمثالهما من السباع والبهائم ، كما سمعنا مراراً كثيراً ممن اطلع على /م ١١٥ طرائقهم وعاداتهم ، ورأينا من رسائلهم وتصنيفاتهم .

وهـــذا الكشف هو الكشف عما عليه حقائقهم من الاعوجاج ، عـــلى ما ذكرنا آنفاً ، فعقلهم السمعاني هو النكراء و[1] الشيطنة ، وهي شبيهة بالعقل ، وليس بعقل[2] ، كما لا يخفى .

والســـابقون الأولون هم المسلمون ، والكشف الذي لهم ، وهذا الكشـــف يحكي على المقابل ، كما هو ، لتصفية مرآة حقائقهم بالرياضة والمجاهدة الشرعية، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[3] .

[٢ – أنواع الرياضة] :

وهذه الرياضة على أنحاء ، ذكرها العلماء – رضوان الله عليهم – في كتبهم الأخلاقية[4] ، لكن أحسنها وأولاها وأقربها هو الذي ذكر الفقير الحقير في هذا المقام ، مما سمعت من شيخنا ، شيخ المشائخ العظام ، وعمدة

---

(١) في (ح) : أو .

(٢) انظر : ٢/١١٥ .

(٣) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٤) الحقـــائق ، الكاشاني : ١٢ ، المقالة ١ . جامع السعادات ، النراقي : ١/١٠٢ ، ب ٣ في طريق حفظ اعتدال الأخلاق ... .

عــرفاء الــزمان ، وقطب الأقطاب ، ومقصد أولي الألباب - [أطال الله بقاءه][١] - ومما[٢] استنبطت من الآيات والروايات .

قــال ﷺ : (**خلق الإنسان ذا نفس ناطقة ، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها ، وإذا اعتدل مزاجها ، وفارقت الأضداد ، فقد شارك بها السبع الشداد**)[٣] .

وروي أن بعــض اليهود اجتاز بعلي عليه السلام وهو يتكلم مع جماعة ، فقال له : (**يا ابن أبي طالب ، لو أنك تعلمت الفلسفة لكان يكون منك شأناً** .

فقــال صلوات الله وسلامه عليه وآله : وما تعني بالفلسفة ؟ ، ألــيس من اعتدلت طباعه صفى مزاجه ، ومن صفى مزاجه[٤] قوى أثر الــنفس فــيه ، ومن قوى أثر النفس فيه سما إلى ما يرتقيه ، فقد تخلق بالأخلاق النفسانية ، ومن تخلق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجوداً بما

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) في (ح) : ممن .

(٣) مناقــب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : ٣٢٧/١ ، ب درجات أمير المؤمنين ، ف في المسابقة بالعلم . عيون الحكم والمواعظ ، الواسطي : ٣٠٤ ، ب ١٤ حرف الصاد ، الأول باللفظ المطلق . الصراط المستقيم ، العاملي : ٢٢٣/١ ، ب ٧ في شيء مما ورد في فضائله عليه السلام ، ف ١٩ ، في إحاطته بفضائل أولي الألباب .

(٤) في المصدر : (**من صفى مزاجه اعتدلت طبائعه ، ومن اعتدلت طبائعه**) .

هو إنسان ، دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان ، فقد دخل في الباب الملكي الصوري وليس له عن هذا الباب مغير .

فقال اليهودي : الله أكبر يا ابن أبي طالب ، لقد نطقت بالفلسفة جميعها في هذه الكلمات رضي الله عنك)[١] .

اعــلم أن اعتدال المزاج في كل شيء لا اختصاص له بالجسم ، أما في الأكــل والشرب ، فأن تجهد أن تحصل من الحلال ، لا على نحو يصل إلى حد الوسواس ، والاجتناب عن كل شيء - كما هو شأن بعض أهل الــزمان - فــإذا حصلت من الحلال ، فتأكل منه بقدر سد الجوع ، ولا تــأكل كثيراً ، بحيث يشغلك عن الذكر ، وعن الإقبال إلى الله /م ١١٦ سبحانه ، ولا تأكل حتى تجوع ، وكذا في الشرب لا تشرب حتى تعطش ، فإذا شربت فلا ترو .

وأما في اللباس فالبس ما لا يلومونك عليه ، وما لا تفتخر عليه ، و ما لا تذل نفسك عنده ، واختر حالة الوسطى ، فإن خير الأمور أوسطها ، هذا مجمل ما يتعلق بتعديل المزاج الجسمي على الظاهر .

وأما ما يتعلق بالروح فكن دائم الذكر ، وليس معنــى أن تقول : ســبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، في كلّ الأوقات ، بل معــناه أن تذكــر الله في حال المعصية فتتركها ، وتذكره في حال الطاعة

---

(١) الصراط المستقيم ، العاملي : ٢١٤/١ ، ب ٧ ، ف ١٨ .

فتفعلها ، قال العالم عليه السلام : (**المؤمن كلامه ذكر ، وصمته فكر ، ونظره اعتبار**)[١] .

ومعنى أن (**كلامه ذكر**) : هو أنّه لا يتكلّم إلا بما يعنيه ، من معاش الدنيا والأهل والعيال ، وكلّها من الذكر ، ولا يتكلم بما لا يعنيه ، فالذكر عام .

وأما قوله : (**وصمته فكر**) ، فمعناه : أن الشخص المؤمن إذا سكت يفكر في أمر آخرته ودنياه ، وبدئه وعوده ، ومبدئه ومعاده ، وما أراد الله سبحانه منه من الطاعات والعبادات ، والتقصيرات التي قصّر من الكسالة عن العبادة والطاعة ، والمعاصي التي ارتكبها ، ويحاسب نفسه ، ويندم على ما فعل من الذنوب ، ويستغفر الله ويسأله التوبة ، قال تعالى : **﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾**[٢]، **﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾**[٣]، **﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾**[٤] .

وأما معنى قوله (**ونظره اعتبار**) : أنّه إذا نظر في كل شيء ينظر إليه بعين الاعتبار ، ومن حيث إنه مثال لآية الله الواحد القهّار ، قال تعالى:

---

(١) الخصال ، الشيخ الصدوق : ٢٩٥ ، ب٥ /٦٢ . الاختصاص ، الشيخ المفيد : ٢٣٢ . فقه الرضا : علي بن بابويه : ٣٨٠ ، ب١٠٦ التفكر والاعتبار ... .

(٢) سورة النساء : ٣٢ .

(٣) سورة الإسراء : ٦٦ .

(٤) سورة البقرة : ١٥٢ .

﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾[١] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[٢] ، وقال : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[٣] ، وقال : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[٤] ، وأمثال ذلك من الآيات كما لا يخفى .

والإنسان إذا عيّن له وقتاً ينظر فيه إلى الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة ، خالي القلب عن كلّ شيء ، يعلّمه الله ما فيها من العلوم والأسرار والحقائق .

وهذا هو الكتاب الذي إذا قرأه الإنسان كشف الله عن بصره العالم[٥] ، فيعلم الحيث والكيف والكمّ ، والموصول والمفصول ، وما يئول إليه الأمور ، وما هو مخفيّ على الناس ، مما لا عين رأت ، /م ١١٧ ولا

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٥ .

(٢) سورة فصلت : ٥٣ .

(٣) سورة العنكبوت : ٤٣ .

(٤) سورة يوسف : ١٠٥ .

(٥) في (ح) : العام .

أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشرٍ ، ولا يحتاج هذا إلى بيان ؛ لأن من لم يذق لم يدر .

الحاصل ، إنّ الإنسان إذا فتح له هذا الباب ، وفقه الله تعالى بفنون توفيقاته ، وأيّده بصنوف تأييداته ، ألا ترى قول الله تعالى في حقّ إبراهيم النبي - على محمد وآله وعليه السلام - حيث قال : ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴾[1] ، وهذا باب إذا فتح لأحد يقوى عقله السمعانيّ ، فيكون أعلم الناس ، وأورعهم ، وأتقاهم ، وأعرفهم ، بحسب ما هو عليه ، وهنا تفصيل لا يمكنني الآن بيانه، والله الموفّق والمعين .

[احتياج العقل السمعاني للطبعاني] :

وهذا الذي ذكرنا هو الأمور التي يكون سبباً لتحقّق العقل السمعانيّ ، ولا يتحقّق العقل السمعانيّ إلاّ إذا كان العقل الطبعاني — الذي هو التميز- في أوّل المرتبة ؛ لأن استعمال هذه الأمور لا بدّ من التميّز والإدراك ، وإلا لفقد ، ولذا قال العالم في الشعر السابق[2] :

فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

---

(١) سورة الأنعام : ٧٥ .

(٢) سبق تخريجه : ١١٢/٢ .

كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع

[العقول ومراتبها] :

فظهر ممّا ذكرنا لك /ح ٤٦ أن العقل المسموعي هو ظهور العقل المطبوعي ، فالعقل المسموعي هو كالنور المشرق على المرآة ، والعقل المطبوعي كالنور مطلقاً ، كما لا يخفى ، فالعقل الهيولاني هو كإشراق الشمس على الحجر ، والعقل بالملكة هو مثل إشراقها على الزجاجة ، والعقل بالمستفاد هو مثل ظهورها على البلّور ، والعقل بالفعل هو مثل ظهورها على الألماس .

ومن هذا المثال تعرف مراتب ترتيب العقول في مراتبها ، فإن الزجاجة هي المأخوذ من الحجر، والبلّور المأخوذ من الزجاجة ، والألماس هو المأخوذ من البلّور ، على نحو يعلمه أهل الصناعة الفلسفية .

فحياة هذه المراتب بتصفية المحلّ ، وهي بالأسباب المذكورة المتقدّمة، ومماتها بفقدان التصفية عند فقدان الأسباب ، وأفضل الأسباب ، وأشرفها ، وأسرعها تأثيراً ، نظر الحق للشخص ، وهو قد يكون بهذه الأسباب ، وقد لا يكون بهذا ، بل بلا سبب ، إذا سبقت له العناية من ربّه، من جهة طلبه الأولي ، وسؤاله السرمدي ، فافهم .

هذا الذي ذكرنا هو مجمل أحوال العقل /م ١١٨ ، وكيفيّة حياته وموته ، وازدياده ونقصانه .

[كمالات العقل] :

وأمـــا الذي يقول : إن العقل كل كمالاته بالفعل ، ليس شيء منه بـــالقوّة ، فغلط ؛ لأن الشيء في كلّ آنٍ يترقّى ، ويقرب إلى مبدئه ، وإلاّ لـــبطل الإيجاد ؛ لأن الله سبحانه ما خلق الخلق للانتفاع به نفسه - تعالى ربيّ وتقـــدس عن ذلك - بل إنما خلقهم لينفعهم ، ويظهر رحمته وإحسانه وأياديه لانتفاعهم ، فخلقهم .

لكـــن الانـــتفاع إنمـــا يتحقّق إذا خلقهم على مقتضى قابليّاتهم ، وحســـب اســـتعداداتهم ، وخلقهم كما هم عليه ، وهذا لا يختصّ بعالم الأجســـام ، بل يعم جميع الموجودات من العقول والنفوس والطبائع والمواد والأمثلة والأجسام ، وإلا يلزم تفضيل الأخسّ على الأشرف .

ولّمـــا كان الأمر كذلك ، فسألهم لّما سألوه أن يسألهم ، فكان أوّل مـــن أجاب وأقرّ واعترف بالعبوديّة لله - عز وجل - العقل الكليّ عند الإشراقيّين ، والعقل الأوّل عند المشّائين ، والنور المحمّدي ﷺ عند أهل

الشرع[1] ، فأحبّه الله سبحانه ، وأجلسه على سرير الرفعة والعزّة ، وشرّفه بتشريف التقرّب ، وأمره بالإقبال والإدبار[2] .

فلمّا امتثل أمر الله في كلّ ما أمره ، وعبده كمال العبوديّة ، صعد بــه في مراتــب الأسماء الحسنى ومدارجها ، حتى وصل إلى حده ، وغاية مرتبــته ، وهو اسم الله البديع ، فكان يسير إلى الله تعالى في تلك المرتبة ، فأحبّه الله وأكرمه ، وزاد نوره وبقاؤه[3] ، وجعله أقرب جميع الموجودات، بحيث أشرقت السموات والأرضون وما فيهما به ، فكان نورها .

وهو تأويل قوله تعالى - بملاحظة المقدمات المذكورة في الأوائل -:

﴿ اللَّــهُ نُــورُ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْــبَاحُ فِــي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ

---

(١) شرح المواقف ، الجرجاني : ٦٨٦/٢ . تفسير القرآن الكريم : ١٣٣/٤ .

(٢) قال عليه السلام : (**لما خلق الله العقل استنطقه ، ثم قال له : أقبل ، فأقبل . ثم قال له : أدبر ، فأدبر**) .

الكــافي ، الشيخ الكليني : ١٠/١ ، ك العقل والجهل /١ . الأمالي ، الشيخ الصدوق : ٥٠٤ ، المجلــس ٥/٦٥ . الفصول المهمة في أصول الأئمة ، الحر العاملي : ١١٥/١ ، ب ٢ أن الله ما خلق خلقاً أحب إليه من العقل ... / ١ .

(٣) في (ح) : بهاؤه .

نُـــورٌ عَلَـــى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١] ، فافهم .

ولّما كان أقرب الموجودات ، وبلغ في العبادة والطاعة حدّ الغاية ، التي هي عين اللاغاية ، أحبه الله تعالى فكان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، إن دعاه أجابه ، وإن سأله أعطاه ، وإن سكت ابتدأه[٢] .

وقد قال تعالى له لّما امتثل /م ١١٩ أمـــره بالإقبـــال والإدبـــار : (**فوعـــزتي وجـــلالي ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ منك ، ولا أكملتك إلا فيمن أحب**)[٣] .

وقـــد قال تعالى في الحديث القدسي : (**كلما وضعت لهم علماً رفعت لهم حلماً ، ليس لمحبّتي غاية و لانهاية**)[٤] .

---

(١) سورة النور : ٣٥ .

(٢) اقتباس من الحديث القدسي : (**ما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل**) ، وقد سبق تخريجه : ١٢٣/٢ .

(٣) الكافي ، الشيخ الكليني : ١٠/١ ، ك العقل والجهل /١ . الأمالي ، الشيخ الصدوق: ٥٠٤، المجلـــس ٦٥/٥ . الفصول المهمة في أصول الأئمة ، الحر العاملي : ١١٥/١ ، ب ٢ أن الله ما خلق خلقاً أحب إليه من العقل ... / ١ .

(٤) سبق تخريجه : ١٢٠/١ .

فهـــو في كلّ آن في الترقي والازدياد بلا نهاية ، وإلاّ يلزم إمّا انتهاء رحمـــته تعالى ، ونهايته ، وغايته ، ومنه يلزم تحديده تعالى ، أو يلزم وقوف العقل عن العبادة والطاعة ، وكلاهما باطلان .

أمّـــا الأول فظاهر ، وأمّا الثاني فكل عبادة تزداد نوراً وصفاء ، لم يكن له سابقاً ، وإلا يلزم أن لايكون للعبادة ثمرة ، فيكون التكليف بها عبثاً - تعالى ربي الحكيم عن فعل العبث - وهذا الازدياد الذي له في كلّ آنٍ لم يكـــن في الآن السابق ، ولا يجيئه من الوجوب ، بل إنما يظهر ما كان في إمكانه إلى أعيانه ، وهو معنى الحركة ، وهو المراد من الخروج من القوة إلى الفعل .

[كل شيء له مادة وصورة]

إن قـــيل : إن القـــوّة والفعـــل ، والزيادة والنقصان ، والتحويل والانـــتقال ، شـــأن المادّيّات ، مثل الأجسام ، وأمّا المجردات مثل العقول والنفوس وأمثالهما ، فلا ، إذ ليست لها مادة لتظهر كمالاتها شيئاً فشيئاً ، فجميع كمالاتها فعليّة .

قلـــنا : إن المادة لا تخصّص لها بالأجسام والجسمانيّات ، بل كل شـــيء له مـــادة وصورة ، وإلا لا يتحقق ؛ لأن الأشياء لابدّ لها من أصل وذات ، يكون بها بقاؤها ، وتحقّقها وثبوتها ، ومن صورة وهيئة تكون بها

ظهورها وتعيّنها ، والمادّة والصورة مساوقة في الوجود الخارجي ، لا تظهر أبداً مادّة لا صورة لها ، ولا[1] صورة لا مادّة لها ، بل هما معاً في الوجود ، بل في التعقّل ، إلا أنّ الهيولى والصورة متعددة :

الهيولى الأوّلي والصورة الأولية للعقل ، والهيولى الثانية للروح ، والهيولى الثالثة للنفس ، والهيولى الرابعة للطبيعة ، والهيولى الخامسة للمادّة الجسمانيّة ، والهيولى السادسة للمثال ، والهيولى السابعة للجسم ، والهيولى الثامنة لمحدد الجهات ، والهيولى التاسعة لفلك الكرسي ، والهيولى العاشرة لفلك زحل ، والهيولى الحادية عشر لفلك المشتري ، والهيولى الثانية عشر لفلك المرّيخ ، والهيولى الثالثة عشر لفلك الشمس ، والهيولى الرابعة عشر لفلك الزهرة ، والهيولى الخامسة عشر لفلك عطارد ، والهيولى السادسة عشر لفلك القمر ، والهيولى السابعة عشر لكرة النار ، والهيولى /م ١٢٠ الثامنة عشر لكرة الهواء ، والهيولى التاسعة عشر لكرة الماء ، والهيولى العشرين للأرض .

ثم اعلم أن الله سبحانه يركّب من جزء الأرض ، وجزئي الماء ، تركيباً ثالثاً ، ويعفّنها في بطن الأرض ، فيكون هذا المجموع هيولى ومادّة للخشبة ، الشجرة ، فهي مركّبة من مادة وهي الأرض والماء ، ومن صورة

---

(١) لم ترد في (ح) .

وهي الهيئة المخصوصة ، ثمّ يجعل هذه الخشبة مادّة /ح ٤٧ لصورة أخرى ، مثل هيئة السرير أو الباب أو الصنم ، وأمثال ذلك .

فـالقول بأنّ العقول والنفوس لا مادة لهما ، إن أريد بأنّه لا مادة لهما أصلاً غلط ؛ لما عرفت ، وفي الحقيقة هذا لا يحتاج إلى بيان واستدلال ، بل هو عندنا ، وعند من له أدنى مسكة من البديهيّات ، إلا من عمى الله عينه لا يرى ضوء الشمس .

وإن أريـد بأنّه ليست لها المادّة الجسمانيّة فصحيح ، لاشك فيه ، ولا ريـب يعـتريه ، بل ليس للنفس ما للعقل [من المادّة][(١)] أبداً ؛ فإذاً يصـح لـك أن تـنفي القـوة والفعل من المجردات ، على النحو الذي للجسمانيّات ، وهذا صحيح ، ونحن نقول به ، ألا ترى الأشعة والسراج ، فـإن هـذه الشدّة والضعف ، والزيادة والنقصان ، الذي للأشعة ليست للسراج البتة ، بل له أيضاً لكن على نحو أشرف وأعلى .

فمجمـل القول ، إنّ كمالات ما تحت العقل الكلّي ودونه فعليّة للعقـل ، وأمّا كمالات نفسه فكلّها ليست كذلك ، بل هي متجددة في كل آنٍ ودقيقة وساعة ، وكلّ ذلك من إمكانه الذي يعنون به القوة ، ولذا قال تعالى مخاطباً لنبيه ﷺ : ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾[(٢)] .

---

(١) في (ح) : مادة .

(٢) سورة طه : ١١٤.

فـإن الاسـتزادة ممّـا كان عنده قبيح ، وهو تحصيل الحاصل ، والاستزادة من الوجوب حرام وكفر ؛ لأنه لا يترل من الوجوب شيء إلى الإمكـان ، ولا يصـعد من الإمكان شيء إلى الوجوب ، وكلّ منهما في مكانه ورتبته ، فيجب أن يستزاد مما يمكن في حقّه .

[معنى عدم تناهي ترقي العقل]

فإن قلت ما قلت سابقاً : إن الترقي لو لم يكن غير متناهٍ ، يلزم إما تناهي رحمة الحق تعالى ، وإما وقوفه عن العبادة ، وكلاهما[1] غير صحيح ، بـل هنا شقّ ثالث ، وهو عدم القابليّة للازدياد ، ولا يلزم من ذلك تناهي الرحمة ، ولا وقـوفه عن العبـادة ، بل على ما قال الله /م ١٢١ تعالى : ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا** ﴾[2] .

قلـنا : انحصر الأمر في الشقّين المذكورين ، فإن الأشياء وإمكاناها ليسـت متناهية ، لا أول لها ولا آخر لها ، ألا ترى أنك كلما تفرض لك ابتداء ترى فوقه في تصوّرك شيء آخر ، يدلّك على أنّه ليس ابتداءك ؟ .

وقـد قـام الإجمـاع ، واتفقت جميع العقول والآراء من العقول السليمة ، إلا ما شذ من العقول المغيّرة بالنكراء والشيطنة ، على أنّ كل ما

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) سورة الرعد : ١٧ .

لــه أول له آخر ، وكل ما له آخر له أول ، وكل ما ليس له أوّل ليس له آخـــر ، وبالعكس ، وقد صح عند جميع المسلمين أن الجنة والنار لا نهاية لهمـــا ، ولا لنعـــيم الجنة ، ولا لعذاب النار ، ولا شكّ أن الجنة والنار إنما يتحقّقان بأهلهما ، وهو كلّ الخلق .

فلا آخر للخلق ، فلا أوّل له ، كيف تتحقق الأولية والآخرية ، مع أن الخلق كلّها كرة تدور على قطبها ، الذي هو فعل الله سبحانه ، الدائر عـــلى نفسه بخلاف التوالي ، والكرة لا أوّل لها ولا آخر ، كلما تفرض لها الأوّل فله الأوّل بل هو الآخر ، والأوّليّة نفس الآخريّة .

كـــيف يكـــون الأوّل لمن خلق لا في زمان ، ولا في مكان ، بل الأوّليّة والآخريّة والزمان والمكان إنما خلقت بالفعل الذي نفسه الإمكان ، وهو ذكر جميع الموجودات .

فـــإذا تحقّـــق أن الشيء غير متناه ، فكل ما له لا يجوز أن يتحقّق بـــالفعل ، وإلا يلزم وجود الأمور الغير المتناهية في الأوقات المتناهية ، وقد قام البرهان في الكتب الحكميّة على بطلانه ، فثبت أن بعض الأمور الممكنة للأشـــياء ظهر من الإمكان إلى الأعيان ، وبعضها ما ظهر يظهر بالتدريج في الأوقات الغير المتناهية .

وأما ما قلت من عدم القابليّة ، فجوابه أن الله سبحانه قال في محكم كتابه ، عن لسان الملائكة في الظاهر ، ولسان الخلق في الباطن : ﴿ **وَمَا مِنَّا**

إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾[١] ، **﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾**[٢] ، فكل شيء له حدّ لا يتجاوز عنه .

فقولنا إن الشيء يترقّى كالعقل ، ليس مرادنا أنه يتجاوز عن مقامه، ويصل إلى مقام الوجود ، وهو يتجاوز عن مقامه ، ويصل إلى مقام الكلمة التامة ، وهي تتجاوز عن مقامها فتصل إلى مقام الحروف العاليات، وهي تتجاوز عن مقامها ، فتصل إلى مقام الألف والنفس /م ١٢٢ الرحماني ، وهي تتجاوز عن مقامها فتصل إلى مقام النقطة ، وهي تتجاوز عن مقامها فتصل إلى مقام الأزليّة ، مقام الوجوب[٣] ، فتنقطع السلسلة ، أو تذهب إلى غير النهاية ؛ لأنّه باطل وكفر وزندقة ؛ لأنه يلزم إما التسلسل ، أو حدوث الوجوب ، أو قدم العالم ، و[٤] كل ذلك باطل مردود ، ولا يحتاج إلى البيّنة في هذا المقام ؛ لأن كتب أهل الحكمة وأهل الكلام مشحونة بذلك[٥] .

---

(١) سورة الصافات : ١٦٤ .

(٢) سورة الحجر : ٢١ .

(٣) في (ح) : الوجود .

(٤) لم ترد في (ح) .

(٥) إرشاد الطالبين ، السيوري : ١٦٦ . اللوامع الإلهية ، السيوري : ١٤٥ . كشف البراهين ، الأحسائي : ١١٠ .

بل نقول إن الشيء يحصل له الترقي وهو في مكانه وزمانه ، ووقته وكونه ، وكمّه وكيفه ، بحيث إذا رأيته حكمت عليه بأنه هو ، وهنا أمثلة كـثيرة إلا أنّ الفقير يذكر في هذا المقام منها مثالين لتبيّن الأمر ، ولذا قال تعـالى : ﴿ **سَـنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[1] .

قال العالم عليه السلام: (**العبودية جوهرة كنهها الربوبيّة ، فما فقد في العـبودية وجد في الربوبيّة ، وما خفي في الربوبية أصيب في العبوديّة ، قال الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾**)[2] الحديث .

تأمّل وتدبر في هذين المثالين ، فإنهما من أدلة الحكمة ، التي قال الله تعـالى أمـراً لنبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[3] .

المـثال الأول : في السراج ؛ وذلك لأن النار لمّا تجلّت ، وظهرت

---

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

(٢) مصباح الشريعة ، الإمام الصادق عليه السلام : ٧ ، ب٢ . تفسير الصافي ، الكاشاني : ٣٦٥/٤، سـورة فصـلت : ٥٣ . تفسير نور الثقلين ، الحويزي : ٥٥٦/٤ ، سورة فصلت ، قوله تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ** ﴾ /٧٧ .

(٣) النحل: ١٢٥.

بـــالدهن ، وجدت الشعلة ، التي هي السراج الوهّاج ﷺ[١] ، فأوجدت بواسطة السراج الأشعة ، فهي تختلف وتتعدد ، وتقوى وتضعف ، بالقرب والـــبعد ، ولا يمكـــن ترقي الشعاع في المرتبة التي قدّرها الله سبحانه بالنار بالســـراج لهـــا إلى مقام شعاع فوقها ، ولا تكلف الأشعة بهذا أبداً ؛ لأنه تكليف بما لا يطاق ، وهو باطل .

نعـــم إذا صقلت الأرض ، أو وضعت المرآة في الشعاع البعيد عن السراج ، ترى فيها الضياء والنور أشد وأكثر وأقوى بالنسبة إلى ما فوقها ، ومـــا تحتها من الأشعة التي لم تصقل الأرض ، ولم توضع المرآة فيها ، بل تـــرى فيها مثال السراج دون غيرها ، فكلّما صقلت الأرض يظهر النور أكثر وأشد ، وهذا معنى السير في مرتبته ومقامه .

ومـــثال الحجرة التي تترقى إلى الزجاجة ، ومنها إلى البلّور ، ومنها إلى الألماس ، سبق .

انظـــر وتـــأمل فيه هل خرجت الحجرة من مرتبة الجماد إلى مرتبة النبات ، أو /م ١٢٣هي بعد في مرتبة الجماد ؟، لكن انظر /ح ٤٨ حالتها الأولى مع الأخرى ، وهكذا تترقى وهي[٢] في مكانها ، فافهم .

---

(١) قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ . سورة الأحزاب : ٤٥-٤٦ .

(٢) لم ترد في (ح) .

والمــثال الثاني : في الصناعة الفلسفيّة ، فإنها مرآة الحكماء ، فيها جمــيع ما في الوجود - أي الإنسان الأكبر والأصغر - إذا عرفتها عرفت جميع الوجود بالمشاهدة العيانيّة .

وهــو أنهــم إذا أخذوا الطيور الأربعة التي هي الطاووس والديك والحمامــة والغراب ، فقطّعوهن ، ثم جعلوا على الجبال العشرة كل جبل جزء ، ثم دعوهنّ ، يعني أزالوا ريش الغراب ، فأخذوا من الحمامة جزأين، ومــن الطاووس والديك جزء ، ومن الغراب بعد إزالة ريشه جزء ، ومما خرج منهنّ جزء ، ثم خلطوهنّ ، وعفنوهنّ ، وطبخوهنّ ، وسقوهنّ ثلاث سقيات ، فأخرجوا ثلاثة رهط مفسدة في الأرض .

فــإذاً يفعل هذا المركب فعل القمر عند ظهوره على الجوزهر ، ثمّ يسقونه بالتساقي الست الأخر ، حتى أخرجوا جميع التسعة المفسدة ، التي لا يصلحون .

فــإذا صــفّوا تلك الأرض وأخلوها من الرذائل والقبائح ، تترقى وتحيى، وتظهر روحها الكامنة فيها ، فيحيى الأموات ، فتفعل فعل الشمس في خــارج المركــز ، فيفعل الواحد في المائة ، وهذا تمام الإكسير ، ثم إذا ســقوه يــزداد فعله ، وكلما زاد السقي يزيد فعله ، إلى أن يبلغ إلى مقام يكون الواحد على ألف ألف .

وهكذا يترقى عند تزايد السقي ، فصار أشرف الجمادات والمعادن، وأكملها وأتمّها ، وقد سمّاه الإمام علي أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وآله - بـ **(أخت النبوة ، وعصمة المروّة)**[١] .

وما صار سبب هذه الشرافة إلا كثرة تصفيته وتزكيته ، حتى بلغ حدّ الكمال ، وجلس على سرير الجلال والجمال ، الناس في تمام أعمارهم يطلبونه[٢] ، وجميع أموالهم في طلبه يصرفون ، قلّ من اهتدى إليه ، وشذّ من وجده وتسلّط عليه ، إلا أن يكون صاحب المعرفة ، والراغب في رضا الله سبحانه ، والراغب عن الدنيا بتمامها وكمالها ، وأمثاله يجدون إذا كتب الله لهم ذلك ، وقد يكون عند غيرهم ؛ لأجل مصلحة لا يناسب الآن ذكرها ، فليطلب في محالّها .

انظر وتدبر - وفقك الله يا أخي - إن هذه الترقيات التي حصلت لهذا الولد العزيز ، الصالح الشجاع الكريم ، المسمى بعبد الواسع ، وعبد الكريم /م ١٢٤ ، السخي الجواد الرحيم ، هل أخرجته عما هو عليه من

---

(١) الصراط المستقيم ، العاملي : ٢٢٣/١ ، ب٧ في شيء مما ورد من فضائله عليه السلام ... ، ف ١٩ . مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : ٣٢٩/١ ، ب درجات أمير المؤمنين ، ف في المسابقة بالعلم . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٦٨/٤٠ ، أبواب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ب٩٣ ، علمه عليه السلام وأن النبي صلى الله عليه وآله علمه .../٥٤ .

(٢) لم ترد في (ح) .

المرتبة والمقام ، وأوصلته إلى مقام الحيوان ، أو الإنسان ؟ ، بل هو على ما هو عليه من الجماد ، لكنّه أعزّ وأمنع مما سواه .

تأمّل في السقي – يا أخي – هل يقصر الحكيم إذا كان عنده مياه كـــثيرة غـــير متناهية عن سقيه ؛ لازدياد مقامه ومرتبته ؟ ، والمفروض أن الحكيم ليس بخيلاً ، والسائل ليس ساكناً ، وهو دائماً يسأل ، وهو دائماً يجيـــب ، ﴿ **أَمَّـــنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾[1] عمّن ناجاه .

وأما ما قلت : من أن البخل ليس من جهة المبدأ ، وليست رحمته وفضـــله وكـــرمه متناهية ، بل هو المعطي على قدر القابلية ، ولقد أكمل للعقل جميع كمالاته ، بحيث لا يقبل أزيد من ذلك .

فجوابـــه : مـــا قلنا سابقاً ، من أن الشيء إذا كانت إمكاناته غير متناهـــية ، لا يمكن أن يتحقّق ويوجد في الأعيان في الأزمنة المتناهية ، فهو بعد في الترقّي .

عـــلى أنّـــا نقـــول : إن القابلية تزيد في كل آن ؛ بسبب الطاعة والعبادة، وتسبيح الحق وتقديسه ، وتخلية القلب له ، ولا يتجدّد له الكمال إلا إذا زادت القابلية – بإذن الله – ولا تزيد القابلية إلا في محلها ومكانها ،

---

(١) سورة النمل : ٦٢ .

كما عرفت في المثالين المذكورين ، (**كلما رفعت لهم علماً ، وضعت لهم حلماً ، ليس لمحبّتي غاية ولا نهاية**) [١] .

[كيفية ازدياد القابلية ونقصانها]

ولـــلحقير الفقـــير ، المعترف بالقصور والتقصير ، في كيفيّة ازدياد القابلية ونقصها كلام كتبته جواباً لبعض الأخوان - أيده الله ووفقه لفنون توفـــيقاته - لمّـــا عظـــم عليه ذلك قال إنه يلزم الجبر والخلق على خلاف مقتضى القابليّة ، وأراد من الفقير أن أكتب شيئاً في ذلك فكتبت هذا :

اعلم أن الله وحده ، ولا قديم سواه ، ولا مؤثر غيره ، وكل شيء بـــاطل ومضمحلّ عند جلاله وعظمته ، فلمّا أفاض الوجود دفعة واحدة ؛ لقوله الحق : ﴿ **وَمَا أَمْــرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** ﴾[٢] ، خرجت كلّ حصّة منه على ما هي عليه من الحدود والهيئات المعنوية ، ثم كلفهم بعد ما كلّفوه أن يكلفهم بقوله : ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾[٣] ، فأجابوه .

بمعنى : أنه خرجت الحصص المعنويّة المتمايزة على ما كانت عليه تمايـــزاً صـــورياً ، فالقابلية عبارة عن الصورة ، التي هي عبارة عن الحدود

---

(١) سبق تخريجه : ١/١٢٠ .

(٢) سورة القمر : ٥٠ .

(٣) سورة الأعراف : ١٧٢ .

والهيـــئات المعنوية ، وهي الهيكلان : هيكل التوحيد والإنسانية ، وهيكل الشرك والشيطانية .

فهذه هي التي أعطاها الله تعالى العبد لمّا سأله /م ١٢٥ حين سأله ، فـــلمّا سأله هيكل التوحيد الذي هو الصورة الإنسانية أعطاها الله سبحانه إيّاه ، وهو قوله تعالى : ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** ﴾[1] .

ولمـــا سأله هيكل الشيطانية أعطاها الله تعالى إياه بطلبه ، وهو قوله تعالى : ﴿ **بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾[2] .

فكان الخلق على قسمين ، وهو قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِـــنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ** ﴾[3] . فالقابلية في الإنسان الطائع هي هيكل التوحـــيد ، الـــذي هـــو الإيمان ، والقابلية في العاصي المنافق هي هيكل الشيطانية ، التي هي الكفر والفسوق والعصيان .

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٢ .

(٢) سورة النساء : ١٥٥ .

(٣) سورة التغابن : ٢ .

[١ - القابلية والإيمان]

والإيمـــان قـــابل لجميع الخيرات الممكنة في حق المؤمن لا مطلقاً ، تظهـــر فيه على قدر تصفية القلب وتزكيته ؛ لأن مراتب الإيمان والمؤمنين متفاوتة :

منهم : على الدرجة العليا والرتبة القصوى في القرب ، وهم يقبلون المدد والفيض بلا غاية ولا نهاية ، أزلاً وأبداً ، دهراً وسرمداً ، وهو البحر الذي لا ساحل له ، وهم المتبوعون .

ومنهم : على الدرجة التي هي تحتها ، وهؤلاء يقبلون الفيض والمدد من الله سبحانه ، بما لا يتناهى في المرتبة التابعيّة ، ولا يساوون المرتبة العليا الأولى قط ، وإلا لكانوا هم ، هذا خلف .

ومنهم : من هو تحتها ، وهم أيضاً قابلون الخير بما لا يتناهى ، لكنّه في رتبتهم ومقامهم ، ومثاله السرمد والدهر والزمان ، كل منها لا يتناهى لكنه في مرتبته .

فـــإن الله سبحانه إذا علم الإقبال من العبد إليه تعالى بطبيعته وذاته وحقيقته يقبل إليه ، (**مـــن أقبل إلى الله شبراً يقبل الله إليه ذراعاً**)[1] ،

---

(١) الأمـــالي ، الســـيد المرتضـــى : ٦/٢ ، مجلـــس آخر ٢٣ . عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي : ٥٦/١ ، المقدمة ، ف٨١/٤ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٩٠/٨٤ ، ك الصلاة ، أبواب النوافل اليومية ... ب١١ ، آداب القيام إلى الصلاة /٥ .

(وأعلم أنك للداعين بموضع /ح ٤٩ إجابة ، وللملهوفين بمرصد إغاثة)[1] ، فيزداد نوراً وفضلاً منه تعالى ؛ لأن قابليّته في المرتبة الأولى كانت أقل ممّا هي في الثانية .

ولو قلنا إنّ القابلية ما تتفاوت ، التي في المرتبة الأولى هي التي في المراتب الأخر ، يلزم أن لا يكون للشخص مراتب ومنازل وترقّيات ، ضرورة أنّ النور من الله سبحانه يشرق على القابليّات كما هو عليها فلو كانت متساوية لكانت متساوية ، هذا خلف .

فيزيد البتّة ، وهذه الزيادة ليست مما فوقها ، بل تزداد في الرتبة إلى غير النهاية ، وهذا ليس بجبر ، ولا الخلق على خلاف مقتضى القابلية ؛ لأن الإيمان هو يقتضي جميع الخيرات الممكنة في حق المؤمن ، لكن الاقتضاءات متفاوتة غير متناهية ، فالله سبحانه /م ١٢٦ يخلق الاقتضاءات حسب بدء شأنها الغيبيّ الأولي الذكر الأول ، الذي قال تعالى : ﴿ **بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ** ﴾[2] ، ويترتب على تلك الاقتضاءات

---

(١) مصباح المتهجد ، الشيخ الطوسي : ٥٨٣ ، شهر رمضان /٦٧ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٨٣/٩٥ ، ك الصوم ، أبواب أعمال شهر رمضان ... ، ب ٦ ، الأعمال وأدعية مطلق ليالي شهر رمضان وأيامه ... /٢ . الصحيفة السجادية ، الأبطحي : ٢١٥ ، دعاؤه عليه السلام في سحر كل ليلة من شهر رمضان /١١٦ .

(٢) سورة المؤمنون : ٧١ .

مقتضياتها ، وهو قوله تعالى في الحديث القدسي : (**إن سألني أعطيته ، وإن سكت عني ابتدأته**)(١) .

والمراد بالسؤال هو السؤال الاستعدادي ، والمراد من السكوت السكوت كذلك ، فإذا سكت بالاستعداد الظاهري يجعله الله سبحانه سائلاً ، ويعطي العطية حسب استعداده الذاتي ، والقابلية الكلية الأوّلية ، ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾(٢) .

[**٢ - القابلية والكفر**] :

وقس على ما ذكرنا من حال الإيمان والمؤمن ، حال الكفر والكافر ؛ فإن الكفر قابل لجميع الشرور ؛ لأنه عبارة عنها ، فهو مدبر أبداً، لا يقبل قط بمقتضى ذاته ، فلا يصلح للإقبال إليه لمكان التناقض ، فهو الظلمة والظلماني .

والله سبحانه يمده من جنسه ، من جهة إمكانه وفقره إليه ، ولو لم يمدّه يفنى وجوده ؛ فيغيب الإيمان والطاعة والنور ، ويعود إلى مركزه ، ويعبد الله تعالى فيما لا يتناهى ، وهذا يستلزم بطلان الإيجاد والتكليف ، ولو أمدّه من النور تفنى الظلمة أيضاً ، وكذا إذا أمدّ النور من الظلمة

---

(١) سبق تخريجه : ١٢٣/٢ .

(٢) سورة الحديد : ٢١ .

يذهب النور ؛ للمناكرة الحاصلة بينهما ، فيجب أن يمدّ كل شيء ما يسأله من جنس ما يطلبه من مبدئه ، ولذا قال تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً** ﴾[١] ، هذا في مدد الكفّار والمنافقين .

وقد ظهر من سياق العبارة أنّ مددهم من الأمور العدميّة المجتثّة ، التي لا أصل لها ، ويعبّرون عنه بالخذلان والطرد .

وقال تعالى في حق المؤمنين - بعد هذه الآية - وكيفيّة إمدادهم بالمدد الوجودي النوري ، قال تعالى : ﴿ **وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً** ﴾[٢] .

وقال تعالى - أيضاً - في سورة الشورى في مدد الطرفين : ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** ﴾[٣] .

---

(١) سورة مريم : ٧٥ .

(٢) سورة مريم : ٧٦ .

(٣) سورة الشورى : ٥-٦ .

ولهذا المطلب في القرآن شواهد لا تحصى ، إذا أردت الاطلاع انظر إلـــيه ، واقرأه بالتدبّر والتفكر ليحصل لك المطلوب ، والله خير موفّق /م ١٢٧ .

وإذا أردت أن تعرف المثال الذي خلقه الله سبحانه في هذا المطلب لأولي الألـــباب الذين هم أولو الأفئدة ، أصحاب دليل الحكمة ، فانظر في السراج فإنّ السراج ، قبل أن يشعل ما كان شعاعاً ولا ظلاً ، فلما أشعلت السراج يظهر النور والظلمة دفعة واحدة ، ولا شك أن الظلمة - التي هي عـــبارة عن الظل في هذا المقام - والنور - الذي هو الشعاع - إنما وجدا بالسراج .

أما الأشعة فإنما وجدت به بالأصالة ، وهو منسوب إلى السراج ، وهو الشجرة الطيّبة ، التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، وأمّا الأظلة فإنهـــا[1] وجـــدت بتبعـــيّة النور من حيث هو نور ، لا من حيث هو أثر الســـراج ، ففاعل الظل إنما هو السراج ، لكن بواسطة نفس النور ، فهو الناظر إلى نفس النور ، لا إلى السراج ، فهي الشجرة الملعونة الخبيثة المجتثة التي هي فوق الأرض مالها من قرار .

فالنور إنما ينظر إلى السراج الناظر إلى مس النار ، الناظر إلى النار ، فلـــه أصل ثابت ، والظل إنما هو ناظر إلى النور نفسه ، لا من حيث كونه

(١) في (م) : فإنما .

أثر السراج ، فهو باطل ومنقطع ليس له أصل ثابت ، إذ لا ينظر إلى فاعله ومؤثره وموجده ، الذي جميع أموره ترجع إليه ، فهو الساجد للشمس من دون الله .

وبالجملة ، إنّ الظل والنور وجودهما بيد السراج ، فإذا أُخذ السراج يبطل الكل ، ولا شك أنهما لا يبقيان إلا بمدد السراج ، وإفاضة الفيض عليهما ، ولا شك أن السراج لو لم يكن يمدّ كلاً منهما من مبدئه لبطلا وفسدا .

مثلاً : إذا أمدّ النور بالظلمة [لبطل النور][1] ، وكذا بالعكس ، فيمدّ كلاً منهما من جنس ما يطلبه ، فيمدّ الأشعة بالنور والضياء ، ويمدّ الأظلة بالظلمة السوداء ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ** ﴾[2] إلى أن قال : ﴿ **كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً** ﴾[3] مضيفاً إلى ما سبق من الآيتين المذكورتين .

الحاصل ، إن الله سبحانه هو الجواد الكريم ، لا يُيئس أحداً ممّا طلبه وسأل منه ، وإلا لما كان حكيماً - تعالى ربي عن ذلك علوّاً كبيراً - فيعطي كل ذي حق حقه من الرحمة الواسعة ، رحمة العدل التي وسعت

---

(١) لم ترد في (م) .

(٢) سورة الإسراء : ١٨ .

(٣) سورة الإسراء : ٢٠ .

كـــل شـــيء ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[1] ، بتجلي اسمه الرحمن ، فافهم /م ١٢٨ .

فظهر لك من هذا الكلام - على سبيل الإجمال - أنّ القابليّة تزيد وتـــنقص ، ألا ترى الشخص يترقّى ، ويبلغ في العلم ، أو في شيء آخر ، إلى ما لم[2] يبلغ إليه أحد من أمثاله وأقرانه ، بعد ما كان جاهلاً بليداً .

فلـــو كانت القابليّة التي في المرتبة الثانية في المرتبة الأولى ، يلزم أنّ يكون المعطي - جلّ شأنه - بخيلاً - تعالى عن ذلك - لأن الحق تعالى هو الذي يعطي العلم والمعرفة والبصيرة في الأمور على سبيل العموم والإطلاق، ولا شكّ أنّه تعالى إنّما يعطي بقدر القابليّة .

فلـــو كانت هذه القابليّة الثانية حاصلة للشخص ، ومع ذلك منعه الله تعـــالى ما يناسب قابليّته واستعداده كان بخيلاً ، وهو محال على الحق سبحانه وتعالى .

فثبـــت أنّهـــا ما كانت /ح ٥٠ حاصلة ، فازدادت بما ذكرنا لك سابقاً .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٦ .

(٢) لم ترد في (ح) .

وقد يكون الشخص عالماً فاضلاً في كمال الدقة ، لكن بعد مدّة - بالأسباب التي لا يسعني الآن بيانه - صار بعكس ما كان ، وليس هذا إلاّ من جهة نقصان قابليّته .

فــإذا صحّ هذا المطلب ، نقول : لا شك في عدم تناهي فيوضات الحق سبحانه ، ولا شك أيضاً في عدم وقوف العقل عن العبادة والطاعة ، بــل العقل لا ينظر إلى نفسه أبداً ، وإنّما نظره إلى الحق سبحانه ، لا يرى لنفسه إنّيّة ولا اعتباراً ولا تحقّقاً ، كيف وقد اضمحلّت ماهيّته ، واحترقت إنّيّــته ، كمــا في الحديــث المذكــور في كتاب البحار[1] ، وأمثاله من الكتــب[2]، وذكرنا شرحه في كثير من رسائلنا[3] ، سيما في شرحنا على الفوائد ، وعلى شرح الزيارة .

كــيف والعقل لا يلتذ بطعام ولا شراب ، ولا رئاسة ولا سلطنة ، ولا نكــاح ولا صورة حسنة ، ولا شيء مما يتعلقّ بالعوالم الصوريّة أبداً ، وإنّما التذاذه بالله وذكره ، وعبادته ومراقبته ، والخلوة معه ، ومناجاته .

---

(١) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٩٦/١، ك العقل ... ، أبواب العقل والجهل ، ب٢ حقيقة العقل ... /١ .

(٢) الكافي ، الشيخ الكليني : ١٠/١ ، ك العقل والجهل /١ . المحاسن ، البرقي : ١٩٢/١ ، ك مصابيح الظلم ، ب العقل /٥ . مشكاة الأنوار ، الطبرسي : ٤٣٥ ، ب٦ في ذكر عيوب النفس ... ، ف الثاني في صفة العقل /١ .

(٣) رسالة عبد الله بيك (مجموعة رسائل) ، الرشتي : ٢٣١/١ .

إذا أردت أن تعــرف صدق ما ذكرنا انظر في الذين غلبت عليهم جهتهم العقليّة ، هل يلتفتون إلى هذا العالم الجسماني الشهواني ؟ أبداً ، بل هــم أبــداً في الدعــاء والمــناجاة والذكر والفكر كالمؤمنين الممتحنين ، وكالأنبــياء المرسلين ، والملائكة المقرّبين ، وقد روي في الحديث إنّ الجنّة الــتي بــإزاء العقل - وهي جنة عدن - ليست مكان كل أحد ، بل فيها أنــاس مخصوصــون ، لا يلــتذون بالطعام والشراب ، والنكاح والحور والغلمان ، وإنّما التذاذهم بالمشاهدة والمراقبة .

فــإذا كان أمر هؤلاء كذلك /م ١٢٩ ، فما ظنّك بالعقل الكلّي أوّل الموجودات ، وأقربها إلى المبدأ ، وأشرفها ، وأعظمها شأناً ، وأرفعها مكانــاً ، وأقدمهــا رتــبة ، وأتمّها[١] مترلة ، به وجدت الأشياء ، ومنه استمدّت ، وإليه عادت ، فهو لا يرى لنفسه الوجود ، ولا يجد له الشهود، ولا يشاهد سوى المعبود .

فكيف يقف عن العبادة ، والذكر والتسبيح والركوع والسجود ، وقد صحّ إنّ كلّ ما قرب إلى المبدأ معرفته بربّه أكثر ، وكلّ ما كان معرفته أكــثر طاعــته أعظم ، ولذا ترى المؤمنين العارفين أكثر عبادة من غيرهم وأبناء جنسهم ، والأنبياء والمرسلين أعظم طاعة ، وأكثر عبادة من المؤمنين الممتحنين والعلماء العارفين ، ونبيّنا ﷺ أكثر عبادة من كلّهم وجميعهم .

---

(١) في (ح) ، (ل) : أمتنها .

مـــا من أحد من الخلق - على سبيل العموم - يصل عبادة سيّدنا ومولانـــا خاتم النبيين ﷺ ، والعقل أقرب الموجودات إلى المبدأ ، فكيف يقـــف عـــن العبادة والطاعة ، فهو في كل آنٍ في الترقّي والازدياد ، أبد الآبدين إلى غير النهاية ، لا غاية لهذا ولا نهاية ، وهنا كلام آخر يؤدّي هذا المطلب ، من جهة الكرويّة ، وسرعة الحركة وبطئه ، تركنا ذكره للتطويل.

[أنواع اللاتناهي]

فإنّ قلت : فإذا كانت الأشياء غير متناهية ، لا أوّل لها ولا آخر ، يلـــزم أن تكون قديمة ، وليست بحادثة ، إذ ليس شأن الحادث إلاّ النهاية ، والأزلـــيّة والأبديّة إنّما هو شأن القديم — تعالى شأنه — وقدم العالم عندك باطل .

قلـــنا : إنّ اللاتناهي إنّما كان قديماً إذا لم يكن فوقه شيء ، فهو القـــبل وقـــبل القبل ، والبعد وبعد البعد، ولا نقول هذا ، وإنّما نقول إنّ اللاتناهي الذي ادعينا ، إنّما هو في الرتبة الثانية ، رتبة المعلوليّة ، وهي رتبة الحدوث .

والله سبحانه فوق ما لا يتناهى ، وهو سبحانه وتعالى قبل القبل ، وبعـــد الـــبعد ، قبليّـــته نفس بعديّته ، وبعديّته نفس قبليّته ، أوّليّته نفس آخريّته، وظهوره نفس بطونه - تعالى شأنه وتقدّس - .

وليس كل ما لا يتناهى بقديم مطلقاً ، هذا العدد ومراتبه غير متناهية من جهة الأول والآخر ، وليس بقديم ، وكذا الزمان غير متناه ، وليس بقديم ، ولا يلزم من عدم تناهي الشيء قدمه ووجوبه ، مع أنّ المتكلّمين صرّحوا في كتبهم[1] - كما هو معتقدهم - أنّ مقدورات الله سبحانه وتعالى غير متناهية ، ولا يقولون بقدمها لمكان عدم المنافاة /م ١٣٠ .

ولا يقال : الله سبحانه وتعالى غير متناه ، إذ لا يوصف الحق تعالى بصفة التناهي وعدم التناهي ؛ إذ لا يجوز أن يقال إنّه تعالى قبل خلقه وإيجاده بأمور متناهية ، ولا بالغير المتناهية ؛ إذ الصورة الأولى تستلزم اتصال الحادث بالقديم ، وهو يستلزم المشابهة ، ضرورة وجوب تناسب المتّصلين في الملتقى ، وإلاّ فلا يصح الاتصال ، هذا خلف .

والصورة الثانية تستلزم عدم الكون مطلقاً ، لأنّ كل وقت تفرض الانتهاء فله انتهاء إلى غير النهاية ، فلا يقف على حدّ يستلزم وجود الكون.

الحاصل ، إنّه يجب علينا أنّ ننزّه الحق سبحانه عن كلّ الصفات الإمكانية على سبيل العموم والاستغراق ؛ لأنّ الصفات من مقتضيات

---

(١) فصوص الحكم ، ابن عربي : ٥٤ . الأسفار ، الشيرازي : ٣١٨/٧ .

الـــذوات على ما نعرف ، ولا يقتضي الناقص إلاّ الناقص مثله ، فلا يجوز اتّصاف أحد المتباينين بصفات الآخر ، كما لا يخفى على أولى النهى .

فثبـــت أنّ القول : بأنّ عدم تناهي الموجودات والممكنات يستلزم القول بقدم العالم باطل .

[معنى قدم العالم]

نعـــم نقـــول بقدم العالم ، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبـــته[1] في وصـــف الرسول صلى الله عليه وآله : (**استخلصه في القدم على سائر الأمم**)[2] ، وقال الله تعالى : ﴿ **حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾[3] .

وهـــذا القدم لا ينافي الحدوث بوجه أبداً ، وبعض الناس فهموا أنّه ينافي الحدوث ، حكموا بكفر القائلين بهذا القول ، وما عرفوا أنّه قول الله

---

(١) في (م) : خطبة .

(٢) مصباح المتهجـــد ، الشيخ الطوسي : ٧٥٣ ، ذو الحجة ، خطبة أمير المؤمنين يوم الغديـــر /١١٢ . إقـــبال الأعمال ، السيد الحسني : ٢/٢٥٥ ، ب ٥ ، فيما نذكره مما يختص بعيد الغدير ... ، ف ٥ ، فيما نذكره من فضل عيد الغدير ... . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي: ٩٤/١١٣ ، ب ٦٠ ، فضل يوم الغدير وصومه /٨ .

(٣) سورة يس : ٣٩ .

ورســـوله وأهل بيته صلوات الله عليهم ، وسيأتي الكلام[١] في هذا إن شاء الله تعالى في خلال الكلام .

[الفيض لا ينقطع]

والقـــائل بصحّة انقطاع فيض الحق تعالى عن الخلق ، إنّما يخبر عن نفســـه الـــتي قطـــع عنها الفيض الوجودي النوري ، يعني لا يقبل ؛ لعدم القابلية، لا أنه انقطع عنه الفيض ، بل لا يقبل الفيض الأولي ، وإنّما يقبل الفيض الثانوي ، الذي من ظلّ الأولي ، فالمسكين صادق في إنكاره ، مثل الظلمة إذا أنكرت النور ، لكن لسان حالها يشهد بوجوده .

وكذلـــك الجـــدار إذا أنكر النور الذي في المرآة ، الذي هو مثال الســـراج والشـــمس الملقـــى في هويّتها ، لكن لا يمكن إن يقال إنّ فيض الشـــمس والسراج انقطع عن الجدار ، وما انقطع عن المرآة ، بل فيضهما واحد ، ونورهما واحد ، وإلاّ فالألسنة الحاليّة للموجودات - من المنكرين والمقـــرّين - كلّهـــا شاهدة بأنّ الله سبحانه : ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ** /ح ٥١ **فِي شَأْنٍ** ﴾[٢] ، /م ١٣١ من أيّام الشأن لا الأيّام المعروفة ، وأنّهم ﴿ **فِي لَبْسٍ**

---

(١) انظر : ٢/٢٢٨ ، ٣/١٠٦ ، ١١٣ .

(٢) سورة الرحمن : ٢٩ .

مِـــنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1] ، لكن بعضها يوافقها الألسن المقاليّة ، وبعضها لا يوافقها ، إذ لا يلزم التوافق بين اللسانين الحاليّ والمقاليّ .

فثبـــت بالبراهين القاطعة ، والدلائل الواضحة ، المأخوذة عن العترة الطاهـــرة - صلوات الله عليهم أجمعين - أنّ العقل الكلّي والنور المحمّدي ﷺ في كـــلّ حين في الترقّي والازدياد بما ليس له زوال ولا نفاد ، وكذا العقول الجزئية التي هي أشعّة أنوار العقل الكلّي ، إذ كلّ ما في المنير يكون في الـــنور بالتبعيّة ، ولذا قال عليه السلام في الدعاء : (**لا فرق بينك وبينها إلا أنّهـــم عـــبادك وخلقـــك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك، وعودها إليك**)[2] ، وقد خرجنا عن المقام ، فلنرجع إلى ما كنّا فيه .

[٥ - حياة الروح الكلية] :

فـــنقول : إن دون مرتبة العقل الكلّي السراج الوهّاج ، الذي هو معـــدن المعـــاني المجرّدة عن الصور النفسيّة والجسميّة ، وعن المدّة الملكوتيّة الدهـــرية ، والمثالية ، والزمانيّة بجميع مراتبها ، وأقسامها ، على ما ذكرنا ســـابقاً[3] ، مرتبة الروح الكلي النور الأصفر ، الركن الأسفل الأيمن من

---

(١) سورة ق : ١٥ .

(٢) سبق تخريجه : ١/١٧٩ .

(٣) انظر : ٢/١٣٦ .

العرش ، وهو البرزخ الكلّي في الوجود المقيد ، أي الرقيقة أول التميّز والتعيّن ، أعلاه أسفل أعلى الدهر، وأسفله أعلى الدهر[1] ، والملكوت ، وهو على شكل ورق الآس ، على هذه الصورة : وصورته في الحروف نحو كتابة الباء في بسم الله الرحمن الرحيم على هذا النهج : لـ .

وهو أوّل تعيّن العقل ، أي تنزّله عن مقامه ، وأول امتثاله لقوله تعالى أدبر وأقبل[2] ، على اختلاف الروايتين .

فحياته بتنزّل العقل الكلّي في هذه المرتبة ، وظهوره فيها ، وانبعاث الجزئيّة منه انبعاث الشعاع من المنير .

وموته بغيبوبته في المقامات السفليّة ، وعدم ظهور آثاره فيها بجميع المراتب .

فإطلاق الحياة على هذا الموجود الشريف ثاني غصن نبت من شجرة الخلد ، الحيّ بالذات والعرض على الحقيقة ، لكن تحت تلك الحقيقة الكليّة الأوليّة ، أي أول غصن من شجرة الخلد .

يعني أن هذا اللفظ إنما وضعه الواضع عند وجود تلك الحقيقة المقدسة بإزائها ، فلما وجدت بعدها هذه الحقيقة بالأولى استحقّ لهذا

---

(١) في (ح) : أعلى عالم الزمان .

(٢) سبق تخريجه : ١٣٣/٢ .

الاســـم ، لـــيس /م ١٣٢ اشتراكاً معنويّاً ، لعدم الحقيقة الواحدة الجامعة بدليل التقدّم والتأخّر .

نعم ، لك أن تقول بالاشتراك المعنوي ، إذا لاحظت الحياة الأوّليّة السارية في جميع الحيوانات على الإطلاق ، من أوّل العقل إلى الثرى ، وهي أحد جزئي العقل ، الحياة الأوّليّة التي تحت الحياة الأوّليّة على ما حرّرنا .

[٦ – حياة النفس الكلية] :

ثمّ دون تلك المرتبة مرتبة النفس الكلّيّة ، وهي أوّل التصور والتعيّن المتمايزة المعلومة المتحقّقة ، الذرّ الثاني و[١] الثالث ، إذ الأول مقام السعادة والشقاوة ، ولها مرتبتان :

مرتبة التمام والتحقق .

ومرتبة الكمال والتذوّت .

فالأولى على أربع مراتب مختلفة ، متعددة بالذات والحقيقة ، وهي: النفس النباتيّة ، والحيوانيّة ، والإنسانيّة ، والملكوتيّة الإلهية .

وكـــل مـــنها لهـــا حـــياة وممات ، مذكورة في حديث الأعرابي وكميل[٢]، كما ذكرنا في شرحنا على الفوائد .

---

(١) في (ح) : أو .

(٢) قرة العيون ، الكاشاني : ٣٦٣ . علم اليقين ، الكاشاني : ٣٦٩/١ ، المقصد ٢ ، فصل ٨ . مستدرك نهج البلاغة ، آل كاشف الغطاء : ١٥٤ .

والثانية على سبع مراتب ، وهي : الأمّارة ، اللوّامة ، الملهمة ، والمطمئنة ، والراضية ، والمرضيّة ، والكاملة .

وهذه المراتب تختلف بالكمال والنقصان ، والشدّة والضعف ، والنورانيّة والظلمانيّة ، والشرافة والكثافة ، كما ذكرنا في شرحنا على شرح الزيارة الجامعة .

فالنفس الأمارة ميتة ، فإذا ماتت حييت ، فحياتها في موتها ، وموتها في حياتها .

واللوّامة فيها بعض الحركة ، مثل البرازخ التي بين الحيوانات والنباتات ، الغالبة عليهم جهة الحيوانيّة ، لكن فيها من الأوصاف النباتيّة كما هو المعلوم من ملاحظة أحوال بعض الحيوانات - أي البهائم - .

والملهمة فيها الحياة التامة الحيوانيّة الفلكيّة ، وتمام مرتبة القابليّات قوى اللام ، وثلاثون ليلة لميقات موسى .

والمطمئنة هي تمام ميقات موسى أربعون ليلة ، وفيها الحياة الإنسانيّة القدسيّة .

أوّل مقامها مقام (**ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله بعده**)[1] .

---

(١) الكهف والرقيم ، الجيلي : ١١ .

وثاني مقامها مقام (**ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله معه**)[١] .

وثالثها مقام (**ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله**)[٢] .

فإذا استقرّت في هذا المقام تكون لائقة لخطاب (أقبل) ، الذي هو المعـراج المشار إليه بقوله :﴿ **ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾[٣] ، فلما رضـيت عن الله تعالى ، وما رأت لنفسها تحقّقاً وإنية ، وفارقت الأضداد بتكرير التعفين والتقطير ، رضي الله تعالى عنها ، فتكمل مشاركتها بالسبع الشداد .

فحياة المراتب الثلاثة /م ١٣٣ الأخيرة بالنور الصرف ، المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُـوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** ﴾ .

والمرتبة الأولى حياتها بظلمة صـرفة ، المشـار إليها بقوله تعالى : ﴿ **كَمَـنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** ﴾[٤] ؛ لأنها مقام ملاحظة الكثرة المحضة ، وهي الظلمة ، لكون طبعها البرودة واليبوسة ، طبع الموت والهلاك والفناء .

---

(١) سبق تخريجه : ١/٣١٨ .

(٢) سبق تخريجه : ١/٣١٨ .

(٣) سورة الفجر : ٢٨ .

(١) سورة الأنعام : ١٢٢.

والمراتب الثلاثة الباقية فحياتها بالنور المختلط بالظلمة ، وإلاّ كانت المراتـــب أربعة ، إلاّ أنّ في المرتبة الأولى الظلمة أكثر من النور ؛ لقربها إلى المخـــروط الظـــلماني ، والمرتبة الثالثة نورها أكثر من الظلمة ؛ لقربها إلى المخروط النوراني ، والمتوسط متوسّط كما لا يخفى .

لكـــن ليس هذه المراتب متعددة بالذات والحقيقة ، كما في المراتب الأولـــية المذكورة الأربعة ، بل هي واحدة ، لها ترقّيات وتنزّلات ، فبكل ترقٍ وتنزل تستحق لاسم يناسب ذلك الترقي أو التنزل .

مثالها : الشجرة الطورية في تنزلها إلى مقام الجماد ، الذي هو أدنى المقامـــات وأسفل الدرجات ، وترقّيها إلى مقام المعدن ، ومنه إلى النبات ، ومـــنه إلى الحيوان ، ومنه إلى الإنسان ، ومنه إلى الكمال الذاتي الحقيقي ، وهي شجرة واحدة بعينها ، كما لا يخفى .

فـــإذا عرفت حياة تلك المراتب تعرف موتها بمقابلاتها وأضدادها ، وســـيجيء[1] البحـــث في الموت وكيفيّة تحقّقه /ح ٥٢ وتذوّته ، وكيفيّة إيجـــاده وصـــدوره من المبدأ ، وكيفيّة حياته وموته ، وذبحه بصورة كبش أملح بين الجنّة والنار[2] ، على أتم تفصيل إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر : ٣/٥٦ .

(٢) تفســـير القمي ، القمي : ٢/٥٠ ، سورة مريم ، آية : ٣٩ . مجمع البيان ، الطبرسي : ٦/ ٤٢٤ ، ســـورة مـــريم ، آية : ٣٩ . صحيح البخاري ، البخاري : ٥/٢٣٦ ، ك تفسير القرآن ، كهيعص .

[٧ – حياة الطبيعة الكلية] :

ثم دون تلـــك المرتبة مرتبة الطبيعة الكلّية ، النور الأحمر الذي منه احمرت الحمرة ، وهي الطين الذي رجعت الأرواح السعيدة والشقيّة إليه ، وأوّل موت الأنوار المجردة عن المادة المثالية والجسميّة .

فحياتها بتنـــزّل العقل النور الصوري النفسي إليها ، وخفاؤه فيها ، فـــإطلاق الحياة عليها أيضاً على سبيل الحقيقة بعد الحقيقة ، كما دريت[1] في المراتب الفوقيّة .

[٨ – حياة المادة الجسمانية] :

ثم دون تلك المرتبة مرتبة المادّة الجسمانيّة ، وحياتها على قسمين :

حياة في مرتبة ذاتها وحقيقتها ، مع قطع النظر عن تنـــزّلها إلى مقام ورتبة ، وظهورها في مظهر /م ١٣٤ ، وبروزها في موضع .

وحـــياة بالنسبة إلى ظهورها وبروزها في عالم الأجسام ، وترتّب الآثار والأحكام عليها .

---

(١) انظر : ٢/١١٠ .

فموت المرتبة الثانية لا ينافي حياة المرتبة الأولى ، بلا عكس ، فحياة المرتبة الأولى لا تقتضي الحياة في الثانية ؛ لأن ظهور الشيء ليس من مقتضيات ذاته ، كما لا يخفى .

أما حياته الأولية فهي بجزئيه اللذين هما عبارة عن النور المجرد ، الناشيء عن فعل الله تعالى ، القائم بأمره ، النازل إلى هذه المرتبة بتوسط الطبيعة ، المتحدد بحد الإبهام ، والمتعين بتعيّن الشمول في الأجسام ، والمتشخص بتشخص الصلوح للنقش والارتسام ، وهي من عالم الغيب ، وهو تحقّقها في ذاتها ، فموتها باختلال أحد الأجزاء .

وأمّا حياتها الثانويّة فهي بانضمامها بالصورة والمثال ، وتنزلها إليها ، فلا تظهر المادّة إلا بالصورة .

والمراد بالمادة المادة الجسمانيّة ، وبالصورة الصورة كذلك ، وليس المراد بهما المادة المطلقة ، والصورة المطلقة ، كما ذكرنا سابقاً[1] ، فموت هذه المرتبة من هذه الحيثيّة بالافتراق بينهما ، ونعم ما قال :

حيات من نه به جان وممات من نه به مرگ[2]

من الوصال حياتي من الفراق مماتي

فافهم ، والعن من فرّق بين المادّة والصورة .

---

(١) انظر : ١٣٥/٢ .

(٢) في (ح) : بمرك .

[٩ – حياة الصورة] :

ثم دون تلك المرتبة مرتبة الصورة ، عالم المثال والبرزخ ، وفيه الجنّة الـتي فـيها غدوّاً وعشيّاً ، وخلق فيها آدم وحواء ، والجهة العليا تسمّى هورقلـيا ، وجهتي الشرق والغرب تسمى بجابلصا وجابلقا ، وفيه النار ، وجحيم الدنيا في وادي حضرموت بئر برهوت .

وهي التي ينظر إليها الشخص في المرآة ويرى الطائف في الطيف .

فحياته بالذات بالنور الواحد ، الساري في المراتب كلّها ، المتنـزّل إلى هـذه المرتـبة بتوسّـط المـادة والحد الصوري الكلّي العام الشامل ، وبـالظهور ، باعتبار تقارها بالمادة ، وإلا فهي من حيث إنها نور مجرّد من عـالم الغيـب كما ترى من الآيات الآفاقية والأنفسيّة ، وموتها بالمفارقة والمهاجرة في الثانية ، واختلال أحد الأجزاء في الأولى .

[١٠ – حياة الأجسام] :

ثم دون تلـك المرتـبة مرتبة الأجسام ، بقول مطلق من أول فلك الأفـلاك إلى الـثرى /م ١٣٥ ، وحياة هذه المرتبة بجزئيها الذي هو المادّة والصورة ، وبعبارة أخرى الهيولي والصورة .

ونعني بالصورة المشخصات الستّة ، من الكمّ والكيف ، والجهة والرتبة ، والزمان والمكان ، كما سنذكر[١] - إن شاء الله تعالى - .

وإطلاق الحياة على هذه المرتبة على الحقيقة والواقع ، وإلاّ فهي مظهر اسم الله المميت ، وقد ماتت فيها جميع المراتب العالية الفوقيّة ، التي في تمام الإدراك والشعور والاختيار ، بحيث توهم جماعة[٢] أنه ليس في هذه المرتبة حياة ، ولا إدراك ولا شعور ، ولا اختيار ولا تكليف ، ولذا خصوا ما فوق النباتات بالحيوان ، وليس هذا إلا من جهة عدم إحساسهم بذلك ظاهراً ، لعدم ظهور هذه الأمور فيها ، كما في غيرها ، وهذا آخر مراتب التنزّل ، وأدنى مقامات الإدبار .

[الترقي في قوس الإقبال] :

فلمّا وصل في مقامات التنزّل إلى هذه المرتبة أمره الله سبحانه بدعائه [فطلبه][٣] بالإقبال ، فقال أقبل ، فامتثل لقوله تعالى[٤] .

---

(١) لم يتكلم المصنف قدس سره عن ذلك ، ولكن انظر : ٢/٢٩٣ .

(٢) مفردات غريب القرآن ، الأصفهاني : ١٣٨ . شرح المواقف ، الجرجاني : ٢/٤١ .

(٣) في النسخ : مطلبه .

(٤) إشارة إلى قوله عليه السلام : (**أقبل ، فأقبل**) ، وقد سبق تخريجه : ٢/١٣٣ .

[١ – مقام النبات] :

فـــأوّل ما ترقى وصعد إلى مقام النبات ، فظهرت فيه النفس النامية النباتيّة ، التي أصلها العناصر ، ومقرّها الكبد ، ومادّهّا من لطائف الأغذية، وفعله النموّ والذبول ، والزيادة والنقصان[١] ، فحياة تلك المرتبة النباتيّة – الـــتي هي عبارة عن أوّل امتثاله ، بقوله تعالى أقبل وأدبر – بالنفس النامية النباتيّة المذكورة .

[٢ – مقام الحيوان] :

ثم يـــترقّى إلى مقام الحيوان ، يعني ظهور النفس الحيوانية الفلكيّة ، الـــتي أصـــلها الأفلاك ، ومقرها الكبد ، وفعلها الحركة والظلم والغشم ، وســـبب فـــراقها تخلّل الالآت الجسمانيّة ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بـــدأت، عود ممازجة لا عود مجاورة ، فحياة هذه المرتبة بالنفس الحيوانيّة

---

(١) كـــلام المصنف تدّسّ عن الترقي هنا وما بعده مقتبس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، انظر : قرة العيون ، الكاشاني : ٣٦٣ . المشاعر ، الشيرازي : ١١٩ .

المعـــبّر عنها في الأحاديث[1] بروح المدرج ، وهذا ثاني امتثاله لقوله تعالى أقبل .

[٣ – مقام الإنسان] :

ثم يـــترقى ويصـــعد إلى مقام الإنسان ، يعني ظهور النفس الناطقة القدســيّة الإنسانيّة ، التي أصلها العقل ، ومقرّها العلوم الحقيقيّة ، وسبب فــراقها تخلل الآلات الجسمانيّة ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مجاورة لا عود ممازجة .

[٤ – مقام الجامع] :

ثمّ يـــترقّى ويصـــعد إلى مقام الجامع ، فيظهر فيه النفس الملكوتيّة الإلهيّة، وهذه النفس لها جهات وحيثيّات واعتبارات ، فبكل وجه وتوجّه يـــتوجّه إلى مرتبة من المراتب ، التي فوق مراتب الإنسانيّة المعروفة ، ذوي

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني : ١/٢٧٢، ك الحجة، ب فيه ذكر الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام /١.
بصائر الدرجات ، الصفار : ٤٦٦/٩ ، ب١٤ ما جعل الله في الأنبياء والأوصياء ... /١.
تفسير فرات الكوفي ، فرات الكوفي : ٤٦٥ ، سورة الواقعة /٦٠٨ .

النفس الناطقة الإنسانيّة ، المترقّية[1] /م ١٣٦ عن رتبة البهيميّة ، فتختلف المراتب باختلاف الأنبياء والمرسلين في التوجّهات .

وهذه النفس بكلّها ، وجميع مراتبها ، وحيثيّاتها ، ليس إلا في ذات كاملة جامعة لجميع الصفات والكمالات الجماليّة ، المنزهة عن كل الصفات الجلاليّة ، التي هي مسمّى اسم الله تعالى ، التي هي الاسم الأعظم الأعلى .

فالمراتب العالية النازلة السابقة كلها حيوانات ، أي ذوات حلّت فيها الحياة ، في كل مقام ومرتبة بحسبها ، فحياتها لمراتبها التي هي غير ذاتها، وتكون كل منها حياة لهذه المراتب الصاعدة بعد نزولها ، فحيوانية هذه الحيوانات بتلك المراتب ، ولولاها لماتت ، كما لا يخفى على العارف الفطن .

ثم اعلم أنّ المراتب الحاصلة عند الإقبال /ح ٥٣ ، وامتثال المخلوق الأوّل بقوله أقبل ، الظاهرة فيها صفة الحيوانيّة ، حياتها بأمور ثلاثة ، وإن كانت بجميع المراتب المتقدّمة العالية النازلة السابقة الآخرة ، إلا أنه هذه الثلاثة هي أصول النشآت ، وكل المراتب غيرها مندرجة فيها .

بل هنا مراتب لا دخل لها في الحياة - أي الظهور - في عالم الإدراك والشعور والاختيار ، بل مراتب لجهة تنزلات تلك المراتب

---

(١) في (ح) : الترقية .

العالـــية ، وكســـرها وصوغها ، مثل الطبيعة والمادّة والجسم قبل النضج والاعـــتدال ، الذي هو مظهر اسم الله المميت ، ولا دخل لها في الحياة من حيث هي حياة ، وإن كان لها دخل في ظهورها ، وترتب آثارها عليها ، وهو غير ما نحن بصدده .

وأما المثال وإن كان له دخل فيها لكنّه تابع للنفس ، بجميع ماله من الظهور والإدراك والشعور ، ولونه كلونها ، وطبعه كطبعها .

وأمـــا الـــروح وإن كان تابعاً للعقل في كلّ ما له ، لكن فيه من الأمـــور المخصوصة به ما ليس في غيره ، وله آثار وأوضاع ، تترتّب عليها أحكـــام مخصوصة ، ولذا ترى الحكماء[1] يفردونه في الذكر في كثير من المواضع ، وإن كان يمكن استخراج أحكامه بالنظر إلى العقل والنفس ؛ لأن في جهـــته العلـــيا أحكام العقل ، وفي جهته السفلى أحكام النفس ، لكن معرفتها مشكل جدّاً .

ولمـــا كان متعلّقاً بالحياة ، بل هي نفس الحياة ، نفرده في الذكر ، بخلاف المثال ، كما لا يخفى .

وإذا أردت معرفة هذه الأمور بالمعرفة الكاملة -إن شاء الله تعالى- فانظر في هذا الشكل بعون الله تعالى /م ١٣٧ :

---

(١) تلخيص المحصل ، الطوسي : ٣٨٦ . الحدود والفروق ، البغدادي : ٧٣ .

الحياة الحيوان	العقل	الروح	النفس
الجامع عليه السلام	الحبيب والمحبوب الذي أكمل الله فيه العقل المدبر المقبل .	النور الأصفر والبرزخيّة الكبرى الثانية البراق الذي ورد الأصفر من عرقه .	النفس الملكوتيّة الإلهية ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى.
الإنسان	الشعاع بمراتبه الذي هو جهة الكلي والتفاتاته وعناياته .	﴿ بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ .	النفس الناطقة القدسيّة التي أصلها العقل ومقرّها العلوم الحقيقيّة.
الملك	شعاع الشعاع وظهور الظهور الغالب عليهم جهة النورانية كما لا يخفى .	الرقيقة التي صفتها الصعود من شعاع ما تقدّم من المراتب .	النفس القدسيّة التبعيّة﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .
الجن	الشعاع الغالب عليه جهة الظلمات بحيث يكون كالظلّ .	الرقيقة القشريّة العرفيّة الفاضليّة الفرعيّة الطلّيّة .	النفس الحيوانية الفلكيّة وقد يحصل له الترقي ما لا يحصل لغيره بتصفية النفس.
البهائم	بعد اتصاله بالمبدأ وإشراقه عليه بحيث ظنّوا أنه معدوم فيه وليس كما يظنّون .	جهة العليا متصلة في الحكم إلى السماء البيت الفوقاني .	النفس الحيوانيّة الفلكيّة أصلها الأفلاك ومقرّها الكبد وفعلها الظلم .
النباتات	حاله في ظهور المبدأ فيه كالبهائم بل أشد ولذا حكموا عليه بعدم الإدراك والعقل .	دقيقة خفيّة جداً بحيث من ليس[1] له بصر حديد لا يراها .	النفس النامية النباتيّة التي أصلها العناصر ومقرّها الكبد وفعلها النموّ والذبول.

(١) لم ترد في (ح) .

[الجامع وأشعته]

اعلم أن الجامع عليه السلام هو المبدأ ، وكلّ ما تحته من المراتب المذكورة من أشعته وجزئيّاته ، وهذا الذي ذكرنا في هذه البيوت هو مرتبة الشعاع في نفسها ، وإلا فالكل متساوق من جهة الشعاعيّة ، لكن لما كانت هذه المراتب هي الأصول في الإقبال ذكرناها بالأصالة والانفراد ، وإن كان هنا - يعني في مراتب الإقبال - مراتب ومقامات ، مثل مقام آل محمد - سلام الله عليهم - والملائكة العالين ، والملائكة المقرّبين ، والملائكة الكروبيّين ، والأنبياء والمرسلين ، وغيرهم من المراتب والدرجات ، إلا أن بعضها يرجع إلى بعض ، وليس كلّ واحد منها أصلاً برأسه وشخصه ، بل يدخل أحدها في /م ١٣٨ الآخر ، كما لايخفى على من له أدنى مسكة وتأمل .

فإذا عرفت ما قدّمنا لك من بيان مراتب الحيوانات ، وترتّبها في مراتبها ، عرفت أنها ليس في الجميع على طور واحد ، ونهج غير متعدد ، بل حياة كل شيء هو ما يناسب ذلك الشيء في ذاته وطوره .

ولا ريب أن الحيوانات متعدّدة ، مترتبة بالعليّة والمعلوليّة ، والأثرية والمؤثرية ، فلا يجوز أن يكون إطلاق الحياة على الجميع بمعنى واحد ، أي بالاشتراك المعنوي فيكون الإطلاق في البعض بالاشتراك اللفظي ، وفي الآخر بالاشتراك المعنوي ، على تفصيل ما بيّنا لك .

فالحي في الحقيقة والواقع اسم للذات المقدسة ، التي كل الحيوانات مـــن آثاره وأفعاله ، فجميع الأشياء الحيّة مظهر لاسمه الحيّ بل هو عينه – أي الاسم والصفة – وقد بيّنا[1] أن الأسماء على قسمين :

حقيقة ذاتيّة .

ولفظية اسميّة .

والأسمـــاء اللفظيّة الاسميّة أسماء للأسماء الحقيقيّة الذاتية ، فهي اسم الاســـم ، وصـــفة الصفة ، ولاشك أن اسم الاسم اسم بالطريق الأولى ، وهـــذا [ما] سنح بخاطري الفاتر – حال الكتابة – من بيان الوجه الأول من الوجوه الأربعة ، التي هي بيان اسم الحيّ .

---

(١) انظر : ١/٢٠٠ .

[الوجه الثاني

الكلام في ﴿ القيوم ﴾]

[القيوم من الصفات الفعلية]

وأما الوجه الثاني : أي القيّوم ، فاعلم أن القيّوم هو القائم بذاته ، والمستقوم بـه غيره ، وهذا ليس من الصفات الذاتيّة - كالحيّ - لصحة السلب ، ولاعتبار الخلق في مفهومه ، إذ من البيّن أنّه ليس قيّوماً في مرتبة ذاته ، /ح ٥٤ وإلا لكان الخلق في رتبة ذاته ، وعلى هذا يلزم إما أن يكون الحق سبحانه وتعالى حادثاً ، أو الخلق قديماً .

والقـول : بأن الماهيات ليست بمجعولة[١] ، بل هي قديمة مستجنّة في غيب الذات استجنان الشجرة في النواة ، فيصح قيّوميّته بحسب الذات والحقـيقة ، كلام باطل ، وقول زور ؛ لأن بطلان قدم الحقائق والماهيات أظهـر مـن الشمس ، وأبين من الأمس ، لا يشك فيه العارف[٢] ، وأما الجاهل فلا اعتناء بشأنه ، ولا يصغى لكلامه .

والقول بأن القيوم صفة ذاتيّة باعتبار المبدأ والأصل ، كما قالوا في الكـلام[٣] ، وقالوا[٤] إن المتكلّم من الصفات الذاتيّة من جهة المبدأ ، بل

---

(١) نقد النصوص ، الجامي : ٤٣ . الشواهد ، الشيرازي : ٧١ . المشاعر ، الشيرازي : ٨٤ .

(٢) في (ح) : عاقل .

(٣) تفسير ملا صدرا ، الشيرازي : ٨٧/٤ .

(٤) كشف الفوائد ، الحلي : ١٨٩ . علم اليقين ، الكاشاني : ١٠٦/١ .

عمّمــوا القول في جميع الصفات الفعلية ، من أنها باعتبار المتعلق حادثة ، وباعتــبار المــبدأ قديمة[1] ، ولا اختصاص له بصفة دون صفة ، أي صفة كانت من تلك الصفات ، باطل فاسد ؛ لأن /م ١٣٩ مبدأ هذه الصفات ليس إلا العلم والقدرة ، وهما صفتان ذاتيّتان ، وليس هنا كلام أو خلق أو تقويم أوغير ذلك .

فإنّ الذات قبل إظهار صفة من الصفات ، واسم من الأسماء قادرة علــيها ، وعالمة بها ، وليس فيها إلا العلم والقدرة ، إذ من الضروريّات أن الشــيء لا يوصــف بالمشــتقّ قبل وجود المبدأ ، فلا يقال متكلم قبل أن يــتكلّم، ولا خالق قبل أن يخلق ، وإلا يلزم أن يجوز إطلاق الكاذب على من لم يكذب ، والظالم على من لم يظلم ؛ لأنه في مرتبة ذاته كان قادراً أن يكــذب أو يظــلم ، وهذا لا يجوّزه جاهل ، فضلاً عن فاضل ، كما لا يخفى.

[القيوم وجامعيته لمعنى الأسماء والصفات]

فظهــر أنّ القيّوم ليس من الصفات الذاتيّة - كالحيّ - بل هو من الصفات الفعلية ، والأسماء الأفعاليّة ، لكنّه اسم جامعٌ بالمعنى لجميع الأسماء والصفات الفعلية ؛ لأنه إذا ثبت أن الله تعالى قيّوم - أي قوام كل الوجود

---

(١) المبدأ والمعاد ، الشيرازي : ٨٨ .

والموجــود بــه ، وناصية كلّ شيء بيده - يثبت اتصاف الكامل سبحانه وتعالى بجميع الصفات والكمالات المتعلقة بالحوادث والمخلوقين .

فهو العالم القادر ، السميع البصير ، المدرك المريد ، المنشئ المبدئ ، الـــبديء البديع ، الخالق الرازق ، المحيي المميت ، الباعث الوارث ، الرحمن الرحيم ، القهّار الجبار ، المتكبّر الحكيم ، الحليم الرؤوف الرحيم ، وأمثال ذلك من الأسماء والصفات الفعلية ، وكلها تحت هذا الاسم الشريف .

[سبب الإتيان به في هذه الآية الشريفة]

وللـــذات الظاهـــرة بهذا الاسم هيمنة وتسلّط على كلّ شيء من الأشـــياء ، وكل موجود من الموجودات من الأعيان والإمكان ، والذوات والصـــفات ، والحقـــائق والأسماء ، ولا شك أن كل شيء من الأشياء إنما وجد باسم من الأسماء الفعلية ، الخاصة بذلك الموجود .

ولّمـــا كان كل ما سوى الحق - تعالى شأنه - إنما هو من آثار هذا الاســـم الشريف ، كان جميع الأسماء من أتباع هذا الاسم الشريف ، ولذا أفرده الله سبحانه وتعالى في الذكر بعد (الحي) ، وبعد (هو) ، وبعـــد

(الله) ، في هذه الآية الشريفة ، التي هي سيّد الآيات على النهج المرويّ[١] عن أهل البيت عليهم السلام .

فأثبت بقوله : (الحي) اتصاف الكامل سبحانه بجميع تفاصيل الكمالات الحسنة ، والصفات الجلاليّة والجماليّة الذاتيّة ، وغيرها ، وبيان اتصاف الكامل بالكمال مطلقاً .

وأثبت بقوله : (القيوم) تفاصيل جميع الصفات والكمالات الحادثة الفعلية المخلوقة ، المتعلقة بالحوادث و /م ١٤٠ المخلوقين ، على ما بيّنّا لك ، فيمكن لنا أن نعرف هذا الاسم المبارك بكل وجه ، ولو بالوجه بخلاف (الحيّ) ، حيث جعلناه من الصفات الذاتية ، كما سبق[٢] فإنا لا نعرف بكل وجه ولو بالوجه ، كما لا يخفى ، هذا ما يتعلقّ بلفظ القيّوم.

---

(١) المجازات النبوية ، الشريف الرضي : ٣٣٣/٤١٤ . سنن الترمذي ، الترمذي : ٢٣٢/٤ ، أبواب فضائل القرآن ... ، ب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي / ٣٠٣٨ . تفسير ابن كثير ، ابن كثير : ٣٤/١ ، سورة البقرة .

(٢) انظر : ٩٩/٢ .

[أقسام القيام]

وأما القيام : فاعلم أنّه على أربعة أقسام :

قيام صدوري .

وقيام ظهوري .

وقيام تحققي .

وقيام عروضي .

[أ – معنى العرض والجوهر]

وهـــو معنى العرضيّة ، ويظهر معنى الجوهر بمقابلاتها ؛ لأن العرض هـــو الذي لا يقوم بنفسه ، بل يكون قائماً بغيره ، فالقائم بالشيء عرضيّ له، والشيء الذي يقوم به الشيء جوهر ، وهذا القيام على أربعة أقسام ؛ وهـــو تمام الوجود وكماله ، فكل شيء فهو جوهر من وجه ، وعرض من وجه ، وتنتهي السلسلة إلى جوهر الجواهر ، الذي قال الشاعر فيه :

يـــا جوهـــراً قام الوجود به   والناس بعدك كلهم عرض

وقال ابن أبي الحديد[1] :

صـــفاتك أسمـــاء وذاتك جوهر بريء المعاني عن صفات الجواهر
يجل عن الأعراض والكيف والمتى ويكـــبر عـــن تشبيهه بالعناصر

والحاصل ، إن العرض ليس خاصاً بما يحلّ في الجسم ، وإلا يلزم ألاّ يكـــون الكـــلام عرضـــاً للمتكلم ، لكونه قائماً ، وحالاً بالهواء المجذوب المدفوع ، كما لا يخفى .

[ب - علة كون القيامات أربعة] :

فـــالذي لا يكون قائماً بنفسه في الخارج ، بل يحتاج إلى غيره في تقوّمـــه ، فهو عرض في الجهة التي يتوقّف على ذلك الشيء ، فهو لا يخلو عن حالات أربعة ، لأنه لا يخلو :

إما إنه لا وجود ولا ثبوت له أصلاً بوجه من الوجوه ، ويتوقّف في أصل تحقّقه وكونه على غيره ، فهو المسمّى بالقيام الصدوري .

أو أنّـــه لا ظهـــور للشيء إلا به ، فقوام ظهوره بيده ، فهو القيام الظهوري .

---

(١) القصائد السبع العلويات ، ابن أبي الحديد : ٨٢ .

أو أنــه لا يتحقق في الخارج إلا بحلوله في موضوع وجسم ، فهو القيام العروضي .

أو أنّه لا يتحقق للشيء أصلاً إلا به ، فهو القيام التحقّقي .

ولك أن تقول إن الشيء لا يخلو :

إما أن يكون متوقفاً على مبدئه وعلته الفاعلية .

أو على مظهره .

أو على محلّه وموضعه .

أو على مقوم وجوده .

فالأول هو القيام الصدوري ، /م ١٤١ والثاني هو القيام الظهوري، والثالث هو القيام العروضي ، والرابع هو القيام التحقّقي .

[ج – القيامات الأربعة]

[١ – القيام الصدوري] :

فالقــيام الصدوري : هو قيام الشيء بفاعله وعلته ، في جميع ماله وإلــيه ، ومنه وبه ، ومعه وفيه ، من إمكاناته ووجوداته الخارجيّة ، الغيبيّة والظلّيّة ، والحقيقيّة والرسميّة .

ولا يشــترط فــيه الاقتران ، ولا الاتصال ، ولا الانفصال ، ولا التباين ، ولا التساوي ، ولا المداناة ، ولا المعاداة ، ولا القرب ، ولا البعد،

بل يكون المعروض في محلّه ومكانه ومرتبته ، التي هي كينونته ، على ما هو عليه ، والعرض في محلّه ومقامه ومرتبته[1] ، فائضاً منه ، صادراً عنه ، مستمدّاً منه ، واقفاً ببابه ، راجياً من جنابه ، فالمعروض يمدّه ويفيض عليه في مكانه ، ويجيبه /ح ٥٥ بما يسأل ويطلب .

مثل الأشعّة ، فإنها أعراض ، قائمة بالسراج قيام صدور ، لا تذوّت ولا تحقّق لها إلا بتوجّه السراج إليها ، ويمدّها في أمكنتها ومرتبتها بما يناسب قابلياتها ، ويليق باستعداداتها ، من قوّة النور وضعفه ، وكثرته وقلته، وقربه وبعده .

ولا اتصال بينها وبين السراج ؛ لوجوب المشابهة والمناسبة في الملتقى، فيكون الشعاع من حيث هو شعاع سراجاً ، والسراج من حيث هو سراج شعاعاً ، والضرورة تشهد بامتناعه .

ولا انفصال بينها وبين السراج ، وإلا ننقل الكلام فيما فصل ، هل هو السراج ؟ ، أو الشعاع ؟ ، أو غيرهما ؟ ، فإن كان الأول يثبت المطلوب ، وإن كان الثاني يدور أو يتسلسل ، والضرورة تشهد ببطلان الثالث .

---

(١) في (ح) : رتبته .

وكـــذا لا تباين بينها وبين السراج ، وإلا ما صدر عنه شيء ، ولا التســـاوي ، وإلا لمـــا كان نوراً ومنيراً - كما لا يخفي - بل هنا اتصال حقيقي ، لا يعرفه إلا من فتح الله قلبه وسمعه .

وكـــذا الصورة في المرآة ؛ لأنها حاصلة بالتفات المقابل ، وتوجّهه إليها ، فهي عرض قائمة بالمقابل المعروض قياماً صدوريّاً ، لا اتصال بينهما ولا انفصال ، ولا تباين ولا تساوي ، ولا المداناة ولا المعاداة ، ولا القرب ولا البعد ، وكذا الكلام للمتكلم ، وأمثال ذلك .

فـــإذن جمـــيع الوجود ، بل الإمكان والأعيان بجذافيرها ، أعراض قائمة بفعل الله تعالى قيام صدور ، كل منها في مكانه ومرتبته ، ولذا قال الإمام عليه السلام : (**أقام الأشياء بأظلتها**)[1]، أي بحقائقها وذواتها في مراتبها.

وبهـــذا المعـــنى نقول بعرضيّة المشيئة والإرادة ، وليست عرضيّتهما وقـــيامهما بالمعـــروض قيام العروضي ، حتى يلزم أن يكون الحق /م ١٤٢ تعـــالى شأنه محلاً للحوادث ، إذا قلنا بحدوثهما ، كما هو الحقّ عند أهل الحقّ عليهم السلام[2] .

---

(١) الكافي ، الشيخ الكليني : ٩١/١ ، ك التوحيد ، ب النسبة /٢ . التوحيد ، الشيخ الصدوق: ٥٨ ، ب التوحـــيد ونفـــي التشـــبيه /١٥ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٨٦/٤، ك التوحيد، أبواب أسمائه تعالى ... ، ب ١٨/٤ .

(٢) التوحـــيد ، الشيخ الصدوق : ٣٣٦ ، ب ٥٥ المشيئة والإرادة /١ ، ٥ . الكافي ، الشيخ الكليني : ١١٠/١ ، ك التوحيد ، ب الإرادة أنها من صفات الأفعال ... /٤ .

فـــإذن كـــل سافل - أي أثر - عرض قائم بالمؤثّر والمعروض قيام صـــدور ، ولـــذا قال العالم عليه السلام : (**أنا الذات ، أنا ذات الذوات ، أنا الذات في الذوات للذات**)[1] انتهى .

اعـــرف هـــذه المسألة ، فإنك إن عرفتها تفتح لك أبواب من حلّ الأحاديث المشكلة ، ومعرفة حقائق الأشياء ، كما لا يخفى .

[٢ - **القيام التحققي**] :

وأما القيام التحقّقي ، فهو قيام الصورة بالمادة ، واللازم بالملزوم ، فـــإن المادة ليست جاعلة للصورة ، ولا فاعلة لها ، بل هو سبب تعلق فعل الله سبحانه عليه ، وتحقّقه ، فلولاها لما تعلق بوجوده بوجه من الوجوه ، لا في الذات ، ولا في الظهور .

وكقيام الماهيّة بالوجود ، فإن قيامها به ليس بالصدور والفعل ، بل هو سبب لتقومها ، وواسطة لتعلّق فعل الحق سبحانه عليه .

---

(١) سبق تخريجه : ١/١١٠ .

[أ – في القيام التحققي أربعة جعلات] :

وكـــذا الـــلازم والملـــزوم ، فبينهما أربع جعلات ، جعل متعلق بالملـــزوم، وجعـــل متعلق باللازم ، وجعل متعلق بالملازمة ، وجعل متعلق بالالتزام .

وكل جعل تابع للآخر ، وقائم به قيام تحقّق ، إذ لا شك بأن هذه الأمور لابد منها في الملازمة واللزوم ، ولا يصح بغيرها ، ولا شك أن كلاً مـــنهما لـــيس عـــين الآخر ، لترتب الأحكام المختلفة الدالة على المغايرة عليهما.

فإذا صحت المغايرة ، فنقول : هذه الأمور لا تخلو : إما أن تكون جمـــيعها مجعولـــة ، أم ليست بمجعولة ، أو بعضها مجعولة ، وبعضها ليس بمجعولة .

فإن كان الأول ثبت المطلوب ، وإن كان الثاني يلزم قدمهما ، وإن كان الثالث يلزم ترتب[1] القديم على الحادث ، وتبعيّته له ، إذ لا شك أن اللازم تابع للملزوم ، وصفة له ، وقدم الملزوم خلاف المفروض .

فعلى الأول لا يخلو : إمّا أن تكون تلك الأمور مجعولة بجعل واحد حقيقي ، أم لا ، بل كل واحدة منها مجعولة بجعل مستقلّ على حدة .

---

(١) في (ح) : ترتيب .

لا سبيل إلى الأوّل ، وإلا يلزم أن يكون الشيء الواحد في الآن الواحد مشابهاً لأمور متعددة مختلفة في القوة والضعف .

ويلزم منه أن يكون الشيء الواحد من حيث هو واحد متعدّداً ، ومن حيث هو متعدّد واحداً ، وهذا مما لا يتصوّر ، بل لا يتعقل ؛ لأن المجعول لا يمكن تحقّقه إلا بجعل الجاعل .

والجعل الذي هو عبارة عن الفعل المتعلق بالمجعول المفعول لابدّ أن يكون له مناسبة ومرابطة ومشابهة مع هذا /م ١٤٣ المجعول الخاص دون غيره ؛ ليصح صدور ذلك عنه دون غيره ، وإلا يلزم الترجيح من دون مرجح ، وهو باطل .

إذ لولا مشابهة حركة يد الكاتب بالألف في الاستقامة لتعذر صدورها منها دون الباء وساير الحروف ، وهذا مما لا يشك فيه عاقل ، وهو قولهم[1] الواحد من حيث الوحدة الخاصة الشخصيّة لا يصدر عنه إلا الأمر الواحد الخاص الشخصي .

فيجب أن يتعلق بكلّ واحد من تلك الأمور جعل غير الجعل المتعلق بالآخر ، فيتعدّد الجعل بتعدّد المجعول .

---

(١) كشف الفوائد ، الحلي : ٢٦١ . إرشاد الطالبين ، السيوري : ١٦٩ . الأسفار ، الشيرازي: ٢٠٤/٧ .

فالقول[١] بأن اللوازم والماهيات ليست بمجعولة ، إن أردوا به أنّها ليست بمجعولة مطلقاً ، أي ما تعلق بها جعل جاعل ، وتأثير مؤثر ، فتكون الماهيات قديمة ، باطل لا معنى له عند أهل المعنى ، كما تكلمنا عليه في سائر المباحث[٢] .

وإن أرادوا به أنّها ليست بمجعولة جعلاً مستقلاً ، غير جعل الملزوم، فإن[٣] أرادوا به أن هنا ليس جعل غير جعل الملزوم ، بل هو جعل واحد ، وإنما وجد اللازم حين وجود الملزوم من غير تعلق جعل عليه ، فهو باطل ، لما عرفت من أن اللازم ليس عين الملزوم حتى يكفيه جعل واحد ، بل هو غيره بالبديهة ، وليس بقديم ، فيلزم المحذور المتقدّم ، من أن يكون الشيء الواحد في حال واحد قوياً وضعيفاً ، وموصوفاً وصفة ، وحاراً وبارداً ، وهو مما يعلم خلافه بالضرورة .

فيجب أن يتعلّق به جعل غير جعل الملزوم ، ولكن هذا الجعل تابع لجعل الملزوم ، كما أن اللازم تابع للملزوم ، يعني أن اللازم إنما حصل ووجد مقصوداً بالعرض لا أوّلاً وبالذات ، فلولا الملزوم لما وجد اللازم ،

---

(١) سبق تخريجه : ١٨١/٢ .

(٢) انظر : ١٨١/٢ .

(٣) في (ح) : وإن .

فهو عرض للملزوم ، وقائم به قيام تحقق ، وكذا الملازمة والنسبة والالتزام كلها أمور مجعولة مخلوقة ، متقومة بالآخر قيام تحقّق .

وكـــذا القول في الوجود والماهيّة ، فإن فيهما أربع جعلات ؛ لأن الله تعالى خلق الوجود أوّلاً ثم خلق الماهيّة به ، ثم خلق النسبة بينهما حين وجودهمـــا ، فهي قائمة بالطرفين حين تحقّقهما ، ثم ألزم الماهية بالوجود ، لكـــن لمـــا كان الأمر /ح ٥٦ دفعة واحدة ، ليس بين هذه المراتب تقدم وتأخـــر زمـــاني ، اشتبه على المحجوبين هذا التفصيل ، وما أدركوا تلك الدقيقة[١] ، وقالوا[٢] : إنه ليس هنا إلا جعل واحد ، كالزوجية للأربعة ، فـــإن الأربعة مهما /م ١٤٤ وجدت وتحققت تكون الزوجيّة معها ، فلا تحـــتاج الزوجـــيّة إلى جعل ثاني ، وكذلك الإشراق للشمس ، والإحراق للنار، والماهية للوجود .

لكـــنهم مـــا دروا أن اللوازم والماهيّات أمور خلقها الله سبحانه ، فألـــزمها ملزوماتها ، وليست هي أموراً مستقلة من دون الله ، ولا هي[٣] أعداماً صرفة ، لا تقبل الجعل والوجود ، كيف وقد قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ

---

(١) في (ح) : الدقة .

(٢) الشواهد ، الشيرازي : ٧١ . المشاعر ، الشيرازي : ٨٤ .

(٣) لم ترد في (ح) .

إِلَـــى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾[1] ، أي غير متحرك بحركة الشمس ، ولا تابع له في الظاهر .

أمّا في التأويل ، فهو إشارة إلى الماهيّات بالنسبة إلى شمس الوجود ، ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[2] ، لكن الله سبحانه من جهة لطفـــه مـــا جبرها ، وأعطاها مقتضاها ، فأخبر عنها بقوله : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّــمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً** ﴾[3] ، هادياً ، ووليّاً مرشداً ، يهتدي به في ظلمات العدم ، ويخرج من الظلمات إلى النور ، نور الوجود الذي هو الظلمة .

فلــولا الشـــمس لم يتحقق الظل على مقتضى القابلية ، من باب الحكم الوضعي ، عند أهل الأصول والفروع ، وإلا فالله سبحانه قادر على مـــنع المســبب عند وجود السبب ، والمقتضى عند تحقق الاقتضاء ، كما صرح بقوله الحق آنفاً : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً** ﴾[4] .

ولمـــا علم الحق سبحانه وتعالى أن الشيطان يدخل في أوهام أكثر الناس ، أشباه البهائم ، أن اللوازم يمتنع انفكاكها عن الملزومات والمسببات عـــند الأسباب ، ليخرجوا بذلك الحق تعالى عن قدرته العامة ، وسلطنته الكاملـــة ، ويحصـــروا قدرة الحق سبحانه على وفق أفهامهم الكاسدة ،

---

(١) سورة الفرقان : ٤٥ .

(٢) سورة البقرة : ١٠٦ .

(٣) سورة الفرقان : ٤٥ .

(٤) سورة الفرقان : ٤٥ .

ومقتضى عقولهم الفاسدة ، المغيرة بالنكراء والشيطنة ، أزال تلك الشبهة ، وأذهب تلك الخدشة ؛ إتماماً للحجة ، وإكمالاً للنعمة ، بعد ما قرّر أوّلاً بقوله : ﴿ **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً** ﴾[١] بالتكوين والفطرة .

وإن كان يسجد للشمس من دون الله عند الشعور والرؤية[٢] ، فيسير إلى الله سبحانه سيراً ذاتياً عرضياً ، على خلاف التوالي ، وهو قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ** ﴾[٣] .

فأشار بالظلال إلى الماهيّات المستقلة الغير القارّة ، إلا بالوجود ، وأشار بتذكير الضمير ، وجمعه إلى استقلاله وتذوّته وتحقّقه ، وأشار بالسجود إلى السير إلى الحق سبحانه بالذات منفصلاً عن الوجود ، وهو سرّ الاختصاص بالذكر ، تعالى ربّي /م ١٤٥ وتقدّس عمّا تصفه الأوهام والعقول المغيّرة .

---

(١) سورة الفرقان : ٤٦ .

(٢) في (م) : الرويّة .

(٣) سورة النحل : ٤٨ .

[ب – انفكاك اللازم عن الملزوم] :

لا يقـــال : إن انفكـــاك اللازم عن الملزوم من الممتنعات ، التي لا تصـــلح لـــتعلق القدرة بها ، ولا يلزم منه نقص في الله سبحانه ؛ لأن الله سـبحانه إنما تتعلّق[١] قدرته بإرادته ومشيئته بالممكن ، وأمّا الممتنع فلا ، مثل خلق الشريك له ، وإدخال العالم كلّه في بيضة ، بحيث لا تصغر الدنيا ، ولا تكـبر البيضة ، واجتماع النقيضين ، وأمثال ذلك من الأمور التي لا يمكن تعلق الجعل بها ، ولا يلزم منه نقص بوجه من الوجوه .

كمـــا أنّـــه مـــا لزم النقص عند امتناع تحقق الأمور المحالة ، التي ذكرناها ، وما لم نذكرها .

لأنـــا نقـــول : هذا قياس مع الفارق ، لأن مناط إمكان الشيء ، والحكـــم بامتـــناعه ، هـــو امتناع التصوّر الذهني ، فكل ما يمكن تصوره وفرضـــه ، واعتـــباره وتخيّله ، وتعقّله وتوهّمه ، فهو ممكن ، تتعلّق[٢] به القـــدرة ، والله تعالى قادر عليه ، إذا أراد أن يظهرها في الأعيان فعل ، إلا أن كـــثيراً من الممكنات لا يظهرها ، ويوجدها لحكم ومصالح لا تحيط به عقولنا ، وليس من جهة امتناع ذاته .

---

(١) في (م) : تعلّق .

(٢) في (ح) : متعلق .

وكـــلّ ما يمتنع تصورّه بجميع المراتب والمقامات ليس بممكن ، لا تـــتعلّق بـــه القدرة ؛ لأنه قد برهن في موضعه[١] أن المدرِك والمدرَك لابدّ بينهما من المناسبة والمرابطة ، فالشيء الممكن لا يمكنه أن يتصوّر إلا ممكناً، ولـــذا قال العالم عليه السلام : (**كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه ، فهو مخلوق مثلكم ، مردود إليكم**)[٢] .

وقـــال عليه السلام : (**إنمـــا تحد الأدوات أنفسها ، وتشير الآلات إلى نظائرها**)[٣] .

وقـــال عليه السلام : (**انتهى المخلـــوق إلى مثله ، وألجـــأه الطلب إلى شكله**)[٤] .

فـــدلّ العقـــل و النقل على أنّ كلّ متصوّر يجب أن يكون ممكناً ، وهو متعلّق القدرة ، والذي لا تتعلّق به القدرة ، لا يمكن تصوّره وتوهمه .

فـــإن قلت : إنّا نتصوّر شريك الباري ، ودخول الدنيا في البيضة ، بحيث لا تصغر الدنيا ، ولا تكبر البيضة ، واجتماع النقيضين ، وأمثالها من الأمور المحكوم عليها بالامتناع ، فيجب أن تكون ممكنة .

---

(١) انظر : ١٨٦/١ .

(٢) سبق تخريجه : ٢٧٣/١ .

(٣) سبق تخريجه : ١٧٧/١ .

(٤) الخطبة اليتيمية : ٣٨٧ .

قلت : إن الذي له العقل السليم ، والذهن الصافي المستقيم ، يعلم بالضـــرورة والبديهة أن ذلك ما يمكن بوجه من الوجوه ، وأما في شريك الباري فكما قلنا سابقاً[(١)] .

وأما في اجتماع النقيضين ، ودخول الدنيا في البيضة ، و /م ١٤٦ أمثالها ، فلا يمكن تصوّرها بالاجتماع بوجه من الوجوه ، بل تتصور أوّلاً الدنـــيا في مكانها وهيئتها ، ثم تتصوّر البيضة في محلها ومقامها ، ثم تحكم علـــيه هـــذا الحكـــم الباطل ، ولا يمكنك تصور الدنيا بكبرها وهيئتها ، موجودة في البيضة بصغرها وهيئتها .

وكذلـــك اجـــتماع النقيضين ، وكذلك إثبات الولد لله سبحانه وتعـــالى ، إذ لا يمكنك تصوّر وجود زيد وعدمه دفعة واحدة ، بل تتصور كلاً منهما في محله ، ثم تحكم عليه بالاجتماع بخلاف تصوّره ، وهذا معلوم لمن رجع إلى وجدانه ، وقرأ حروف نفسه .

[ج - فرض المحال محال] :

فظهر لك من هذا البيان أن فرض المحال محال ؛ لأن المحال هو الذي لا تتعلّق به القدرة ، وكلّ ممكن تتعلق به القدرة ، وكل ما ليس بممكن لا يمكن للممكن إدراكه ؛ لأن الشيء لا يدرك إلا ما هو من سنخه وجنسه ،

---

(١) انظر : ١/٢٧٥ .

وإلا يلــزم أن يدرك الممكن حقيقة الواجب وذاته ، فكلّ من جوّز تصور الممتنعات ، والعلم بها ، جوّز تصوّر ذات الواجب ، والعلم بكنه حقيقته ، لكن التالي باطل ، والمقدّم مثله .

والملازمة ظاهرة لكون الواجب /ح ٥٧ والممتنع مشتركين في عدم كونهما من سنخ الممكن ، وعدم وجودهما في مرتبة من مراتبه ، وقد صحّ أنّ الشيء لا يتجاوز ما وراء مبدئه ، وهذا ظاهر .

[د - الحكم على الممتنعات] :

وأمّــا هــذه الأحكام فهي[1] باعتبار ما عندنا من التصوّر المسمّى بالممتنع والمحال ، وليس هو إلا ممكناً ، فقولنا : شريك الباري ممتنعٌ ، معناه أنّ الحكــم عــلى ذلــك المتصوّر المحدود المخلوق بكونه شريكاً للواجب ســبحانه وتعــالى بــاطل محال ، لا أنّ ذلك التصوّر محال ، بل هو شيء مــتحقق متأصل في الذهن ، منتزع عمّا يقابله من الخارج ، إذ لم يتصوّر أحــد شيئاً إلا و قد خلقه الله سبحانه قبل ذلك ، حتّى لا يقال لِمَ لَمْ يخلق

---

(١) لم ترد في (م) .

[هـ - انفصال اللازم عن الملزوم]

فإذا عرفت بالبرهان أن كلّ ما يتصوّره الإنسان فهو ممكن ، وكلّ ممكن تتعلّق به القدرة ، فاعلم أنّا نحكم في العقل والتصوّر بانفصال اللازم عن الملزوم ، والوجود عن الماهيّة ، والهيولى عن الصورة ، يعني نتصوّر كلاً من هذه الأمور مجرّداً عن لازمه في الذهن ، وإن كان لا يتحقّق في الخارج إلا بــه ، كما صرّحوا بذلك في كتبهم الكلاميّة والحكميّة والمنطقيّة ، في بحث الدلالة الالتزاميّة ، وما أشبهها .

والقاعدة في ذلك هو أنّ الشيء إذا لم يكن عين الشيء ، أو جزؤه الداخل في مفهومه ، يمكن تصوّره مجرّداً عنه ، وإن كان من لوازمه الذاتيّة، أو الخارجيّة ، أو الذهنيّة ، أو من مقوّمات وجوده ، أو من مشخّصاته .

مـــثلاً : تتصوّر الإنسان ، ولا يخطر ببالك قبوله للعلم ، والصنعة ، والكتابة ، وتتصوّر الشمس ولا تتصوّر الأشعّة ، وتتصوّر النار ولا تتصوّر الإحراق في الخارج ، وتتصور الأربعة ولا تتصوّر الزوجيّة ؛ لأن اللازم مع الملـــزوم رتبة ثانية للملزوم ، إذ لا شكّ بأنّ الملزوم من حيث الذات مقدّم على اللازم ، والوجود على الماهيّة ، والمادّة على الصورة ، واللازم بحسب الذات مؤخر عن الملزوم .

وكذا الماهيّة عن الوجود ، والصورة عن المادّة ، فيكون بينهما تقدّم وتأخّر ذاتي ، وإن لم يكن زمانيّاً .

ذلـــك[(١)] ، وهـــو كمـــا قال تعالى : ﴿ **أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً** ﴾[(٢)] .

وهـــذا النفي ليس نفي الشيئيّة مطلقاً ، ضرورة أنّه إذا جاءه يجده السـراب البـتّة ، كما اتفق كثيراً في البرّيّة في أطراف نجد ، فنفي الشيئيّة باعتبار ما كان يتوهّم الظمآن من وجود الماء ، وكذلك الأمر فيما نحن فيه بعينه ، ولذا أخبر الحق سبحانه عن المطلق بأنّه لا يعلمه ، كما قال : ﴿ **أَمْ تُنَبِّـئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾[(٣)] ، يعني لفظ لا معنى له .

يـا إخواني /م ١٤٧ تعجّبوا من أقوام ما كفاهم ادّعاء الربوبيّة ، ادّعـوا فوقها ، وقالوا : نحن[(٤)] نعلم ما لم يعلمه الله تعالى خالقنا ورازقنا ، ومحييـنا ومميتنا ، وخالق علومنا ، ومنـزل الإدراكات والصور العلميّة في أذهانـنا وعقولـنا ، فتبّاً لهم وسحقاً ، لقد ضلّوا ضلالاً بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) اقتباس من حديث الإمام الرضا عليه السلام ، وقد سبق تخريجه : ٢٧٧/١ .

(٢) سورة النور : ٣٩ .

(٣) سورة الرعد : ٣٣ .

(٤) إرشـاد الطالـبين ، السيوري : ١٩٨ . كشف المراد ، الحلي : ٢٨٦ . مناهج المتقين ، الحلي: ١٦٧ .

فإذا صحّ التقدّم والتأخّر ، فيكون المؤخر منفصلاً عن المقدّم في رتبة المقــدّم ، والمقــدّم عن المؤخّر في رتبة المؤخّر ، فإذا صحّ الانفصال صحّ الانفكاك .

فإذا صحّ الانفكاك في الذهن و التصوّر تتعلق به قدرة الحكيم الحق القــديم تعالى ، وله المشيئة إن شاء فصل بينهما ، كما فصل بين الإحراق والنار في قصّة إبراهيم عليه السلام ، والتبريد والماء[١] ، وأمثال ذلك ، وإن شاء أبقاهما على مقتضاهما ، كما أشار إلى الشقّين في الآية السابقة : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً** ﴾[٢] .

وهــذا الافتراق والانفصال بحسب قدرته وسلطانه جلّ /م ١٤٨ جلاله ، ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً** ﴾[٣] ، هذا الاجتماع والاتّصال حسب استعداده ، وسؤاله ، وطلبه ، ودعائه ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾[٤] عمّن ناجاه .

وقــد ظهر لك من هذا البيان التام أن القيام التحقّقي هو أن يكون العرض قائماً بمعروضه في التحقّق ، والوجود الخارجي ، ونفس الأمري ،

---

(١) انظر : ٢٨٣/١ .

(٢) سورة الفرقان : ٤٥ .

(٣) سورة الفرقان : ٤٥ .

(٤) سورة النمل : ٦٢ .

فـــيكون المعروض سبباً وواسطة لإيجاد العارض ، لا علّة وفاعلاً ، ومحدثاً ومصدراً ، كما كان في القيام الصدوري .

[٣ - القيام الظهوري]

وأمـــا القيام الظهوري فهو قيام ظهور الشيء بالآخر ، لا ذاته ولا كونـــه ، فيكون العارض هو الظهور وحده ، مثل قيام الأشعة بالأرض ، وقـــيام الصـــورة بالمرآة ، وقيام ظهور الملزوم باللازم ، والوجود بالماهيّة ، والمادّة بالصورة .

فـــإنّ الأرض ليســـت علّة لوجود الأشعة ، وتحقّقها بالذات ، فإن الشـــعاع هو لازم للشمس ، ومتّصل بها في عين الانفصال ، يتحقّق مهما تحقّقت الشمس والسراج ، ولا مدخليّة فيه للأرض ، لأن الشمس ليست فاعلـــة بالاختيار - كالإنسان - بحيث إن شاء فعل ، وإن شاء ترك على الظاهر ، وإن كانت فاعلة بالاختيار بهذا المعنى — كما سيجيء[1] بيانه — فـــيكون الشعاع لازماً لها حين وجودها ، ولكنّه لا يظهر إلا عند وجود شرائطه ، وهو الجسم الكثيف ، فيكون الجسم الكثيف سبباً لظهوره ، لا ســـبباً لوجوده ، وكذلك الصورة بالمرآة ، فإن الصورة تحدث عند المقابلة مطلقاً ، لكنها لا تظهر إلا عند مقابلة الأجسام الصيقليّة .

---

(١) انظر : ٢/٢٠٧ .

[أ – المعتبر في القيام الظهوري] :

فالمعتـــبر في القيام الظهوري هو قيام ظهور العالي للسافل ، فيكون ذلك الظهور هو نفس السافل ، فقد ظهر السافل بالسافل ، فيكون السافل محـــلاً لذلـــك الظهور ، الذي هو نفسه من حيث نفسه ، فيتّحد الظهور والمظهر ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام في الملأ الأعلى : (**صور عارية عن المـــواد ، خالـــية عن القوّة والاستعداد ، تجلى لها فأشرقت ، وطالعها فتلألأت فألقى في هويّتها مثاله**)[١] انتهى . أي ظهوره .

والهويـــة هي المثال كما قال عليه السلام في حديث آخر : (**لا تحيط به الأوهام ، بل تجلى لها بها ، وبها امتنع منها**)[٢] . انتهى .

[ب – الشيء لا يعرف إلا بنفسه]

ولّمـــا كان الشيء لا يُعرف إلا به ، لا بغيره ، وإلا لا يعرف : (**اعـــرفوا الله بـــالله ، والرسول بالرسالة ، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والـــنهي عن المنكر**)[٣] ، فيعرف السافل العالي بنفس العالي ، الذي هو

---

(١) سبق تخريجه : ١٠٢/٢ .

(٢) سبق تخريجه : ٦٣/٢ .

(٣) سبق تخريجه : ٢٨٧/١ .

نفس السافل ، الذي هو مثال العالي ، /م ١٤٩ الملقى في هويّة السافل ، الذي هو طرفه في قول الشاعر[١] :

إذا رام عاشقها نظرة فلم يستطعها /ح ٥٨ فمن لطفها
أعارته طرفاً رءاها به فكان البصير بها طرفها

ولهذه الدقيقة قلنا : إنّ الله سبحانه وتعالى لا يعرف إلا بما وصف به نفسه ، وما وصف نفسه بنحو ما وصف به غيره ، فكان وصفه لنفسه مخالفاً لوصفه لغيره ، فلا أحد عرف الله إلا إذا عرف ذلك الوصف ، [ولا أحد عرف ذلك الوصف][٢] إلا إذا جهل الخلق أصلاً ورأساً ، حين عرف ذلك الوصف ، وذلك الوصف هو الظهور الذي قلنا هو نفس الموصوف ، الذي هو نفس الموصوف له .

فإذا عرفت ذلك الوصف عرفت الموصوف بذلك الوصف ، أي الظاهر بذلك الظهور المخصوص ، فيكون الظاهر عين الظهور ، الذي هو عين المظهر .

وكلّ هذه المراتب مراتب الخلق ، ومقامات الرسم ؛ لأن وصف الحق للخلق بالخلق خلق ورسم ، (**إنما تحدّ الأدوات أنفسها ، وتشير**

---

(١) الإنسان الكامل ، الجيلي : ٥١ .

(٢) لم ترد في (ح) .

الآلات إلى نظائرها ، انتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأه الطلب إلى شكله، الطــريق مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته)[1] ، فافهم ، فهمّك الله تعالى من مكنون علمه ، ومخزون سرّه .

[ج - القيام الظهوري في السلسلتين الطولية والعرضية] :

فــإن قلت : إنك قلت إنّ المعتبر في القيام الظهوري هو قيام ظهور العــالي بالســافل للسافل ، فيكون السافل محلاً لذلك الظهور ، الذي هو نفسه ، وما مثّلت بالأشعّة والأرض ، والصورة بالمرآة لا يوافق ذلك ، فإنّ الأرض غير الأشعّة ، والصورة غير المرآة ، كما لا يخفى .

قلت : إن الذي قلنا ثانياً هو في السلسلة الطوليّة ، وما مثّلنا هو في السلسلة العرضيّة ، فلا تنافي .

عــلى أنّــا نقــول : إن الأرض والمرآة يجري فيهما ما ذكرنا من الاتحــاد؛ لأن الأرض هو نفس الشعاع القابلة لظهور الشمس ، الذي هو نفــس الشــعاع ، والمظهر في الحقيقة ، الذي به قيام ظهور الشمس ، هو نفــس الشــعاع ، فيتّحد الظهور والمظهر ، بل الظاهر ؛ لأن الشمس ما ظهــرت للشــعاع بذاتها ، ليكون الظاهر هو الشمس ، بل ظهرت بنفس

---

(١) سبق تخريجه : ١٧٧/١ .

ذلك الشعاع ، كما لا يخفى ، وأما الأرض – هذه المعروفة – فهي محلّ لتلك المظهر ، فافهم .

وكذا القول في الصورة والمرآة ؛ فإن الصورة نفس المرآة المنطبعة فيها /م ١٥٠ الصورة ، على ما حرّرنا لك في الشمس ، وأمّا الزجاجة فهي محلّ المحل ، ومحلّ المظهر[1] ، ولا يقال للأرض على الحقيقة ، والمرآة التي هي الزجاجة على الحقيقة المظهر ، بل المظهر هو نفس ظهور الظاهر ، كما لا يخفى .

لكن هذا المطلب من أصعب ما يرد على العلماء الفحول ، ولا تنكر إذا ما عرفت ، فإنّ علم آل محمد ﷺ : (**صعب مستصعب أجرد كريم ذكوان مقنّع لا يحتمله إلا الملك المقرّب ، أو النبي المرسل ، أو المؤمن الممتحن قلبه للإيمان**)[2] ، ونحن تكلّمنا في هذا المقام على الظاهر ، حسب ما يعرفه العوام ، وعلى الحقيقة حسب ما يعرفه الخواصّ والخصّيص، ليعلم كلّ أناس مشربهم ، وينال كلّ أحد مطلبهم .

---

(١) في (ح) : الظهور .

(٢) بصائر الدرجات ، الصفار : ٤١/١ ، ب١١ في أئمة آل محمد عليهم السلام حديثهم صعب مستصعب /٣ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٩١/٢ ، أبواب العلم وآدابه ... ، ب٢٦ أن حديثهم عليهم السلام صعب مستصعب /٢٧ . تفسير فرات الكوفي ، فرات الكوفي : ١١٤ ، سورة النساء /١١٦ . اختيار معرفة الرجال ، الشيخ الطوسي : ٣٤١/٤٣٩/٢ .

[٤ – القيام العروضي]

وأمّـــا القيام العروضي : فهو كما قاله[١] المتكلّمون والحكماء ، في بحـــث الجواهـــر والأعـــراض ، وحصروا العرض فيه ، من أنّه الموجود في الموضـــوع ، وهو ما يحلّ في الأجسام ، وهو منحصر في المقولات التسع : الكمّ والكيف والوضع والإضافة والزمان والفعل والانفعال والملك والجدة.

وقد ملأ العلماء[٢] – أهل الظاهر – كتبهم ، من بيانها ، وذكر ما يتعلق بها من أوصافها وأحوالها ، ومن أراد الاطلاع فلينظر كتبهم ، سيّما المجلّد الثالث من كتاب الأسفار[٣] للملا صدرا ، فإنّه قد استقصى المرام في الحقيقة في ذلك الكتاب .

لكـــن الذي ذكروا كلّها متعلّقة بالقشور والظواهر ، ولو كان لي مجـــال لبيّنت لك حقائق ما ذكروا من الظواهر ، لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم . هذا هو الأقسام الأربعة التي قلنا سابقاً إنّها للعرض .

---

(١) إرشاد الطالبين ، السيوري : ٢٧ . شرح عيون الحكمة ، الرازي : ١٥/٣ .

(٢) المباحث المشرقية ، الرازي : ٢٦٧/١ . كشف المراد ، الحلي : ٢٠٢ . نهاية المرام ، الحلي: ٣١٢/١ .

(٣) الأسفار ، الشيرازي : ٣/٤ .

[أ - معنى العرض والجوهر]

فمجمل القول هو أنّ الأشياء كلّها بحذافيرها - أي كلّ ما يصدق عليه[1] الشيئيّة - جوهر وعرض ، لكن الجوهريّة والعرضيّة في موضوعين ، وذلــك لأن الأشـياء لا تـذوّت ولا تحقّق لها إلا بمبادئها في كلّ أحوالها وأطوارها ، فهي قائمة بها على إحدى الأقسام من القيام ، فتكون أعراضاً لهـا ، إمّـا بالصـدور ، أو بالتحقّق ، أو بالظهور ، أو بالعروض ، كما عرفت.

وأمّـا إذا نظرت إلى صفاها وهيئاها ، وحالاها وأفعالها ، وآثارها القائمة بها ، فتكون جواهر ، وهذا المعنى عامّ كلّى ، لا اختصاص له بشيء دون شيء ، إذ كلّ شيء لا يتحقّق إلا بهيئة و صفة ، فهو محلّ لها ، وهي قائمة به ، ولا نعني بالجوهريّة والعرضيّة ، إلا هذا، كما لا يخفى. /م ١٥١

[ب - هل الله تعالى جوهر]

فـإن قلتَ : على هذا التقرير يلزم أن يكون الحق سبحانه وتعالى جوهراً ؛ لقيام الأشياء كلّها به قيام صدور ، لحدوثها به ، وصدورها عنه.

---

(١) في (ح) : كلها يصدق عليها .

قلتُ : نعم ، إذا كان ذات الحق جلّ جلاله جاعلة للأشياء ، وخالقة لها بذاتها ، وهو كذب محض ، لأنّ الذات البحت من حيث هي هي لا تتّصف بالخالقيّة والفاعليّة ، كما هو معتقدنا، ومعتقد أئمّتنا عليهم السلام .

ولتصريحهم[1] بأنّ الخالقيّة والفاعليّة من صفات الفعل ، لا صفات الذات ؛ لأنّه لو كان الاتصاف باقياً في الأزل ، لما جاز لك سلبها عنه ، فتقول لم يفعل ، ولم يخلق ، إذ لا يرد النفي والإثبات على الذات البحت ، ضرورة أنّ الصفة الذاتية عين ذاته تعالى ، فإذا ثبت أنّ الذات من حيث هي لا تتّصف بالفاعليّة في رتبة الأزل ، إذ الفاعل لا يكون إلا عند الفعل ، والخالق لا يكون إلا عند الخلق .

وأما قول الإمام عليه السلام : (**له معنى الخالقيّة إذ لا مخلوق**)[2] ، فالمراد به القدرة ، لا هذه الصفة الخاصّة ، ولذا قال عليه السلام : (**معنى الخالقيّة**) ، فافهم .

---

(١) الكافي ، الشيخ الكليني: ١/١٠٩ ، ك التوحيد، ب الإرادة أنها من صفات الفعل.../١-٤. التوحيد ، الشيخ الصدوق : ١٤٦ ، ب١١ صفات الذات ... /١٥-١٩ .

(٢) الكافي ، الشيخ الكليني : ١/١٤١ ، ك التوحيد ، ب جوامع التوحيد /٦ . التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٥٧ ، ب٢ التوحيد ونفي التشبيه /١٣ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٤/٢٨٥ ، ك التوحيد ، أبواب أسمائه تعالى وحقائقها وصفاتها ومعانيها ، ب٤ جوامع التوحيد /١٧ .

فإذا اتصفت بها ، لا يخلو : إمّا أنّ الذات تتّصف بها من حيث هي، أو الفعل .

لا سبيل إلى الأوّل ، وإلا يلزم أن يحدث في الذات ما لم يكن معه في الأزل ، ومـــنه يلزم التغيير والحدوث ، ولعمري إنّ هذا المعنى لا يتصوّر أبـــداً بوجـــه من الوجوه ، كما سنتكلم[١] - إن شاء الله تعالى — فتعيّن الثاني.

فالفـــاعل ظهور الذات بالفعل ، وظهور الذات غير الذات ، وإن كان لا تذوّت له إلا بالظاهر ، فالأشياء قائمة بمبدئها وعلّتها قيام صدور ، وهـــو فعله لا ذاته ، وإلى هذه الدقيقة أشار الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله : (**خلق الله الأشياء بالمشيئة ، وخلق المشيئة بنفسها**)[٢] .

يعـــني : أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الفعل /ح ٥٩ بنفس الفعل ، ففاعليته نفسه بالله تعالى ، فهو الكاف المستديرة على نفسها ، تدور على نفســـها عـــلى خلاف التوالي ، دوران المعلول على العلّة ، وتدور نفسها عليها على التوالي ، دوران العلّة على المعلول .

---

(١) انظر : ٢/٢١٦ .

(٢) الكافي ، الشيخ الكليني : ١/١١٠ ، ك التوحيد ، ب الإرادة أنها من صفات الأفعال.../٤.
التوحيد ، الشيخ الصدوق : ١٤٨ ، ب صفات الذات ... /١٩ . مختصر بصائر الدرجات، الحسن الحلي : ١٤١ ، أحاديث الإرادة وأنها من صفات الأفعال .

لا تظن أنّ هنا علّة ومعلولاً حقيقة ، فتقول يلزم تقدّم الشيء على نفســه ، ضرورة أنّ العلة مقدمة على المعلول بالذات ، وإن كانت معه في الظهور في بعض الأحوال ، بل هنا شيء واحد بسيط ، في كمال البساطة نعتبر فيه هاتين الجهتين ، وهو تعبير على أنّه لا حادث قبله ، و /م ١٥٢ لا فعــل ســواه ، وإلا يلزم التسلسل أو الدور ، ضرورة أن الفاعل إنما يفعل بالفعل لا بالذات .

يعني : أن الله تعالى اخترعه اختراعاً ، فهو الاختراع الأول من غير مادة ، ولا مدة ، و لا فعل غير نفسه ، ثم خلق الموجودات كلها به ، فهو فاعلية الحق في الأشياء ، وفاعليته لنفسه .

والمــثال التقريبــي لهذا المطلب : السراج ، فإن النار هي الفاعلة فــيه، أي في الــنور من غير نسبة وارتباط بينهما ؛ لأن الإضاءة والإنارة ليســت فــيها بوجه من الوجوه ، فأحدثت الشعلة بنفسها من غير شعلة غيرهــا ، ولا نور قبلها ، ثم أحدثت الأشعة بالسراج . فالنار تمد السراج بنفسه لا بذاها إذ ليس فيها نور ولا ضياء ، وتمد الأشعة بالسراج .

انظــر إلى الشعلة ، هل لها استقلال وتذوت بدون النار ؟ ، وهل الشعلة مستمدة من ذات النار بوجه من الوجوه ؟ .

فالشــعلة قائمة بنفسها ، تدور على نفسها على خلاف التوالي ، ونفســها تدور عليها على التوالي ، والأشعة كلها تدور على الشعلة على خــلاف الــتوالي ، والشعلة تدور عليها على التوالي ، لكن الشعلة ليست

مستقلة في هذا الاستمداد من نفسها ، فالنار تمدها من نفسها ، فهي فاعلية[1] النار بنفسها وللأشعة .

وإذا عرفت هذا المثال تعرف قول الإمام عليه السلام المتقدم ، لكنه تقريبي ، فإن المثال مقرب من وجه ، ومبعد من كل الوجوه ، كما لا يخفى على الفطن العارف .

فإذا كانت الأشياء قائمة بفعل الله تعالى قيام صدور ، فتكون أعراضاً لفعله ، لا لذاته ، فيكون الفعل هو جوهر الجواهر ، واسطقس الاسطقسات ، كما قال :

يا جوهراً قام الوجود به ‌ ‌ ‌ والناس بعدك كلهم عرض

فنفي الجوهرية عن ذات الحق سبحانه باق على حاله ، قال عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأه الطلب إلى شكله**)[2] .

وليس الحق سبحانه غاية الأشياء ومنتهاها ، حتى تصدق عليه الجوهرية ، فجوهر الجواهر هو منتهى الأشياء ، وهو الفاعل ، وهو أمره الذي إذا قال للشيء كن فيكون .

---

(١) في (ح) : فاعلة .

(٢) سبق تخريجه : ١/١٧٧ .

[ج - الصفة من مقتضيات الموصوف]

وهنا دقيقة لابد أن نذكرها حتـــى يتبين الأمر ، ويوضح المراد .

فنقول - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - :

إنك تقول : إن (القائم) في : (جاء زيد القائم) ، مرفوع على التبعــية والوصفية ، و (الأخ) في قولك : (جاء زيد أخوك) ، مرفوع على /م ١٥٣ التبعية والبدليّة ، فيجب أن يكون (القائم) غير (زيد) ؛ لأنّ الصفة تابعة للموصوف ، والموصوف متبوع ، والتابع في الرتبة الثانية من المتبوع .

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**كمال التوحيد نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة على أنّها غير الموصوف ، وشهادة كلّ موصوف على أنّه غير الصفة ، وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث ، الممتنع من الأزل ، الممتنع من الحدث**)[1] .

هـــذا كـــلام على ظاهر الحال ، وأمّا الحقيقة فاعلم أنّ الصفة من مقتضـــيات الموصوف مطلقاً ، فإذا تحقّق المقتضي يجب أن يكون المقتضى معـــه ، لـــتحقّق الاقتضاء الذي لا بدّ له من وجود المقتضي ، إلا أن يمنعه المـــانع مـــن مشيئة الله سبحانه وتعالى ، وما أجرى الحق تعالى عادته على

---

(١) سبق تخريجه : ١٧٣/١ .

ذلـــك ، لأنّه سبحانه (**أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها**)[١] ، فإذا تحقّق السبب لا بدّ أن يوجد المسبّب عنده ، وإن كان على خلاف ما يحبّه .

فـــإذا ثبـــت أنّ الصفة من مقتضيات الموصوف ، فنقول إن كان المقتضـــي هـــو الذات من حيث هي ، كانت الصفة ذاتيّة ، بل هي عين الموصوف ، أو لازم ذاته بحيث مهما تحقّقت الذات تكون الصفة ؛ لكونها مقتضـــاها ، ولا يـــتخلّف المقتضـــى عن المقتضي ، مثل الحياة والشعور والإدراك للإنســـان ، فمهمـــا وجد الإنسان تكون الحياة معه ، فيتّصف بصـــفة الحيّ حين وجوده ، في جميع أحوال وجوده ، فلا يمكن أن يوجد الإنسان ولا يتّصف بالحياة أبداً ؛ لاقتضاء الإنسانيّة نفسها ذلك .

وإن كان المقتضي فعل الموصوف تكون الصفة فعليّة ، يعني منسوبة إلى الفعل ، لا الذات ، لا دخل لتلك الصفة في الذات ، ولّما كان الفعل لا تحقّق له إلا بالذات ، فإنها بنفسها تنسب إلى الـــذات بالأصالة ، وأمّا في الحقـــيقة للفعل ، لكونها من مقتضيات الفعل ، لا من مقتضيات الذات ، كالقائم والقاعد ، والمتحرّك والمتكلّم ، وأمثال ذلك .

إذ لـــو كان القيام من مقتضيات الذات للزم أن لا يتخلّف منها في جمـــيع أوقـــات وجودها ، فيجب أن يكون زيد لم يزل قائماً ، فلا يصحّ

---

(١) سبق تخريجه : ١/٢٣٥ .

وصفه بالقعود ، أو لم يزل متكلّماً ، فلا يصحّ وصفه بالسكوت ، وأمثال ذلك من الصفات .

فـــلا يصحّ أن يقال إنّ القائم هو زيد ، لأن القيام ليس من اقتضاء ذات /م ١٥٤ زيـــد ، وإلا لما كان يتخلّف ، فلمّا تخلّف ، عرفنا أنّه ليس هو زيد ، بل صفة من صفاته ، وتابع من توابعه .

فالقائم مثال زيد ، وظهوره بالقيام ، وآية تعريفه وتعرّفه ، لا فرق بينه وبين زيد في المعرفة ، بحيث من عرف القائم عرف زيداً ، إلا أنّه عبده وخلقه ، فتقه ورتقه بيده ، بدؤه منه وعوده إليه .

فالقائم اسم الفاعل لا اسم الذات ، لما عرفت من أنّ الذات البحت من حيث نفسها ليست علّة ، ولا فاعلة ، فأوجد الفاعل بنفس الفاعل ، ثمّ أوجد القيام به ، فالمفعول المطلق في الحقيقة هو /ح ٦٠ الفعل ؛ لأنّه أوّل مـــن وقـــع عليه فعل الفاعل ، الذي هو ظهور الذات ، والفعل هو ظهور الفاعل ، والمفعول ظهور الفعل .

فالفعل من حيث إنّه أوّل ظهور الذات ، هو الفاعل ، ومن حيث إنه أوّل ما حدث من الفاعل ، المفعول ، ومن حيث إنّه واسطة لتعلّق تأثير الفـــاعل بالمفعول ، فعل ، فاتّحد الفاعل والفعل والمفعول ، كاتحاد الظاهر والمظهر والظهور في فاعل القيام .

فالقائم بمنزلة التوحيد والبيان ، والقيام بمنزلة المعاني ركن التوحيد ، فمقام البيان الذي هو مقام التوحيد هو مقام المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان .

[د - الأسماء الإلهية وضعت بإزاء المقامات] :

فإذا عرفت هذه الدقيقة ، عرفت الموضوع له الأسماء الإلهيّة ، والأوصاف الربوبيّة ، بعد ما عرفت أنّ ذات الحق سبحانه ليس مدلولاً للفظ ، ولا يدلّ عليه لفظ ؛ لأنّ الأدوات إنما تحدّ أنفسها ، وتشير الآلات إلى نظائرها ، لكنّها جهات تعرّف الحق ، ووجه الالتفات إليه .

فالألفاظ والعبارات والإشارات والتعبيرات والالتفاتات[1] والعلوم والصفات ، كلّها ترد على تلك المقامات مقام القائم - أي الفاعل - من حيث الاسميّة والوجهيّة .

فهي منتهى جميع تعلّقات الصفات ، وهي لا شيء عند الذات ، وموصوف جميع الصفات ، والنعوت والأسماء ، وهو الذي قال الحجة عليه السلام في دعاء يوم رجب : (**فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأركاناً لتوحيدك ، وآياتك ومقاماتك ، وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ**

---

(١) في (ح) : الالتفات .

مكـــان ، يعـــرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلا أنّهم عبادك وخلقك ، فتقها ورتقها بيدك ، بدؤها منك وعودها إليك)[١] .

فالتوحيد والآيات والمقامات والعلامات هي بمنـــزلة القائم ، على ما بيّنا لك .

[هـ - أسماء المقامات]

ولها هذه الأسامي بالاعتبارات :

فسمّيت بالتوحيد من جهة أنّه أقصى مقاصد /م ١٥٥ الموحّدين ، وغاية مطلب العارفين ، لا أحد يتجاوز عن ذلك المقام في كلّ العوالم ، لا الملك المقرّب ، ولا النبيّ المرسل ، ولا المؤمن الممتحن قلبه للإيمان .

وسمّـــي بالآيات من جهة أنّه أوّل ظهور الحق للخلق ، وأوّل تجلّيه وآيـــته ، وهو الذي قال تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ** ﴾[٢] من ربّهم ، وهي تلك المقامات ، لأنّ كلّ شيء هو من آثار تلك الآيات ، ومظاهر أفعالها ، فهي المرئي في الآفاق ، والأنفس ، كما لا يخفى .

---

(١) سبق تخريجه : ١٧٩/١ .

(٢) سورة فصلت : ٥٣ .

وسمّـــي بالمقامات ؛ لأنه مقام الظهور ، ومحلّ التجلّي والبروز بعد العماء المطلق ، فقام ظهور الحق تعالى .

وسمّـــي بالعلامات ؛ لأنّها مثال ظهور الحق ، وصفة تجلّيه ، واسمه الـــدال عليه ، بأكمل الدلالات الإمكانيّة ؛ لأنّ الاسم مشتقّ من الوسم ، وهي العلامة[(١)] .

[و - تعدد المقامات]

وإنّما أتى بصيغة الجمع في الآيات والمقامات والعلامات لتعدّد ذلك المقام ، في عين الاتّحاد ، وهو خمسة مقامات :

الأوّل : مقام السرّ المقنّع بالسرّ ، والمجلّل به ، وهو مقام الباطن .

الثاني : مقـــام السرّ المستسرّ بالسرّ ، ومقام الباطن ، والباطن من حيث هو باطن .

الثالث : مقام سرّ السرّ ، ومقام الباطن ، والظاهر .

الرابع : مقام السرّ ، وباطن الظاهر، والظاهر من حيث هو ظاهر.

الخامس: مقام الظهور .

---

(١) سبق تخريجه : ١٩٧/١ .

فالأوّل : هو النقطة والرحمة ، وهو النقطة تحت باء بسم الله الرحمن الرحيم .

والثاني : هو الألف ، والنفس الرحماني الأوّلي ، وهو الباء في بسم الله الرحمن الرحيم .

والثالـــث : هو الحروف ، والسحاب المزجي ، وهو[١] أجزاء بسم الله الرحمن الرحيم .

والرابع : هو الكلمة التامّة ، والسحاب الثقال المتراكم ، وهو تمام ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

فالأوّل هو : ﴿ حم ﴾ .

والثاني هو : ﴿ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ .

والثالث هو : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[٢] .

والرابع : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِيـــنَ ﴾[٣] ، و ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[٤] .

---

(١) في (ح) : هي .

(٢) سورة الدخان : ٤ .

(٣) سورة الدخان : ٣ .

(٤) سورة القدر : ١ .

[١ – مقام البيان]

والمجمـــوع هو الرحمة الكليّة ، والشجرة الطيّبة ، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وهذا هو مقام التوحيد ، الذي لهم عليهم السلام .

وفي هـــذا المقام جميع الموجودات أعراض لهم ، وقائم بهم – سلام الله عليهم – قيام صدور ، وهو الذي قال الباقر عليه السلام : (**يا جابر عليك بالبيان والمعاني .**

قال : وما البيان والمعاني ؟ .

قال : قال [الباقر][1] عليه السلام : **أمّا البيان ، فهو أن تعرف أنّ الله تعالى واحد ليس كمثله شيء ، فتعبده ولا تشرك به شيئاً**)[2] /م ١٥٦ .

وهـــو الذي قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**نحن الأعـــراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا**)[3] .

وهو الذي قال عليه السلام : (**أنا الذات ، أنا ذات الذوات**)[4] .

---

(١) في النسختين : علي .

(٢) مشارق أنوار اليقين ، البرسي : ١٨١ .

(٣) سبق تخريجه : ١/٢٤٤ .

(٤) سبق تخريجه : ١/١١٠ .

وكـــلّ هذه الأحاديث وأمثالها إشارة إلى ذلك المقام ، لكن في كلّ باعتبار جهة من الجهات ، وحكمة من الحكم ، التي اطلعنا على بعضها ، وخفي علينا أكثرها .

وهـــذا المقـــام هو أعلى مقاماتهم ، وأكمل درجاتهم ؛ لأنّهم أوّل مظاهـــر الحق ، وأول مقاماتهم مقام القائم ، وهو مقام التوحيد والبيان ، وكلّ المراتب والمقامات المتقدّمة لهم وعنهم وبهم .

فالنقطة : إشارة إلى الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله .

والألف ، والنفس الرحماني : إشارة إلى الحقيقة العلويّة ، حامل لواء الحمد ، وصاحب الأزليّة الأولية ، والولاية المطلقة .

والحروف : إشارة إلى الحقائق المقدّسة ، الأحد عشر من أولاد أمير المؤمنين عليه السلام .

والكلمة التامّة : إشارة إلى فاطمة عليها السلام ، التي اجتمعت فيها تلك الحقـــائق المقدّســـة ، وهي الملائكة ، والروح التي تنـــزّل في ليلة القدر ، واللـــيلة المباركة التي فيها يفرق كلّ أمر حكيم ، والمجموع تمام الشجرة ، وقصبة الياقوت .

فـــإذا قلـــنا الحقـــيقة المحمّدية صلى الله عليه وآله نريد به الشجرة ، وأصلها ، وفـــروعها ، ولقاحها ، وأغصانها ، والأحكام في مقام البيان واحد ، وهو مقام الجمع ، لا يترتّب الأثر الذي هو الدلالة إلا بعد الاجتماع في الكلمة الـــتامّة ، والفـــرق بين تلك المراتب بالنقطة والألف والحروف والكلمة ،

والفـــرق في آخر مراتبهم ، وأسفل درجاتهم ، على ما سيجيء إن شاء الله تعالى[١] .

[٢ – مقام المعاني] :

وثاني مراتبهم /ح٦١ : مقام المعاني ، الذي قال الباقر عليه السلام لجابر : (**وأمّـــا المعاني فنحن معانيه ، ونحن علمه ، ونحن حكمه ، ونحن عينه ، ونحن حقّه ، إذا شئنا شاء الله ، ويريد الله ما نريد**)[٢] الحديث .

وهـــو الذي قال الحجّة عليه السلام في الدعاء : (**اللهمّ إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك ، المأمونون على سرّك المستبشرون بأمرك**) إلى أن قال : (**فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك**)[٣] الدعاء .

والمعاني هو الذي أشار إليه الباقر عليه السلام في حديث جابر ، وأشاروا عليهم السلام في أحاديـــثهم ، مـــثل قولهم : نحن عينه الناظرة ، ويده الباسطة ، ورحمته الواسعة ، وأذنه الواعية ، وأمثالها من الكلمات[٤] .

---

(١) انظر : ٢/٢٧١ .

(٢) مشارق أنوار اليقين ، البرسي : ١٨١ .

(٣) سبق تخريجه : ١/١٧٩ .

(٤) الإمامة والتبصرة ، ابن بابويه القمي : ١٣٢ ، ب٣٥ في آيات ظهوره /١٤٢ . التوحيد ، الشيخ الصدوق : ١٦٧ ، ب٢٤ معنى العين والأذن واللسان /١ . بحار الأنوار ، العلامة ◄

وهي معاني التوحيد ، أي صفاته التي يدعو الله تعالى بها ولاة الأمر، كمـــا يقولون : يا الله ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا حكيم ، يا عليم ، يا /م ١٥٧ حيّ ، يا قيوم ، وأمثالها من الأسماء .

فالألوهـــيّة والرحمانيّة والرحيميّة والحكمة والعلم والحياة والقيّوميّة كلّهـــا معاني تلك الذات ، أي صفاته القائمة بها ، الغير المستقلّة إلا بها ، فهـــي معـــادن لها - التي هي الكلمات - وركن لها ، أي لظهورها ، بل لوجودها ، إذ[1] لولا القيام لما تحقّق القائم .

وقد قلنا إن الذات بمعزل عن تلك الصفات ، ليس بينه وبين خلقه بينونة عزلة ، وكذا العلم ركن العليم ، والسمع ركن السميع ، إذ لولاه لما كـــان ذلـــك ، وأمّا الذات فهي موجودة أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، وأزلاً وســـرمداً ؛ لأن المشتقّ لا يصدق إلا إذا وجد مبدأ الاشتقاق ، ولا يقال ضارب إلا إذا وجد الضرب ، والمتكلّم إلا إذا وجد الكلام ، كما لا يخفى .

فهـــم العـــلم في العالم المتعلّق بالمعلومات حين وجود المعلومات ، والقدرة في القادر المتعلّق قدرته بالمقدورات حين وجود المقدورات .

◄ المجلســـي : ٢٦/٢٤٠ ، ك الإمامة ، أبواب خلقهم ... ، ب٥ جوامع مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام /٢ .

(١) في (ح) : أي .

وبعبارة أخرى : العالم إذ معلوم ، والسميع إذ مسموع ، والبصير إذ مبصر ، والقادر إذ مقدور ، وسائر الصفات الفعليّة ، مثل الخالق والرازق ، والمحيي والمميت ، والمتكلّم والمريد ، والمنشئ[١] والبديع ، والبديء والرحمن والرحيم ، وأمثالها من الصفات ؛ لأنّ هذه الصفات إذا لم تكن عين الذات كانت أوّل مظاهر الذات في مراتبها في المظهريّة ، وقد دلّ الدليل على أنّهم عليهم السلام أوّل المظاهر ، وأسبق المجالي ، فكانت حقائقهم عليهم السلام هي تلك الصفات والأسماء ، فلهم - سلام الله عليهم - ملاحظتان:

إن نظرت إليهم في أنفسهم لا يصحّ إطلاق الأسامي عليهم .

وإن نظرت إليهم بالمظهريّة والوجهيّة فهم تلك الأسامي ، ومسمّى الأسامي اللفظيّة .

وإذا عرفت هذه الدقيقة ، عرفت المراد في الآيات والأدعية ، مثل دعاء كميل : (**اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيء ، وبقوّتك التي قهرت بها كلّ شيء ، وخضع لها كلّ شيء ، وذلّ لها كلّ شيء ، وبجبروتك التي غلبت بها كلّ شيء ، وبعلمك الذي أحاط بكلّ شيء ، وبسلطانك الذي علا كلّ شيء ، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء،**

---

(١) في (ح) : المشيء .

وبوجهك الباقي بعد فناء كلّ شيء ، يا نور يا قدّوس ، يا أول الأوّلين ، ويا آخر الآخرين)[١] الدعاء .

ومثل دعاء السحر : (**اللهم إنّي أسألك من بهائك بأبهاه ، وكلّ بهائك بهي**)[٢] إلى آخر الدعاء .

فهـــم المراد في /م ١٥٨ كلّ هذه المراتب ، إذ لا يصحّ إرادة ذات الحق لمقام التشكيك ، ولا تشكيك في الذات سبحانه وتعالى ، فهم القائم، وهم القيام ، وهم الحيّ ، وهم الحياة في مقام الاسميّة و الوصفيّة والرسميّة ، فهم الوجه ، ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه** ﴾[٣] .

---

(١) مصـــباح المتهجد ، الشيخ الطوسي : ٨٤٤ ، شهر شعبان /٢٥ . إقبال الأعمال ، السيد الحســـني : ٣٣٢/٣ ، ب٩ فـــيما نذكره من فضل شهر شعبان ، ف٥١ ، فيما نذكره من الدعاء والقسم على الله جل جلاله ... .

(٢) مصـــباح المـــتهجد ، الشـــيخ الطوسي : ٧٦٠ ، ذو الحجة ، دعاء المباهلة /١١٣ . إقبال الأعمال ، السيد الحسني : ٩٥/١ ، شهر رمضان ، ب٤ فيما نذكره مما يختص بأول ليلة من شـــهر رمضـــان ، ف ١٣ ، فيما نذكره من ترتيب نافلة شهر رمضان ... . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١١٢/٩٥ ، أبواب أعمال شهر رمضان من الأدعية ... ، ب٦ ، الأعمال وأدعية مطلق ليالي شهر رمضان ... .

(٣) سورة القصص : ٨٨ .

أمـــا سمعت قول الإمام عليه السلام : (**نحن الأسماء التي أمركم الله أن تدعوه بها**)[١] ، قال الله تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾[٢] فافهم هذا المطلب .

وأنا كشفت القناع عن وجه الحقيقة ، وبيّنت الكلام بالصراحة ، ولا خـــوف مـــن فرعون وملأه بعد ما ألقيت العصا فصارت حيّة ، فإنّها صعبة مستصعبة ، وعِها واكتمها ، إلا عن أهلها .

لكـــن - يا أخي - لا تزلّ قدمك ، ولا تظنّ بنا إلا خيراً ، فإنّ اعتقادنا أنّ المعني بهذه الأسماء هو ذات الحقّ سبحانه القديم - تعالى شأنه - فـــإنك إذا قلت : يا الله يا رحمن ، ما تقصد به إلا الذات القديمة الواجبة الوجـــود ، المنـــزّهة عن صفات المحدثين ، وأسماء المخلوقين ، وإنّ الحقيقة المحمّدية صلى الله عليه وآله محدثة مخلوقة مصنوعة ، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرّاً ، ولا موتـــاً ولا حياة ولا نشوراً ، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ، والملائكة والـــناس أجمعين ، عذّبه الله عذاباً يستغيث منه أهل النار ، فإنّا منهم براء

---

(١) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : (**نحن الأسماء الحسنى التي إذا سأل الله عزّ وجلّ بها أجاب**) . المحتضر ، الحلي : ٧٥ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٣٨/٢٧ ، ك الإمامة ، أبواب سائر فضائلهم ... ، ب١٢ أنهم عليهم السلام سخر لهم السحاب ويسر لهم الأسباب /٥ .

وقال عليه السلام - أيضاً - : (**أنا الأسماء الحسنى التي أمر أن يدعى بها**) . مشارق أنوار اليقين ، البرسي : ١٧٠ .

(٢) سورة الإسراء : ١١٠ .

ببراءة الله ، ورسوله ، والأئمّة المعصومين عليهم السلام[1] ، وهذا الذي ذكرنا هو تقدير حدوثهم ، وقدم الحق ، وعدم الارتباط بين الحدوث والقدم ، لكنّه على وجهٍ لا يعرفه إلا الراسخون في العلم .

[أ - قيام الأشياء بمقام المعاني]

وإذا عرفت هذا القدر من الكلام ، عرفت أنّ الأشياء كلّها بحذافيرها قائمة بهذا المقام – مقام المعاني – قيام صدور ؛ لأنه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة : بمشيئة ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، وإذن ، وأجل ، وكتاب[2] ، فبعلمه كانت المشيئة ، وبمشيئته كانت الإرادة ، وبالإرادة كان القدر ، وبالقدر كان القضاء ، فإذا صحّ القضاء أمضى[3] .

---

(١) في (م) : عليهم السلام عنهم .

(٢) الكافي ، الشيخ الكليني : ١٤٩/١ ، ك التوحيد، ب في أنه لا يكون شيء في السماء.../١.
المحاسن ، البرقي : ٢٤٤/١ ، ك مصابيح الظلم ، ب الإرادة والمشيئة /٢٣٦ .

(٣) الكافي ، الشيخ الكليني : ١٤٨/١ ، ك التوحيد ، ب البداء /١٦ . التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٣٣٤ ، ب البداء /٩ . مختصر بصائر الدرجات ، الحسن الحلي : ١٤٢ ، أحاديث الإرادة وأنها من صفات الأفعال .

فجمـــيع أركـــان الوجود قائمة بهذه الأركان الأربعة من الفعل ، الذي هو العرش الأعظم الأعلى ، الصاقورة في الجنان ، التي غرسها محمّد وأهل بيته الطاهرون ، وهو على أربعة أركان :

النور الأبيض الذي منه ابيضّ البياض ، ومنه ضوء النهار .

والنور الأصفر الذي منه اصفرّت الصفرة .

والنور الأخضر الذي منه اخضرّت الخضرة .

والنور الأحمر الذي منه /م ١٥٩ احمرّت الحمرة .

فالنور الأبيض هو المشيئة المتعلّقة بالذكر الأوّل للشيء ، قال الرضا عليه السلام ليونس بن عبد الرحمن : (**أتعلم ما المشيئة ؟** .

قال : لا .

قال : هي الذكر الأوّل)[1] .

وبياضها لكمال بساطتها ، وعدم تركيبها .

والـــنور الأصفر هي الإرادة التي هي العزيمة على ما يشاء ، لكونها تكـــرّر المشيئة ، كما أنّ الصفرة تكرّر البياض ، الحاصلة من حرارة حركة الفعل ، مع رطوبته الأصليّة .

---

(١) الكافي ، الشيخ الكليني : ١٥٨/١ ، ك التوحيد ، ب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين /٤ .
مختصر بصائر الدرجات ، الحسن الحلي : ١٤٩ ، أحاديث الإرادة وأنها من صفات الأفعال.
تفسير القمي ، القمي : ٢٤/١ ، مقدمة المصنف ، الرد على المعتزلة .

والنور الأخضر هو القدر ، أي الهندسة الإيجاديّة ، موضع الحدود والأوضاع الخلقيّة ، لاختلاط صفرة الإرادة مع سواد القدر ، الحاصل من الكثرة .

والنور الأحمر /ح ٦٢ هو القضاء ، أي التركيب والحكم ، كما قال تعالى : ﴿ **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ** ﴾ في القدر ﴿ **رَكَّبَكَ** ﴾[1] في القضاء ، لاجتماع بياض المشيئة مع صفرة الإرادة في حرارة حكم القضاء. وسيجيء[2] الكلام عن هذا المطلب بأكمل بسط - إن شاء الله تعالى - في مبحث العرش والكرسي .

فالعرش الأول الأعظم الأعلى أوّل مستوى الرحمن بالرحمانيّة ، التي هي نفس العرش ، هو هذه الأنوار الأربعة ، التي هي أركان الفعل ، وقد تطلق الأركان الأربعة على أركان المفعول - كما سنذكر[3] إن شاء الله تعالى - .

فكلّ موجود من الموجودات باعتبار أركانه الأربعة قائمة بهذه الأركان الأربعة ، فالوجود قائم بالركن الأيمن الأعلى ، والماهيّة بالركن الأسفل الأيمن ، والتعيّن والتشخّص بالركن الأيسر الأعلى ، والتركيب

---

(١) سورة الانفطار : ٨ .

(٢) لم يصل المصنف تتنُّ إلى هذا المبحث ، لكن هناك ذكر موجز في : ٣١١/٢ .

(٣) انظر : ٣١٠/٢ .

والتأليف بالركن الأيسر الأسفل ، والإظهار والإبراز بالإمضاء ، الذي هو لازم القضـاء ، ولا يخلـو شيء من هذه الأركان الأربعة ، ولا تزيد ولا تنقص ، فقوامها بتلك الأركان في الصدور .

وكـلّ واحـد مـن تلك الأركان قائم بصاحبه ، فالمشيئة قائمة بالمشـيء ، والإرادة قائمـة بالمـريد ، والقـدر قائمة بالمقدِّر ، والقضاء بالقاضي، وكيفيّة القيام مثل ما سبق[1] لك من الكلام من الاتحاد ، كما لا يخفى .

فقيام الأشياء بالمقامين المذكورين - أعني مقام البيان ومقام المعاني - بالصـدور البـتّة ، لأنّ كلّ ما يتعلّق بذلك المقام - مقام المعاني - من توابـع هذه الأركان الأربعة ، كما لا يخفى على أولي البصائر والأفهام ، لكـنّه أدق مـن الشعر ، وأحد من السيف ، لا يهتدي إليها إلا من قطع طـريق الـنهاية ، ووصل إلى اللانهاية ، وبقي هناك إلى غير النهاية ، فإن العقـل لا يدركه إلا بالرسم في الثاني ، وأمّا الأوّل لا يدركه إلا /م ١٦٠ الفـؤاد ، وهـو نور الله الذي ينظر المؤمن صاحب الفراسة به إلى حقائق الأشياء .

---

(١) انظر : ٢/٢١٧ .

[٣ - مقام الأبواب] :

[أ - أنهم عليهم السلام في هذا المقام أعضاد وأشهاد] :

وثالث مراتبهم : مقام الأبواب ، الذي قال الباقر عليه السلام لجابر في الحديث المذكور المتقدّم : (**نحن ظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته ، وفوّض إلينا أمور عباده ، إنّ إلينا إياب هذا الخلق ، ثمّ إنّ علينا حسابهم**)[1] .

وقال الحجة عليه السلام في ذلك الدعاء المذكور : (**أعضاد وأشهاد ، ومناة وأذواد ، وحفظة وروّاد ، فبهم ملأت سماءك وأرضك ، حتّى ظهر أن لا إله إلا أنت**)[2] لبيان مفهوم المخالفة في قوله تعالى : ﴿ **مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً** ﴾[3] .

فيدلّ بمفهوم المخالفة بشهادة قول الإمام عليه السلام ، إن لم نقل بحجّيته، على أنّه اتّخذ الهادين عضداً للخلق ، وأشهدهم خلق السموات والأرض ،

---

(١) الهداية الكبرى ، الخصيبي : ٢٣٠ ، ب٦ الإمام السجاد عليه السلام . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٤/٢٦ ، ك الإمامة ، أبواب خلقهم ... ، ب١٣ ، نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية /٢ .

(٢) سبق تخريجه : ١٧٩/١ .

(٣) سورة الكهف : ٥١ .

وهو مقام الترجمان - أي ترجمان الوحي - والأحاديث[١] في كونهم أبواباً للحقّ والخلق أكثر من أن تحصى .

وبيانه : أنّ الله سبحانه جعلهم خزائنه ، لجميع ما يحتاج إليه الخلق، من الإمدادات الوجوديّة النوريّة ، من الذاتيّة والوصفية ، والإمدادات العدميّة الظلمانيّة ، من الذاتيّة والوصفية ، وهو قوله تعالى : **﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً ۞ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ۞ كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾**[٢] .

كما قال تعالى في الحديث القدسي : (**ما وسعني أرضي ، ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن**)[٣] .

وهم المؤمن على نهج الجمع بدون الفرق ، فأعطى كلّ ذي حقّ من الوجود النور حقّه من باطنهم ، الذي هو باب الفيض ، والرحمة

---

(١) قال أبو جعفر عليه السلام : (**نحن حجة الله ، ونحن باب الله ، ونحن لسان الله** ...) . الكافي الشيخ الكليني : ١/١٤٥ ، ك التوحيد ، ب النوادر/٧ . بصائر الدرجات، الصفار: ٢/٨١، ب٣ في الأئمة أنهم حجة الله وباب الله وولاة أمر الله ... /١ . المحتضر ، حسن الحلي : ١٢٧ .

(٢) سورة الإسراء : ١٨-٢٠ .

(٣) سبق تخريجه : ١/٢٤٥ .

المكـــتوبة - أي الفضل - وأعطى كلّ ذي حقّ من العدم الظلمة حقّه من ظاهرهم ، الذي هو باب الفيض ، والرحمة الواسعة - أي العدل - .

فهم عليهم السلام الرحمة الرحمانيّة ، أي الواسعة العامّة للفضل والعدل ، قال تعالى : ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً** ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾[٣] /م ١٦١ .

إذا أردت أن تعـــرف حقيقة الأمر في المسألة ، انظر إلى السراج ، فإن النار جعلته باباً للفيوضات والإمدادات التي تستحقّها الأشعّة ، فتوصل الفـــيض - النور - إلى السراج - الشعلة - ، فيترجمها السراج ، ويجعلها صالحة لأفهام الأشعّة ، ثم بلّغ إليها ما حمّلته النار ، من الوحي والإلهام إلى الأشـــعّة ؛ لأن الأشـــعة لا قابلـــيّة لهـــا أن تأخذ الفيض من النار ، وإلا لاحترقـــت، فـــلا بدّ أن يصل الفيض أوّلاً إلى الشعلة ، فتترجمه للأشعّة ،

---

(١) سورة الحديد : ١٣ .

(٢) سورة الإسراء : ٨٢ .

(٣) سورة المائدة : ٥٤ .

فالسراج باب النار إلى الأشعة ، وباب الأشعّة في الافتقار إلى النار ، فهي الواقفة السائلة بباب النار ، الذي هو السراج ، والفقراء اللائذة بجناها ، فلا تصعد حوائج الأشعة إلى النار ، إلا من ذلك الباب ، فتفطّن .

[**ب – علة كونهم أبواباً**] :

وكذلك الأمر فيما نحن فيه بعينه ، فإن الخلق لمّا لم تكن لهم قابليّة أن يأخذوا الفيض – من النور والظلمة – بلا واسطة ، وإلا لانعدموا ، جعلهم الله تعالى لصفاء قابليّاتهم ونوريّة استعداداتهم ، حيث كانوا من الإمكان الراجح ، كادت قابليّاتهم تظهر في الأعيان ولو لم تمسسه نار المشيئة بإحداث الوجود ، الذي هو المسّ فيهم .

فكانت قابليّاتهم راجحة غير متساوية الطرفين ؛ لأنها كادت توجد لو لم يتعلّق بها أمر الحق سبحانه ، ولا كذلك غيرهم ؛ لأن الأمر فيهم متساوٍ ، ولذا قالوا عليهم السلام : (**كنا بكينونته كائنين غير مكوّنين ، أزليّين أبديّين**)[1] .

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**الذي كنا بكينونته قبل الحلول في التمكين ، وقبل مواقع صفات التمكين في التكوين ، كائنين غير مكونين ، ناسبين غير متناسبين ، أزليين**) .
الهداية الكبرى ، الخصيبي : ٤٣٣ ، ب١٤ باب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام .

فهم الكائنون بالكينونة ، لا بالتكوين ؛ لأنه نفسهم ، كما ذكرنا سابقاً[١] ، فهم أزليّون أبديّون بالأزلية الثانويّة ، التي هي مجلى الأزلية الأولية .

وكذلك لصفاء قابليّتهم ، وشدّة نورانيّتهم ، رجح وجودهم على عدمهم ، فأوجدهم الله تعالى نورانيّين كاملين في النورانيّة ، بحيث سدّ الفضاء ، وملأ ما بين الأرض والسماء ؛ فضاء الإمكان ، وسماء الكون ، وأرض العين ، المعبّر عنها بقوله تعالى : ﴿ كُنْ ﴾[٢] ، فالكاف إشارة إلى الكون ، والنون إشارة إلى العين ، و الواو المقدرة إشارة إلى لطيفة /ح ٦٣ ما ظهر عنهم ، الكامن بين الكاف والنون ، فافهم .

وهو قول النبي صلى الله عليه وآله – في خطبة يوم الغدير – في الثناء على الله تعالى : (**الذي ملأ الدهر قدسه**)[٣] .

وهو معنى قول الحجة عليه السلام في ذلك الدعاء : (**فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت**)[٤] .

---

(١) انظر : ٢/٢٢٤ .

(٢) سورة البقرة : ١١٧ .

(٣) الاحتجاج ، الطبرسي : ١/٧١ ، ف احتجاج النبي صلى الله عليه وآله . التحصين ، الحسني : ٥٧٨ ، القسم الأول ، ب٢٩ فيما نذكره من خطبة يوم الغدير . نهج الإيمان ، ابن جبر : ٩٣ ، ف ٢ في حديث يوم الغدير .

(٤) سبق تخريجه : ١/١٨٠ .

وهذه الفضيلة والشرافة التي أعطاهم الله تعالى كانت من مقتضيات ذواقم ، كما ذكرنا غير مرة[١] ، ولذا ردّ الحقّ عز وجلّ على /م ١٦٢ الجماعة الجاهلين بالأمر ، الذين ﴿ **قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ** ﴾[٢] ، فردهم بقوله : ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾[٣] .

فلمّا ملأوا بنورهم وظهورهم جميع فضاء الإمكان والكون ، فما بقي مكان ليوجد فيه غيرهم ، أو طريق ليصل الفيض إلى الغير بدوهم ، فيجب أن يكون كلّ ما سواهم في الرتبة الثانية متحقّقاً بفاضل نورهم .

فكانت لهم المتبوعيّة على الأصالة ، ولغيرهم التابعيّة على الإضافة ، فالنسبة بين التابع والمتبوع العموم والخصوص من وجه ، فبعض التابع متبوع في المتوسّطات ، وبعض المتبوع ليس بتابع أبداً ، وهو هم - صلى الله عليهم - فلا يصح لهم التابعيّة بوجه من الوجوه ، لا بالذات ولا بالعرض ، ولا بالفرض ، ولا بالاعتبار ، إلا باعتبار بعض الاعتبارات الغير المعتبرة ، الكاذبة الخبيثة ، الموجودة في الخزائن السفلى ، في أسفل السافلين تحت الثرى .

---

(١) انظر : ٢٣٦/٢ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٤ .

(٣) سورة الأنعام : ١٢٤ .

فجميع الفيوضات والإمدادات والإلهامات تنزل - أولاً - إلى تلك الحقائق المقدّسة ، بطريق الجمع ، المعبّر عنها بالشجرة الكليّة ، والحقيقة المحمّدية ﷺ ، فيترجمون تلك الفيوضات ، بما يصلح لقابليّة السافل المستمدّ ، فيلقون إليهم .

فأمور كلّ ما سواهم مفوّضة إليهم ، وهم ظاهر الحق لكل ما سواهم ولأنفسهم ، فلا يرون الخلق للحق ظهوراً إلاّ ظهورهم ، وكلّ أمورهم راجعة إليهم ، وليس لهم تقوّم إلا بفاضل نورهم ، وكلّ أحوالهم حاضرة لديهم ، بحيث لا تغيب عنهم ساعة ، ولا دقيقة ، ولا آن ، و لا أقرب ، وهم الحافظون لوجودات الخلق بجميع مراتبهم .

[ج - معنى قوله عليه السلام : (نحن ظاهره فيكم)]

فاعرف بهذا البيان معاني الأحاديث المتقدمة ، من قوله عليه السلام : (**نحن ظاهره فيكم**) بالمعنى الذي ذكرنا (**اخترعنا من نور ذاته**)[١] .

فأشار بقوله عليه السلام (اخترع) بأنه ما سبقهم شيء أبداً ، بل اخترعهم لا من مادة غير أنفسهم ، وابتدعهم لامن صورة غير أنفسهم ، بل خلق مقبولهم بنفس المقبول ، الذي هو المادة ، التي هي وجوداتهم

---

(١) سبق تخريجه : ٢٣٣/٢ .

الخاصة بهم ، وخلق قابليّاتهم بمقبولاتهم ، وهو معنى قوله عليه السلام : **(اخترعنا)**، وهذا صفته .

وأمّا قوله : (**من نور ذاته**) ، ليس المراد أنهم قطعة من ذات الحق - جلّ وعلا - أو جزء لها ، أو منفصل منها ، كانفصال الأشعة من الشمس ، لا ، تعالى ربيّ وتقدّس عن مشابهة المخلوقين والمحدثين ، و /م ١٦٣ الاقتران بهم ، أو الاتّحاد معهم ، بل المراد أن الله سبحانه خلق ذلك النور العظيم ، المالئ جميع الإمكان والأعيان ، الذي هو ظاهر الحق في الخلق لهم ، وشرّفهم به ، وأكرمه لهم بانتسابه إلى نفسه ، مثل ما قال تعالى: الكعبة ﴿ **بَيْتِيَ** ﴾[1] ، ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** ﴾[2] ، تعالى ربّي وتقدّس عن أن يكون له مكان ، أو أحاط به شيء .

ثم قال عليه السلام : (**وفوّض إلينا أمور عباده**) ، من إمداداتهم في وجوديهم التشريعي والتكويني ؛ لأن الفيض لايصل إلى العباد ، إلا بعد أن وصل إليهم - سلام الله عليهم - فهم يعطون كلّ ذي حق حقّه ، ويسوقون إلى كلّ مخلوق رزقه ، بفاضل نورهم ، وزائد عطيّتهم ، وليس

---

(١) قال تعالى : ﴿ **أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ . سورة البقرة : ١٢٥ .

(٢) سورة الحجر : ٢٩ .

لأحـــد ردّهـــا ، وإلا لانعدم ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾[1] .

وأمّـــا هذا التفويض ليس مثل ما يتوهّمون من الكفر ، من أن الله تعـــالى أعطاهم المدد والفيض ، وخلاهم وأنفسهم ، واعتزل عنهم ، فهم مـــثل الوكـــيل ، له الاختيار فيما وكّل له ، فإنّه كفر وزندقة ، ويلزم منه الاســـتقلال ، واعتزال الحق عن الخلق ، واستغناء الخلق ، بل نسبتهم إلى الخلـــق - في إيصال الفيض إليهم من خزائن الحق سبحانه - نسبة السراج إلى الأشعة .

انظـــر إلى السراج ، هل تستغني الأشعة منه ؟ وهل هو يستغني من الـــنار ؟ ، فالـــنار أبـــداً تمدّه بمدد جديد ، بحيث لولا مدد النار لانعدم ، فالســـراج هو الباب ، وهو المفوّض إليه أمر الأشعة ، لكنه بالنار لا تذوّت لـــه ، ولا تحقّق إلاّ بالنار ، ولو أنّ النار تركت السراج وحاله ، لم يبق آناً واحـــداً ، كمـــا هو الواجد ، ولذا قال تعالى في وصفهم - صلوات الله علـــيهم - بأنهم : ﴿ **عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۞ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ** ﴾ [يعني إني أنا][2]

---

(١) سورة الحشر : ٧ .

(٢) لم ترد في (ح) .

﴿ مِـــنْ دُونِـــهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾[١] ، فهم يعطون بعطيّة الله ، و لا استقلال لهم في أنفسهم ، كلاّ هم عبيد مربوبون.

(**إن إليـــنا إياب هذا الخلق ، ثم إن علينا حسابهم**)[٢] ؛ لرجوع الأشـياء إلى مـبدئها ، وأوائـل جواهر عللها ، وليس معنى الرجوع هو الاتصال الظاهري ، وإن كان هو الاتصال الحقيقي ، بل المراد استمدادهم مـنهم ، في جمـيع أحوالهم وأطوارهم ، وحركاهم وسكناهم ، في الدنيا والآخـرة ، والجنة والنار ، /م ١٦٤ إلا إنّهم يحاسبون الكلّ على قدر ما أعطوهم .

[د - كونهم عليهم السلام العلل الأربع] :

وأنت إذا عرفت ما سبق لنا من الكلام ، عرفت أن لا ملجأ للخلق إلا إليهم بكلّ الوجوه ، وتعرف أيضاً من هذا البيان قـول الحجّة عليه السلام : (**أعضـاد و أشـهاد**)[٣] ، لأنّه بعد ما ثبت أنّ الخلق كلّهم من فاضل نورهم، فيكون نورهم هو المادة لهم ، وقابليّاهم هي الصور .

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٦ — ٢٩ .

(٢) سبق تخريجه : ٢/٢٣٣ .

(٣) سبق تخريجه : ١/١٨٠ .

ولا شك أنّ مادّة الشيء عضد له ، يعني لولاه لما تحقّقت الصورة والهيئة ، لأن الصورة هي القابليّة ، وهي لا تتحقّق بدون المقبول ، والمقبول عضد القابل .

انظـــر إلى الأشعة فإنّها مركّبة من مادة ، وهي نور السراج ، ومن هيئة ، وهي قابليّات الأشعة ، فالسراج عضد الأشعة بنوره ، لا بذاته .

وهـــو معـــنى ما قال الصادق عليه السلام : (**إن الله خلق المؤمنين من نوره، وصبغهم في رحمته ، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه ، أبوه النور ، وأمّه الرحمة**)[1] .

فـــنور الله هـــو ما فضل من نورهم ، والرحمة هي الرحمة الواسعة العامّـــة ، للصـــورة الإنسانيّة ، والصورة الشيطانيّة ، [فالصورة الإنسانيّة منســـوبة إلى باطنهم - أي موافقتهم - والصورة الشيطانيّة][2] /ح ٦٤ منســـوبة إلى ظاهرهم - أي مخالفتهم - فكلتا الصورتين منسوبتان إليهم ، وتدوران عليهم ، إلا أنّ إحداهما تدور على التوالي ، والأخرى تدور على خلاف التوالي .

---

(١) سبق تخريجه : ٢٠٣/١ .

(٢) لم ترد في (ح) .

أما سمعت قوله عليه السلام : (**أنا قسيم الجنّة والنار**)[1] ، والجنة والنار كلتاهما منسوبتان إليهم عليهم السلام ، فالجنة من موافقتهم ، والنار من مخالفتهم .

فكما أنّهم باب للمادة ، كذلك باب للصورة ، فثبت أنّهم أعضاد للخلق في المادة والصورة ، فهم العلة المادّية ، والعلة الصوريّة ، لكل الموجودات .

فالعالم قائم بهم عليهم السلام في هذا المقام بالقيام التحقّقي ، فموادّهم قائمة بفاضل نورهم ، وصورهم الحسنة قائمة بباطنهم بالقيام التحقّقي ، وصورهم الخبيثة قائمة بظاهرهم بذلك القيام ، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله : (**أنا وعليّ أبوا هذه الأمة**)[2] ، لأن النور منسوب إلى الرسول ، والرحمة منسوبة إلى أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وآله - لكونهما الاسمين الأعليين ، اللذين إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا .

---

(١) مصباح المتهجد ، الشيخ الطوسي : ٧٥٧ ، ك الصلاة ، ذو الحجة ، خطبة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير /١١٢ . بصائر الدرجات ، محمد بن الحسن الصفار : ٢١٩/٤ ، ب٩ في الأئمة عليهم السلام أنه جرى لهم ما جرى ... /١ . عيون المعجزات ، حسين بن عبد الوهاب : ٢٤ .

(٢) علل الشرائع ، الشيخ الصدوق : ١٢٧/١ ، ب١٠٦ العلة التي من أجلها سمي النبي صلى الله عليه وآله محمد وأحمد .../٢ . مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : ٣٠٠/٢ ، ب تعريف باطنه عليه السلام ، ف في أنه المعني بالإنسان والرجل... . تأويل الآيات، شرف الدين الحسيني : ٧٤/١ سورة البقرة /٤٧ .

ثم اعلم أن المادّة تابعة للصورة في الإنسانيّة والشيطانيّة ، والشرافة والخـــباثة ؛ لأن المادة هي النور ، فإذا تعيّن بتعيّن الموافقة يكون من أعلى عليّين ، وإذا تعيّن بتعيّن /م ١٦٥ المخالفة يكون من أسفل السافلين ، ولا نقص في ذلك للمنير .

مثلاً : إنك إذا نظرت إلى المرآة السوداء ترى وجهك أسود ، وإذا نظرت إلى العوجاء تراه أعوج ، وإذا نظرت إلى المستقيمة تراه مستقيماً ، وهذا ليس من جهة أن النقص فيك ، بل النور الساطع منك واحد ، إلاّ أنّ القابليّة اختلفت :

كقطر الماء في الأصداف درّ وفي بطـــن الأفـــاعي صار سمّا[1]

ومـــن هنا تعرف أنّهم عليهم السلام علل أربع لوجود الموجودات ، العلة الفاعليّة في مقام البيان والمعاني ، والعلّة المادّية والصوريّة في مقام الأبواب ، والعلّة الغائيّة في كل المقامات ، كما قال عليه السلام :(**نحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا**)[2] ، أي خلق لأجلنا .

---

(١) سبق تخريجه : ١١٣/٢ .

(٢) نهـــج البلاغة ، الشريف الرضي : ٣٢/٣ ، من كتاب له عليه السلام إلى معاوية /٢٨ . جواهر المطالب ، ابن الدمشقي : ٣٧٣ ، ب٥٠ .

وقـــال تعـــالى – في الحديث القدسي – مخاطباً لنبيّه : (**لولاك لما خلقـــت الأفـــلاك ، ولولا عليّ لما خلقتك**)[1] ، للنقص الواقع في العلة الـــتامة ، لفقـــدان حامل اللواء ، وساقي الحوض ، وقسيم الجنة والنار ، والصـــهر ، وفيه الخلل في العلة الفاعليّة ، والعلّة المادّية ، والعلة الصوريّة ، والعلة الغائية .

كمـــا أن الرجل إذا عدم النفس ناقص ، ولا يدلّ على أن النفس أفضل منه ، وأخص وأشرف ، لأن الكل أشرف من جزئه ، وأبى الله تعالى أن يخلق الشيء إلاّ كاملاً ، وأبى أن يجري الأسباب إلا نحو المسبّبات ، فإذا كـــان الشيء ناقصاً لفقدان بعض الشرائط لم يحسن إيجاده ، إلا إذا تحقق ذلك الشرط بمقتضى القابلية ، وهو سر التراخي والتقدّم ، والتأخر الزماني للموجودات ، كما لا يخفى ، فافهم – فهمك الله تعالى وإيانا – .

فهـــم العلة الغائية في جميع المقامات والمراتب ، لأن الله تعالى خلق الخلق للمعرفة والعبادة ، فالمعرفة الكاملة والعبادة الحقيقيّة إنما تحقّقت بهم ، ولـــذا قال النبي ﷺ : (**ما عرف الله إلاّ أنا وأنت ، وما عرفني إلا الله وأنـــت ، وما عرفك إلاّ الله وأنا**)[2] ، بالحصر الحقيقي المقتضي لإخراج جمـــيع الوجـــود وما فيه ؛ لأن معرفة كل ما سواهم من فاضل معرفتهم ،

---

(١) عوالم العلوم ، البحراني : ٢٦/١١ .

(٢) سبق تخريجه : ٣٠٧/١ .

وعبادة كلّ ما غيرهم من شعاع عبادهم ، فلا أحد مثلهم في المعرفة ، حتى يقـــال إنه مقصود أيضاً في الإيجاد والتكوين ، فهم المقصودون بالذات في تكوين الأرضين والسموات .

وإلـــيه الإشـــارة - في الـــباطن - في قوله تعالى : ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[1] ، ﴿ **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ** ﴾ الجهل الكلّي ﴿ **إِنَّهُ طَغَى** ﴾[2] ، /م ١٦٦ بالإدبـــار وعدم الإقبال ، حيث أمرناه فطغى بمخالفة الأمر ، لقبوله هـــيكل الشـــيطانية ، الـــتي هي مبدأ جميع الشرور والمعاصي ، والخبائث والسيئات والآثام ، ولذا لقبوه عليه‌السلام بأبـــي الشرور ، وبأبي الدواهي .

فثبـــت أنهـــم المتأصـــلون في الإيجـــاد في المتبوعية ، وغيرهم هم المقصـــودون بالعـــرض في التابعية ، فالمقصود بالعرض من شعاع المقصود بـــالذات ، ومن عرقه وشعرته ، ومن فاضل نوره وقطرة منه[3] ، كما ورد

(١) سورة طه : ٤١ .

(٢) سورة طه : ٢٤ .

(٣) قال الإمام علي عليه‌السلام : (**إن الله تعالى خلق من نور محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله عشرين بحراً من نور ... ثم قال لنور محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله : انزل في بحر العز ، فنزل ... حتى تقلب في عشرين بحراً ، فلما خرج من آخر الأبحر ، قال الله تعالى يا حبيبي ، ويا سيد رسلي ، ويا أول مخلوقاتي ، ويا آخـــر رسلي ، أنت الشفيع يوم المحشر ، فخر النور ساجداً ، ثم قام فقطرت منه قطرات كـــان عددهـــا مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة ، فخلق الله تعالى من كل قطرة من نوره نبياً**) . بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٢٩/١٥ ، تاريخ الرسول الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله ، ب١ بدء خلقه وما جرى له في الميثاق ... /٤٨ . الأنوار ، البكري : ٩ .

في الكل النص عنهم عليهم السلام[١] .

وذلــك أن الله تعالى لما خلقهم وسوّاهم فعدلهم ، في أي صورة ما شــاء ركــبهم[٢] ، بكينونــته لا بتكوينه ، ليكون كائنين غير مكونين ، فاقتضــت قابلياتهم أن يجيبوا الحق عزّ وجلّ في جميع مسائلهم ، وأراد من ثمرة خلق الخلق لما سألوه أن يسألهم ، وطلبوا منه أن يطلبهم بنفس ذلك السؤال والطلــب ، إذ[٣] كــان ذلك حقيقتهم ، وجهات تكونهم عليهم السلام ، فهم السائلون والمسؤولون ، والمجيبون والمجابون ، والطالبون والمطلوبون .

وهذا في كل شيء ، لكن الفرق بينهم وبين غيرهم ، أنهم المجيبون والسائلون ، السائلون والمجيبون في مقام البيان والتوحيد ، بخلاف الخلق ، فإنهم المجيبون والسائلون فحسب ، ولكنك إذا تنــزلت عن مقام التوحيد

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**يا علي ، أنت مني وأنا منك ، روحك من روحي وطينتك من طينتي ، وشيعتك خلقوا من فاضل طينتنا**) . روضة الواعظين ، النيسابوري : ٢/٢٩٦ ، مجلــس في ذكــر فضائل الشيعة . الأمالي ، الشيخ الصدوق : ٦٦ ، مجلس ٤/٨ . مشكاة الأنوار ، الطبرسي : ١٥١ ، ب٢ ، ف٤ .

(٢) اقتــباس من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **الَّذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ ، سورة الانفطار : ٧ – ٨ .

(٣) في (م) : أي .

فيختلف المجيب والسائل ، والسائل المجيب ، كما لا يخفى ، لمن عرف معنى[1] كلامنا سابقاً .

[هـ - بسطوع أنوارهم وجد الشيعة والأعداء] :

الحاصل أنهم عليهم السلام لما سألوا الحق عز وجل كل الخيرات والحقائق والمعارف ، أجابهم الحق تعالى ؛ لكونه المجيب [لمن][2] دعاه ، ويكشف السوء عمن ناجاه ، فكملت إنسانيتهم ، وتمت نورانيتهم ، فسطع ذلك النور ، وتشعشع ذلك الظهور ، فوجدت من ذلك الشعاع الشيعة ، [و] (**إنما سموا شيعة لأنهم خلقوا من شعاع فاضل أنوارنا**)[3] ، وحصل من نفس ذلك النور المنقطع عن المنير في الدوران الذاتي ، وإن كانت له عليه الدورة العرضية الظل .

فوجدت من ذلك الظل الناظر إلى نفس النور الأعداء ، الكلمة الخبيثة ، فكان مثالهم الشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الأرض ما لها من

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) في (ح) ، (م) : إذا .

(٣) مشارق أنوار اليقين ، البرسي : ٤٢ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٣/٢٥ ، ك الإمامة، أبواب خلقهم وطينتهم وأوراحهم صلوات الله عليهم ، ب١ بدؤ أرواحهم وأنوارهم وطينتهم عليهم السلام ... /٣٩ .

قــرار[1] ، كما كان مثال الشعاع الكلمة الطيبة ، الشجرة الطيبة التـي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، /م ١٦٧ ﴿ **تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾[2] ، فالمنير باب النور ، يترجم له ما يوحى إليه من المبدأ الأول .

[و - علة اختلاف مراتب النور] :

فاختلفت مراتب النور في الشدة والضعف من وجهين :

أحدهمـا : لاختلاف مراتب لمعان المنير ، وتشعشع النور الفائض مـنه، وهـو اختلاف مراتب الوجود ، كاللاهوت والجبروت والملكوت والملك .

فاللاهوت شعاع /ح ٦٥ لاهوتيتهم بالإجمال في الظاهر ، المنـزل إلى مقامـه ، فالنسبة بين عالم اللاهوت وبينهم نسبة الواحد إلى السبعين ، والجـبروت مـن جبروتهم نسبة الواحد إلى السبعين ، والملكوت جزء من سبعين جزء من ملكوتهم ، والملك جزء من سبعين جزء من ملكهم ، وهذا بالإجمال مرتبة من مراتب الوجود ، من الدرة إلى الذرة .

---

(١) اقتـباس من قوله تعالى : ﴿ **كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ** ﴾ ، سورة إبراهيم : ٢٦ .

(٢) سورة إبراهيم : ٢٥ .

وثانيهما : اختلاف مراتب الترجمة حسب أفهام المخاطبين ، في القرب والبعد ، والشدة والضعف ، وكمال النور وتمامه ونقصانه ، فأوحى الله تعالى إليهم الوحي ، والإلهامات الوجودية النورية ، كل ما [تستحقه][(١)] أنفسهم ، وكل ما يستحق ما سواهم من المراتب .

[ز – مراتب الوحي الوجودي النوري] :

[١ – الملائكة العالون] :

وأول ما ترجموا وبلغوا للملائكة العالين ، الذين ما سجدوا لآدم ، قال تعالى ﴿ **أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾[(٢)] .

وهم أربعة حملة العرش ، الذي هو أنفسهم ، النور الأبيض الذي منه ابيض البياض ، والنور الأصفر الذي منه اصفرت الصفرة ، والنور الأخضر الذي منه اخضرت الخضرة ، والنور الأحمر الذي منه احمرت الحمرة .

وهم أربعة ملائكة ، روح القدس ، والروح من أمر ربي ، والنفس التي لا يعلم ما فيها عيسى عليه السلام ، والروح على ملائكة الحجب .

---

(١) في (ح) ، (م) : يستحق هم .

(٢) سورة ص : ٧٥ .

[٢ – **الملائكة الكروبيون**] :

والثانـــي للملائكة الكروبيين ، وهم أرباب الأنبياء بالله ، أي تجلى الحـــق لهـــم بهم ، وظهوره لهم ، وهم الذين لما تجلى واحد منهم لموسى هلكـــت بـــنو إسرائيل ، وخر موسى صعقاً ، كما أخبر عنه تعالى بقوله حكايـــة عن موسى : ﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُـــرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقا** ﴾[1] .

قـــال الصادق عليه السلام لما سألوه عن الكروبيين قال عليه السلام : (**قوم من شيعتنا من الخلق الأول ، أقامهم الله خلف العرش ، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ، ولما سأل موسى ربه ما سأل ، أمر الله تعالى بواحد منهم** /م ١٦٨ ، **فتجلى له بقدر سم الإبرة ، فدك الجبل ، وخر موسى صعقاً**)[2] انتهى .

---

(١) الأعراف : ١٤٣ .

(٢) الســـرائر ، ابـــن إدريـــس الحـــلي : ٥٦٩/٣ ، المستطرفات من كتاب السياري . بصائر الدرجـــات ، الصـــفار : ٨٩/٢ ، نادر من ب ٦ ما خص الله به الأئمة ... /٢ . التفسير الصافي ، الفيض الكاشاني : ٢٣٥/٢ ، سورة الأنفال ، آية : ١٤٣ .

والعرش هو الذي حملته الملائكة الأربعة العالون ، كما سبق في أول الكتاب ، فراجع[1] تفهم .

ثم اعلم أنهم عليهم السلام إنما ترجموا ما أوحى الله تعالى إليهم من الإلهامات والإمدادات الوجودية النورية أولاً وبالذات للملائكة العالين ، فترجموا للملائكة الكروبيين ثانياً وبالعرض ، وقد عرفت أن الثاني وبالعرض من شعاع الأول وبالذات ، ونوره وفاضله ، ووجهه والتفاته .

ولذا ورد[2] أن روح القدس كان مع جميع الأنبياء بوجه من الوجوه ، وكان بكله مع محمد وأهل بيته الطاهرين ، صلى الله عليهم أجميعن .

---

(١) انظر : ٣٠٨/١ .

(٢) قول المصنف قدس سره : (ولذا ورد ...) جمع بين مادل على أن روح القدس يشترك فيه الأنبياء والأوصياء ، كقوله عليه السلام : (**يا جابر ، إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس ...**) [الكافي ، الكليني : ٢٧٢/١ ، ك الحجة ، ب ذكر الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام /٢] .

وما دل على أن روح القدس مخصوص بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، كقول الإمام الصادق عليه السلام : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ [سورة الإسراء : ٨٥] ، قال : (**خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل ، لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله ، وهو مع الأئمة ...**) . بصائر الدرجات ، الصفار : ٤٨١/٩ ، ب الروح التي قال الله : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ...** ﴾ ١/... .

[٣ - الأنبياء من حيث أنفسهم] :

وقد ورد[١] عنهم أن نور نبينا ﷺ لما أتم السباحة في الأبحر الاثني عشر ، قطر منه مائة وأربعة وعشرون ألف قطرة ، خلق من كل قطرة روح نبي من الأنبياء ، فكانت الأنبياء ثالث من تلقى الفيض عنهم عليه السلام .

ففي الحديث إجمال ؛ وذلك لأن الروح قطرة من شجرة المزن ، التي هي قطرة من بحر المزن[٢] ، قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ** ﴾[٣] أي هو لطيفة وجوداتكم ، وبه قوام أرواحكم وأنفسكم وأجسامكم ، ومنه تشربون الرزق ، الذي به مدد جميع أحوالكم وأطواركم وأفعالكم .

﴿ **أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ** ﴾[٤] ، وهو الصاد ، وهو بحر من الماء العذب الفرات ، السائغ شرابه ، عذب واستحلى من جهة قبوله لولاية آل محمد - صلوات الله عليهم - لما عرضت عليه .

ولما كان أول من قبل ، فكان مادة جميع الموجودات ، وحياة كل الأشياء ، وهو الماء الذي قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ**

---

(١) سبق تخريجه : ٢٤٧/٢ .

(٢) في (ل) : النون .

(٣) سورة الواقعة : ٦٨ .

(٤) سورة الواقعة : ٦٩ .

حَـــيٍّ ﴾[1] ؛ لكونه من نور آل محمد وظهورهم ، وهو أمر الله الذي قام كـــل ما سواه به ، قال : (**كل شيء سواك قام بأمرك**)[2] ، فيقطر من ذلـــك الـــبحر قطرات على الشجرة ، قال عليه السلام : - ما معناه - (**إن لله شـــجرة تسمى المزن ، فتقطر منه قطرة إلى الأرض ، فما أكلها أحد إلا وقد تولد منه المؤمن**)[3] .

وإنما سموا تلك الشجرة بالمزن مجازاً ، مثل تسمية الأشعة بالشمس ، لبيان أن الصورة مثال المعنـــى ، والمجاز قنطرة الحقيقة ، فالروح قطرة من الشـــجرة ، وتقطـــر عليها قطرات من البحر ، فالأول البحر ، والثانـــي الشجرة ، والثالث الروح ، فالأنبياء في المرتبة الثالثة .

الأولى : الملائكة العالون .

---

(١) سورة الأنبياء : ٣٠ .

(٢) مصباح المتهجد ، الطوسي : ٤٣١ ، أدعية الأسبوع ، يوم السبت /٥٤٧ . بحار الأنوار ، المجلسي : ١٤٨/٨٧ ، ك الصلاة ، ب٩ أعمال الأسبوع ... /١٠ .

(٣) الكـــافي ، الشيخ الكليني : ١٤/٢ ، ك الإيمان والكفر ، ب إذا أراد الله عز وجل أن يخلق المؤمـــن /١ . المحاسن ، البرقي : ١٣٨/١ ، ك الصفوة والنور ... ، ب خلق المؤمن /٢٢ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٨٤/٦٤ ، أبواب الإيمان والإسلام والتشيع ... ، ب٣ طينة المؤمن وخروجه من الكافر وبالعكس ... /٨ .

والثانية : ما ظهر عنهم ، /م ١٦٩وفضل عنهم ، وهو الملائكة الكروبيون ، والمراد بهم حقائق الأنبياء ولطيفة وجوداتهم ، ووجوههم الأعلى إلى مبدئهم ، وأوائل جواهر عللهم الذي هو محل تجلي ربهم .

والثالثة : هم الأنبياء من حيث أنفسهم ، ومنزل تلك الحقائق إلى مراتبها ومقاماتها ، فافهم .

[٤ - الإنسان] :

والرابع : الإنسان ، وهو متلقي[1] الفيض والوحي ، من نور الأنبياء المتلقين للفيض من الكروبيين ، المتلقين للفيض من الملائكة العالين ، المتلقين للفيض من الحقيقة الكلية المحمدية ﷺ .

[٥ - البهائم] :

والخامس : البهائم من الحيوانات ذوي النفس الحيوانية الفلكية ، العارية من النفس الناطقة القدسية ، فيوحي الله تعالى إليهم بالشرع الوجودي من نور الإنسان .

---

(١) في (ح) : ملتقى .

[**٦ - النباتات**] :

والسادس : النباتات ، وذوي النفس النامية النباتية العارية من النفس الحيوانية الفلكية ، فيوحي الله تعالى إليهم بالوجود التشريعي ، الذي هو الشرع الوجودي من نور الحيوانات .

[**٧ - الجمادات**] :

والسابع : الجمادات ، تتلقى النور والفيض والوحي من الله تعالى بنور النباتات .

وهذا مجمل السلسلة ، وكل عال باب الفيض للسافل ، ووجه توجهه إلى مبدئه - الحق جل وعلا - وكل سافل عرض للعالي ، الذي باب فيضه ومدده من الله تعالى .

فالأبواب تنتهي سلسلتها إلى الباب الأعظم الأعلى الكلي ، الحقيقة المحمدية ﷺ ، كما قال سيد الساجدين عليه السلام في دعائه : (**إلهي وقف السائلون ببابك ، ولاذ الفقراء بجنابك**)[1] ، والمراد بالباب هو الكلي ، لأن الجزئيات باطلة مضمحلة عند الكلي ، كما لا يخفى على الفطن العارف اللبيب .

---

(١) مفاتيح الجنان ، القمي : ٢٤٨ .

[ح – قيام الأشياء بهم عليهم السلام بالقيامات الأربعة] :

فالأشـــياء مـــن أول الإمكـــان قائمة بهم عليهم السلام في مقاماتهم بكل القيامات الأربعة :

[١ – القيام الصدوري] :

أمـــا القيام الصدوري ففي مقام البيان والمعاني على التفصيل الذي ذكرنا[1] لك ، فإن الأشياء كل واحد منها منسوب إلى اسم من أسماء الله تعالى الخاص به .

وكلياتها على هذا الترتيب :

فالعقل منسوب إلى اسم الله البديع ، فيدبره الله تعالى بذلك الاسم.

والنفس الكلية منسوبة إلى اسمه الباعث .

والطبيعة الكلية منسوبة إلى اسمه الباطن . /ح ٦٦ .

والمادة الكلية منسوبة إلى اسمه الآخر .

والشكل الكلي منسوب إلى اسمه الظاهر .

والجسم الكلي منسوب إلى اسمه الحكيم .

ومحدد الجهات منسوب إلى اسمه المحيط .

وفلك /م ١٧٠الكرسي منسوب إلى اسمه الشكور .

---

(١) انظر : ٢/٢٢٢ ، ٢٢٤ .

وفلك المنازل منسوب إلى اسمه الغني .

وفلك البروج منسوب إلى اسمه المقتدر .

وفلك زحل منسوب إلى اسمه الرب .

وفلك المشتري منسوب إلى اسمه العليم .

وفلك المريخ منسوب إلى اسمه القاهر .

وفلك الشمس منسوب إلى اسمه النور .

وفلك الزهرة منسوب إلى اسمه المصور .

وفلك عطارد منسوب إلى اسمه المحصي .

وفلك القمر منسوب إلى اسمه المبين .

وكرة النار منسوبة إلى اسمه القابض .

وكرة الهواء منسوبة إلى اسمه الحي .

وكرة الماء منسوبة إلى اسمه المحيي .

وكرة الأرض منسوبة إلى اسمه المميت .

والجماد منسوب إلى اسمه العزيز .

والنبات منسوب إلى اسمه الرازق .

والحيوان منسوب إلى اسمه المذل .

والملك منسوب إلى اسمه القوي .

والجن منسوب إلى اسمه اللطيف .

والإنسان منسوب إلى اسمه الجامع .

والإمام منسوب إلى اسمه[١] رفيع الدرجات .

وهـــذه الأسماء كلها جهات مبدئها ، فافهم ، فهمك الله وإيانا من مكنون العلم ومخزون السر ، بالنبـــي وآله الطاهرين .

[٢ - القيام التحققي] :

وأمـــا القيام التحققي فهو في مرتبة الأبواب ، لأنهم في ذلك المقام واســـطة إيصـــال فيض الممد إلى المستمد ، وليسوا بعلة فاعلية مثل الملزوم للازم ، والوجود للماهية ، والمشروط للشرط ، والسراج للأشعة ، لكن لما كانت وجودات الأشياء لا قوام لها إلا بهم ، اتخذهم الله تعالى أعضاداً لها ، كما يتخذ الصباغ الثوب عضداً للون ، كما ظهر لك مما سبق[٢] .

[٣ - القيام الظهوري] :

وأمـــا القيام الظهوري ، فقد قلنا[٣] لك : إن المعتبر فيه قيام ظهور العالي للسافل بالسافل، فهم في كل المراتب بمنزلة الشمس، بل هم - سلام الله علـــيهم - عـــين الشمس على الحقيقة الأولية ، والخلق كلهم بمنـــزلة

---

(١) في (ح) : اسم الله .

(٢) انظر : ٢/٢٤٣ .

(٣) انظر : ٢/٢٠٥ .

الجدار ، على المعنى الذي سبق[1] ، من أن الجدار هو نفس النور ، ليكون المظهر نفس الظهور ، والفرق بينهما بالاعتبار .

فكـــل البرية مظاهر لآثار أفعالهم بالله عَجَلّ، قد ظهر الله تعالى بهم عليهم السلام لهم بهم ، فهم عليهم السلام مظاهر لهم ، ومقاماتهم بمعنـــى الاتحاد في كل مقـــام ورتبة ، فظهورهم الذي ملأ الكون ، فلا يعرف أحد غيرهم ، ولا يدرك سواهم ، وكان ذلك بتعريف الله سبحانه ، فافهم .

وهذا معنى قول الهادي عليه السلام في الجامعة الكبيرة : (**فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين ، وأعلى /م ١٧١ منازل المقربين ، وأرفع درجات المرســـلين ، حيث لا يلحقه لاحق ، ولا يفوقه فائق ، ولا يسبقه سابق ، ولا يطمع في إدراكه طامع ، حتى لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل، ولا صديق ، ولا شهيد ، ولا عالم ، ولا جاهل ، ولا دني ، ولا فاضل ، ولا مؤمن صالح ، ولا فاجر طالح ، ولا جبار عنيد ، ولا شيطان مريد ، ولا خلـــق فـــيما بـــين ذلك شهيد ، إلا عرفهم جلالة أمركم ، وعظم خطـــركم ، وكبر شأنكم ، وتمام نوركم ، وصدق مقاعدكم ، وثبات مقـــامكم ، وشـــرف محلكـــم ، ومنـــزلتكم عنده ، وكرامتكم عليه ،**

---

(١) انظر : ٢/٢٠٧ .

وخاصتكم لديه ، وقرب منزلتكم منه ، بأبي أنتم وأمي ونفسي ، وأهلي ومالي وأسرتي)[١] الزيارة .

فالشخص في جميع أحواله ، وحركاته وسكناته ، وقيامه وقعوده ، ونومه ويقظته ، وأكله وشربه ، وطاعته ومعصيته ، وقربه وبعده ، وترقيه وتنزله ، وكماله ونقصانه ، وفي جميع أفعاله وأحواله وأطواره وأموره ، يثني على الله ، ويصلي عليهم ، ويلعن أعداءهم ومبغضيهم .

وهذا المعنى عام كلي ، لا اختصاص له بشيء دون شيء ، بل كل شيء شم رائحة الوجود من أي نوع من أنواعه ، وأي صنف من أصنافه ، وأي فرد من أفراده ، حتى الأعراض الغير القارة إلا بموضوعاها ، من الألوان والهموم والغموم ، والآلام والأسقام .

أما سمعت قول النبي ﷺ حين خاطب الحمى وقال : **(يا أم ملدم ، إن كنت آمنت بالله ، فلا تأكلي اللحم ، ولا تشربي الدم ، ولا**

---

(١) من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق : ٦١٣/٣ ، ك الحج ، ب الزيارات /٣٢١٣ . تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي : ٩٨/٦ ، ك الحج ، ب ٤٦ زيارة جامعة لسائر المشاهد... /١ . المزار ، محمد المشهدي : ٥٢٩ ، القسم الخامس في زيارة سائر الأئمة عليهم السلام /ب١ ، زيارة جامعة لسائر الأئمة عليهم السلام .

تفوري[1] **من الفم)**[2] الدعاء .

وقول الحسين عليه السلام حين دخل على عبد الله بن شداد[3] ليعوده في مرضه مخاطباً للحمى بقوله الشريف : (**يا كباسة .**

فسمعوا الصوت ، وما رأوا الشخص ، يقول : لبيك يا ابن رسول الله .

ثم قال عليه السلام **: ألم يأمرك أمير المؤمنين** عليه السلام **ألا تقربي إلا عدواً أو مذنباً ، لتكوني كفارة لذنوبه ، فما بال هذا الرجل ؟)**[4] .

وأمر الرضا عليه السلام للصورة ، فتحركت ، وقامت سبعاً ، وافترست بذلك الخبيث[5] ، وأمثالها .

---

(١) في (ح) : تعوري .

(٢) الدعوات ، الراوندي : ١٩٣ ، ب٣ في ذكر المرض ومنافع العاجلة ... ، ف في التداوي بتربة مولانا الحسين عليه السلام ... /٥٣٣ . السرائر ، ابن إدريس الحلي : ١٤٣/٣ ، ك الطب . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٧٧/٥٩ ، ب٨٧/٧٢ .

(٣) في (ح) : شداد بن عبد الله .

(٤) اختيار معرفة الرجال ، الشيخ الطوسي : ١٤١/٢٩٩/١ . مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب : ٢١٠/٣ ، ب في إمامة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، ف في معجزاته عليه السلام . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٨٣/٤٤ ، أبواب تاريخ الإمامين الهمامين ... ، ب٢٥ معجزاته صلوات الله عليه /٨ .

(٥) عيون أخبار الرضا ، الشيخ الصدوق : ١٨٣/١، ب٤١، استسقاء المأمون بالرضا عليه السلام... /١ . دلائل الإمامة ، الطبري : ٣٨١ ، الإمام الرضا عليه السلام ، ذكر معجزاته /٣٨ . ◄

وهـــو معنى قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُم** ﴾[1] .

يسبحون للحق بولاية الولي وتعليمهم إياه ، فافهم هذه المطالب ، واعرف إمامك ومولاك ومقتداك ، الذي شرفك الله تعالى بولايته ومحبته ، وخصك دون العالمين لمحبته ، واشكر الله تعالى على هذه النعمة العظمى ، والدرجة القصوى .

الحمـــد لله الذي /م ١٧٢ جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام .

يـــا مقلب القلوب والأبصار ، صل على محمد وآل محمد ، وثبت قلـــبي على دينك ودين نبيك ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتنـــي ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

وهـــذا الـــذي ذكرنا لك ، هو جزء من مائة ألف جزء من رأس الشـــعير مما لهم من الفضائل والأسرار ، وأستغفر الله من التحديد بالقليل ، ومـــا خفـــي عليك من الذي كتمته وأخفيته وأودعته في قلبي وأسكنته في سريرتي أكثر .

◄ الثاقـــب في المناقـــب ، ابن حمزة الطوسي : ٤٧١ ، ب١١ ف في ذكر معجزات الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ، ف ١/٢ .

(١) الإسراء : ٤٤ .

وفي النفس لبانات إذا ضاق لها صدري
نكت الأرض بالكف وأبديت لها سري
فمهما تنبت الأرض فذاك النبت من بذري[١]

لو أظهرت ما عند الفقير بعون الله الملك الخبير من أسرار باء بسم الله الرحمن الرحيم التي في فضائلهم ومناقبهم ، إذاً لارتاب الجاهلون ، وسلك طريق الإنكار المنكرون ، لكن يكفيك قوله عليه السلام : (**نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا**)[٢] .

قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا** /ح ٦٧ **بِمِثْلِهِ مَدَداً** ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ** ﴾[٥] .

---

(١) المزار الكبير ، المشهدي : ١٥٣ . شرح التوحيد ، القمي : ٣٦٥/٢ .
(٢) الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي : ٢٣٣/٢ ، احتجاج الرضا عليه السلام .
(٣) سورة النحل : ١٨ .
(٤) سورة الكهف :١٠٩ .
(٥) سورة لقمان : ٢٧ .

وصلى الله على أرواحكم ، وعلى نفوسكم ، وعلى موادكم ، وعلى طبائعكم ، وعلى أجسامكم ، بأبي أنتم وأمي ما أحلى أسماءكم ، وأكرم أنفسكم ، وأعظم شأنكم ، وأجل خطركم ، وأوفى عهدكم ، وأصدق وعدكم ، كلامكم نور ، وأمركم رشد ، ووصيتكم التقوى ، وفعلكم الخير ، وعادتكم الإحسان ، وسجيتكم الكرم ، وشأنكم الحق والصدق والرفق ، وقولكم حكم وحتم ، ورأيكم علم وحلم[1] ، صلى عليكم أجمعين .

[٤ – القيام العروضي] :

وأما القيام العروضي فهم أجل وأعظم وأكرم من أن يكونوا محلاً للموجودات السافلة ، وما اتفق ذلك أن العالي يصير محلاً للسافل ، ويكون للسافل تأثير في العالي ، وهو ينفعل من السافل ، ضرورة أن الجسم ينفعل بقبوله ذلك العرض ، كما لا يخفى .

---

(١) عيون أخبار الرضا ، الشيخ الصدوق : ٣٠٩/١ ، ب٦٨ في ذكر زيارة الرضا عليه السلام بطوس، زيارة أخرى جامعة للرضا عليه السلام /١ . المزار ، المشهدي : ٥٣٢ ، القسم الخامس في زيارة سائر الأئمة عليهم السلام ، ب١ ، زيارة جامعة لسائر الأئمة عليهم السلام . تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي : ١٠٠/٦ ، ك الحج ، ب٤٦ ، زيارة جامعة لسائر المشاهد على أصحابها السلام /١ .

ولذا قال /م ١٧٣ ابن أبي الحديد في قصيدته الرائية ، من القصائد السبعة العلوية ، في مدح مولانا روحي فداه[1] :

صفاتك أسماء وذاتك جوهر   بريء المعاني عن صفات الجواهر

يعنـــي (صفاتك) مظاهر لآثارك ، وأفعالك أسماء لذاتك الظاهرة فـــيها ، وقائمة بها قيام صدور ، فكل الموجودات معانٍ وأسماء لهم عليهم السلام ، على ما سبق[2] .

و (ذاتــه جوهـــرة) مقوم به جميع الأعراض والصفات والأسماء والمعـــاني ، ولما كان أهل الظاهر لا يعرفون هذه الدقيقة ، ولا يعرفون من الجوهـــر إلا الجسم الذي لا يحل في شيء ، أو ما هو أعم من الجسم ، من الأقسام الستة المذكورة في كتبهم[3] ، ومراده بالجوهر في هذا الموضع غير مـــا هو المتعارف عندهم ، أشار إلى الفرق وجهة المخالفة بقوله : (بريء المعاني عن صفات الجواهر) المعروفة .

---

(١) القصائد السبع العلويات ، ابن أبي الحديد : ٨٢ .

(٢) انظر : ٢٥٨/٢ .

(٣) مناهج المتقين ، الحلي : ١٣٣ . إرشاد الطالبين ، السيوري : ٢٨ .

ثم بين بعض صفاتها ، وقال : (يجل عن الأعراض والكيف والمتى) لـيكون محلاً لها كما هو عادة الجواهر ، ومثالها أن تكون محلاً للأعراض ، مثل الكيف والزمان وأمثالهما .

ثم بـين وجـه تنـزهه عن الجوهر المعروف المحل للأعراض ، مثل الجسم ، وقال : (ويكبر عن تشبيهه بالعناصر) ؛ لأن الجسم هو المركب من العناصر الأربعة المعروفة ، هذا في الظاهر .

لكـن أقول : (ويكبر عن تشبيهه) بكل العناصر ، من الظاهرية والباطنية والحقيقية ، وكل ما يتركب منه الموجودات المقيدة في التابعية ، إذ لا يجـري علـيه ما هو أجراه ، فأثبت أنه جوهر الجواهر في كل المراتب والمقامـات ، ولـذا قـال الشيخ رجب البرسي[1] في كلامه في مشارق الأنوار[2] :

هم في الأجسام أشباح وفي الأشباح أرواح
وفي الأرواح أنـوار وفي الأنـوار أسـرار

---

(١) البرسـي : الحافظ رجب البرسي ، كان عالماً فاضلاً محدثاً شاعراً أديباً ، له كتب ، منها : مشـارق أنـوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام ، لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسـراره ، ورسائل في التوحيد وغيره . كشف الحجب ، الكنتوري : ٤٨١ . معجم رجال الحديث ، الخوئي : ١٨٧/٨ . الكنى والألقاب ، القمي : ١٦٦/٢ .

(٢) لم أجده في مشارق أنوار اليقين .

ولا ريب بأن الأشباح جوهر للأجسام ، والأرواح جوهر للأشباح، والأنوار جوهر للأرواح ، والأسرار جوهر للأنوار ، وكل عالٍ ذات للسافل ، لظهوره له به بنفسه ، وهو معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام : (**أنا ذات الذوات ، أنا الذات في الذوات للذات**)[1] .

فأشار بقوله عليه السلام : (**أنا ذات الذوات**) إلى المقامين الأولين ، أي: جوهر الجواهر ، واسطقس الاسطقسات ، ومبدأ المبادئ ، وعلة العلل .

وأشار بقوله : (**أنا الذات في الذوات**) في الحقائق والماهيات ، إلى /م ١٧٤مقام الأبواب .

وأشار إلى عدم استقلالهم في أنفسهم وعدم تذوتهم في حقائقهم ، وإلى أنهم ﴿ **عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۞ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾[2] ، بقوله : (**للذات**) ، أي : الحق سبحانه وتعالى ، وهو معنى ما قال العارف الجيلاني :

---

(١) سبق تخريجه : ١/١١٠ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٦-٢٩ .

عكسها گرديد در عالم زيك صورت عيان

موجها گشتند از يك بحر پيدا در جهان

نيســـت مخفى سر اين معنى به نزد عارفان

نور اوشد جلوه گر بر صورت پيغمبران

نوح وإبراهيم وخضر وآدم وموسى عليست

وهو في هذه يناسب مقام الأبواب ، لكن لك أن تجعل البيت الأول للمقامين الأولين ، فافهم .

فهـــم في هـــذه المقامات الثلاثة العلل الأربع للكل ، ومبدأ جميع الموجودات ما جل وقل .

[٤ – مقام الإمام]

ولهـــم مقـــام آخر غير هذه المقامات الثلاثة ، وهو رابع مراتبهم ومقاماتهم وهو مقام الإمام عليه السلام ، وفي هذا المقام هم حجة الله على الأنام، وخليفته في الأرض لأهل المشرق والمغرب في الوجود التشريعي ، في تبليغ الوحي والإلهامات ، وما يريد الله عز وجل من الخلق من الأعمال والتكليفات ، وتوصيف الحق للخلق على ما فطرت عليه الذوات والصفات .

وفي هـذا المقـام تـتعدد مراتبهم ، وتختلف أساميهم ، وتتفرق ظهوراتهـم ، ويجري عليهم ما يجري على الخلق ، وهو مقام : ﴿ **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** ﴾[1]، ويأكل مما يأكلون ، ويشرب مما يشربون .

وفي هذا المقام يترل عليهم الوحي من الله سبحانه ، بواسطة جبرئيل وميكائيل وغيرهما من الملائكة ، وفي هذا المقام هم مختلف الملائكة ، تأتيهم وتخبرهم عما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

وفي هـذا المقـام يـترل عليهم في ليلة القدر الروح مع الملائكة الحجـب[2] ، فيخـبرهم بما حتم حتماً في /م ١٧٥ تلك المشيئة مما كان مشروطاً عندهم .

وفي هـذا المقـام لهم نكت في الأذن ، ونقر في القلوب ، وعندهم الغابـر والمـزبور ، والـتوراة والإنجيل والفرقان والزبور ، وعندهم الجفر الأبيض، والجفر الأحمر ، والجفر الجامعة ، ومصحف فاطمة[3] عليها السلام .

---

(١) سورة فصلت : ٦ .

(٢) انظر : تأويل الآيات ، الحسيني : ٢/٨٢٣ ، ٩٧ سورة القدر /١٢ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٥/٩٦ ، ك الإمـامة ، أبواب خلقهم وطينتهم ... ب٣ الأرواح التي فيهم ... /٦٨ .

(٣) قـال الإمـام الصـادق عليه السلام : **(علمنا غابر ، ومزبور ، ونكت في القلوب ، ونقر في الأسماع ، وإن عندنا الجفر الأحمر ، والجفر الأبيض ، ومصحف فاطمة عليها السلام ، وإن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه) .** ◄

وعـــندهم آثـــار الأنبياء[1] من الأولين والآخرين ، وعندهم عصا

◀ وقـــد سـئل عليه السلام عن تفسير الرواية السابقة ، فقال : (**أما الغابر فالعلم بما يكون ، وأما المـزبور فالعلم بما كان ، وأما النكت في القلوب فهو الإلهام ، والنقر في الأسماع حديث الملائكة ... . أما الجفر الأحمر ، فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله . وأما الجفر الأبيض ، فوعـــاء فـــيه تـــوراة موسى ، وانجيل عيسى ، وزبور داوود ، وكتب الله الأولى . وأما مصـــحف فاطمة عليها السلام ، ففيه ما يكون من حادث ... . أما الجامعة ، فهي كتاب طوله سبعين ذراعاً ...**) .

انظـــر : الإرشاد ، الشيخ المفيد : ١٨٦/٢ ، ب الإمام الصادق عليه السلام . أعلام الورى بأعلام الهدى ، الشيخ الطبرسي : ٥٣٦/١ ، ب٥ ذكر الإمام الصادق عليه السلام ، ف٤ طرف مـــن مناقـــبه ... . الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي : ٨٩٤/٢ ، ب في معجزات محمد وأوصيائه عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، فصل الإمام الصادق عليه السلام .

(١) المحاســـن ، الـــبرقي : ١٤٦/١ ، ك الصفوة والنور ... ، ب١٤ أنتم أهل دين الله /٥١ . بصـــائر الدرجـــات ، الصفار : ٤٨٨/٩ ، ب ٢٢ رسول الله صلى الله عليه وآله الاسم الأكبر وميراث النـــبوة ... /١ . بحـــار الأنـــوار ، العلامة المجلسي : ٩٠/٦٥ ، أبواب الإيمان ، والإسلام والتشيع ... ، ب١٦ أن الشيعة هم أهل دين الله ... /٢١ .

موسى[١] ، وناقة صالح ، وتابوت السكينة[٢] ، وسرير داود ، وخاتم سليمان[٣] ، وغير ذلك من آثار النبوة .

---

(١) عن محمد بن علي عليه السلام قال : (**كانت عصا موسى لآدم سقطت إلى شعيب ... وإنها لعندنا ...**) .

الاختصاص ، الشيخ المفيد : ٢٦٩ . الإمامة والتبصرة ، ابن بابويه القمي : ١١٦ ، ك المستدرك ، ب ٣١ في أوصاف المهدي عليه السلام /١٠٨ . الكافي ، الشيخ الكليني : ٢٣١/١ ، ك الحجة ، ب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء عليهم السلام /١ .

(٢) قال الإمام الرضا عليه السلام : (**السكينة ريح تخرج من الجنة ... قال : تلك السكينة في التابوت ، وكانت فيه طشت تغسل فيها قلوب الأنبياء ، وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء ثم أقبل علينا ...**) .

قرب الإسناد ، الحميري القمي : ٣٧٣ ، الإمام الرضا عليه السلام /١٣٢٧ . الكافي ، الشيخ الكليني : ٤٧١/٣ ، ك الصلاة ، أبواب السفر ، بصلاة الاستخارة /٥ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٤٣/٧٣ ، ك الآداب والسنن ... ، أبواب آداب السفر ، ب٤٨ حمل العصا .../٢٥ .

(٣) عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد عتمة وهو يقول : همهمة همهمة ، وليلة مظلمة ... وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى**) .

الكافي الشيخ الكليني : ٢٣٢/١ ، ك الحجة ، ب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء عليهم السلام /٤ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٨١/١٤ ، أبواب قصص سليمان ... ، ب٥ فضله ومكارم أخلاقه ... /٢٤ . بصائر الدرجات ، الصفار : ١٩٨/٤ ، ب٤ ما عند الأئمة عليهم السلام من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ... /١٣ .

وفي هـــذا المقـــام مـــن عرفهم سعد واهتدى ، ومن جهلهم ضل وغـــوى، وفي هذا المقام يطيعوهم ويعصوهم ويغصبون حقهم ، ويؤذوهم ويقتلوهم وينهبوهم .

وفي هـــذا المقـــام هم أفضل الخلق من الأولين والآخرين ، وكانوا خليفة وآدم ما بين الماء والطين[(١)] .

وفي هذا المقام يشاهدون أحوال الخلق مما هو في المشرق والمغرب ، ويحكمـــون للطـــيور والوحـــوش والبهائم وحشرات الأرض والجمادات والنـــباتات /ح ٦٨ والجـــن والملـــك ، وغير ذلك من أنواع الموجودات وأصناف المخلوقات ، وغير ذلك من الأمور الظاهرة في النبوة والولاية .

[أ – ترتبهم عليهم السلام في الظاهر والحقيقة] :

وأما ترتبهم في الظاهر والظهور هو مثل ما ترى ، وأما في الحقيقة ونفس الأمر حسبما أخبروا هكذا :

فالأول : رسول الله محمد صلى الله عليه وآله .

---

(١) مناقـــب آل أبي طالـــب ، ابن شهر آشوب : ١٨٣/١ ، ب ذكر سيدنا رسول الله ، ف اللطـــائف . عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي : ٤١٨/١ ، ب١ ، المسلك الثالث . بحـــار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٧٨/١٨ ، أبواب أحواله صلى الله عليه وآله ، ب٢ في كيفية صدور الوحي .../ ٣٨ .

والثاني : أمير المؤمنين عليه السلام .

والثالث : الحسن عليه السلام .

والرابع : الحسين عليه السلام .

والخامس : القائم سلام الله عليه ، وهو محمد بن الحسن العسكري صلى الله عليهما .

والسادس : الأئمة الثمانية عليهم السلام .

والسابع : فاطمة صلوات الله عليها .

وهـذا هو الذي فهمنا واستنبطنا بتعليمهم – سلام الله عليهم – بإعانة الله تعالى من ظواهر أخبارهم وآثارهم وبواطنها ، وإلا فما لنا وإدراك مراتبهم في أنفسهم ، ﴿ **لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾[1] .

وهم عندنا كما قالوا : (**كلنا محمد ، أولنا محمد ، وآخرنا محمد، وأوسطنا محمد** صلى الله عليه وآله)[2] .

مثل السراج والأشعة ، فإن الأشعة لا ترى السراج إلا واحداً مستقلاً ، ولا تعرف فيه الشدة والضعف ، والقرب والبعد ، والاستضاءة ،

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٢) بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٦/٢٦ ، ك الإمامة ، أبواب علامات الإمام وصفاته ... ، ب ١٣ نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانية /١ . كتاب الغيبة ، النعماني : ٨٦ ، ب ٤ ما روي في أن الأئمة اثنا عشر ... /١٦ . المحتضر ، الحسن الحلي : ١٦٠ .

إلا إذا أخبرها السراج بما فيه من المراتب ، في الشدة والضعف ، وكذلك حالنا بالنسبة إليهم عليهم السلام ، فهم عندنا حقيقة واحدة ، وإن كان عندهم في أنفسهم مراتب على ما أخبرنا لك /م ١٧٦ .

[ب - تفاوتهم عليهم السلام ليس بالعلية والمعلولية] :

ثم اعلم أن التفاوت في المراتب التي لهم عليهم السلام ليست بالعلّيّة والمعلوليّة ، ولا بالتابعيّة والمتبوعيّة ، ولا بالظاهريّة والمظهريّة ، بل باستضاءة بعضها من بعض ، كالضوء من الضوء ، يعني صرف التقدّم الذاتي الحقيقي ، كتفاوت مراتب الكلمة في النقطة والألف والحروف والكلمة ، والدلالة إنّما تظهر من الجميع ، فلا فرق لها في مراتب الكلمة ، وتراها واحدة .

فهم كلّ واحد منهم يقوم مقام الآخر بالبدليّة ، فكلّ واحد منهم علّة تامّة مستقلّة في الوجود ، يقوم بما يقوم به الآخر ، وإن كان بينهم تفاوت في المراتب الأُخر بخلاف غيرهم من الأنبياء والمرسلين ، فإنّهم وإن كانوا في التابعيّة علّة للمرتبة الإنسانيّة - على ما سبق[1] - لكنّه ليس كلّ واحد منهم ، بل المجموع من حيث المجموع ، بحيث إذا نقص واحد منهم

---

(١) انظر : ٢/٢٣٨ .

يحصل الاختلال في العلّيّة ، كما ذكرنا في محلّه ومقامه ، ولا كذلك أئمّتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

[ج – الوجود يدور على مقاماتهم الأربعة] :

اعلم أنّ كلّ الوجود يدور على هذه المراتب الأربعة – كما عرفت – وأشار إلى الجميع مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام بالتلويح بقوله عليه السلام : (**إنّ أمرنا هو الحق ، وحقّ الحق ، وهو الظاهر ، وباطن الظاهر ، وباطن الباطن . وهو السرّ ، وسرّ السرّ ، والسرّ المستسرّ بالسرّ ، والسرّ المقنّع بالسرّ**)[1] انتهى .

وأنت إن كنت تعرف لحن القول تعرف أنّ في كلام الإمام عليه السلام تفصيل بعد إجمال ، فكلامه الثاني تفصيل للأوّل .

فقال أوّلاً : (**إنّ أمرنا هو الحق ، وحق الحق**) فأشار إلى مرتبة الإمام عليه السلام بالحق ، وإلى المراتب الأُخر كلّها بالكناية بالجميع بقوله :

---

(١) بصائر الدرجات ، الصفار : ٤٩/١ ، نادر من باب في أن علم آل محمد عليهم السلام سر مستسر... /٤ . مختصر بصائر الدرجات ، الحسن الحلي : ١٢٧ ، ب في أئمة آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٧١/٢ ، ك العلم ، ب١٣ ، النهي عن كتمان العلم والخيانة ... /٣٣ .

(**وحق الحق**) ، ثم فصّل هذا الإجمال بقوله : (**وهو الظاهر**) وهو الإمام ، (**وباطن الظاهر**) وهو الأبواب ، (**وباطن الباطن**) وهو المعاني والبيان .

ثمّ فصّل هذا الإجمال بقوله : (**وهو السرّ**) وهو الإمام عليه السلام ، (**وسرّ السرّ**) وهو الأبواب ، (**والسرّ المستسرّ بالسرّ**) وهو المعاني (**والسرّ المقنع بالسرّ**) وهو البيان والتوحيد ، فقد كملت جميع المراتب بالإشارة .

لكن عليّ بن الحسين عليهما السلام ذكر هذه المراتب بالتصريح ، على ما روى صاحب كتاب أنيس السمراء وسمير الجلساء قال عليه السلام مخاطباً لجابر : (**يا جابر أتدري ما المعرفة ، المعرفة إثبات التوحيد أوّلاً ، ومعرفة المعاني ثانياً ، ومعرفة الأبواب ثالثاً ، ومعرفة** /م ١٧٧ **الإمام رابعاً ، والأركان خامساً ، والنقباء سادساً ، والنجباء سابعاً**)[١] انتهى .

الأركان أربعة ، وهم محالّ الفيض الفائض عن الغوث ، والقطب الذي هو الإمام .

---

(١) الهداية الكبرى ، الخصيبي : ٢٢٩ ، ب٦ الإمام السجاد عليه السلام . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ١٣/٢٦ ، ك الإمامة ، أبواب خلقهم ... ، ب١٣ نادر في معرفتهم – صلوات الله عليهم – بالنورانية /٢ .

وأمّــا النقباء فهم الأبدال ، وهم عندهم أربعون[١] ، لكنّا ما وقفنا في أخـبارهم عليهم السلام ما يدلّ على أنّ الأبدال أربعون ، لكنّا وجدنا ما يشير إلى أنّهــم ثلاثون ، لقوله عليه السلام : (**ونعم الأرض طيبة ، وما بثلاثين من وحشة**)[٢] ولا يبعد أن يكونوا هم الأبدال للسرّ المخفيّ ، إلاّ على الأقلّين.

وأمّــا النجباء فهم الأوتاد ، وقالوا إنّهم سبعون[٣] ، ونحن بحول الله عرفنا وجه العدد ، لكنّا ما اطلعنا على ما يدلّ عليه من أخبارهم وآثارهم ، ولذا نسكت عن عددهم ، ونتكلّم عمّا تكلّموا .

وقالوا[٤] : هنا رتبة رابعة وهم الصالحون[٥] ، وهم ثلاثمائة وستّون نفساً ، وهؤلاء لا يزيدون ولا ينقصون عن هذا العدد .

وأمّا الأركان فهم أحياء ، وأمّا الأبدال إذا مات واحد منهم يرقي الله تعالى واحداً من الأوتاد إلى مرتبة الأبدال ؛ ليكمل به عددهم .

---

(١) الفتوحات المكية ، ابن عربي : ٢١٥/١ . المصباح ، الكفعمي : ٥٣٤ (الهامش) .

(٢) الكـافي ، الشـيخ الكلـيني : ٣٤٠/١ ، ك الحجة ، ب في الغيبة /١٦ . كتاب الغيبة ، النعماني: ١٨٨ ، ب١٠ ما روي في غيبة الإمام المنتظر ... /٤١ . الغيبة ، الشيخ الطوسي : ١٦٢ ، ف١ في الكلام في الغيبة /١٢١ .

(٣) المصباح ، الكفعمي : ٥٣٤ .

(٤) لم ترد في (ح) .

(٥) المصباح ، الكفعمي : ٥٣٤ .

وكذلك إذا مات واحد من الأوتاد ، يقوم مقامه واحد من الصالحين ، وكذلك إذا مات واحد من الصالحين يرقي الله تعالى واحداً من المؤمنين ، فيقوم مقامه ؛ ليكمل به عددهم .

ولا بعد في صحّة ما قالوا[(١)] ؛ لكونه موافقاً لترتيب الوجود ، فإنّ المبدأ - أي القطب - الدائر عليه جميع كرات العالم واحد ، ليفيض منه الفيض إلى أربعة أركان العرش ، ثمّ يفيض من تلك الأركان إلى ثلاثين مراتب القبول ، [ثمّ إلى أربعين مراتب المقبول][(٢)] ، ثمّ إلى ثلاثمائة وستّين مراتب القبول والمقبول ، وهو مراتب الأسماء الإلهيّة المتزلة إلى المنازل الخلقيّة، كما ذكر الإمام عليه السلام على ما في الكافي في باب حدوث الأسماء[(٣)]، هذا على القول بأنّ الأبدال ثلاثون .

وأمّا على القول بأنّه أربعون كما ذكروا فالمبدأ واحد ، يفيض منه الفيض إلى الأركان الأربعة ، فيفيض منه إلى أربعين مراتب الوجود ، ثمّ إلى سبعين مرتبة المعلول ، ثمّ إلى ثلاثمائة وستّين المراتب المتزلة من تلك الكلّيات، فاعرف .

---

(١) المصباح ، الكفعمي : ٥٣٤ .

(٢) لم ترد في (ح) .

(٣) الكافي ، الكليني : ١/١١٢ ، ك التوحيد ، ب حدوث الأسماء /١ . التوحيد ، الصدوق : ١٩٠ ، ب ٢٩/٣ .

وأمّـــا حديث جابر المتقدّم وهو قول الباقر عليه السلام لجابر : (**يا جابر عليك بالبيان والمعاني .**

قال : **وما البيان والمعاني ؟ .**

قـــال[1] عليه السلام : **أمّـــا البيان : فهو أن تعرف أنّ الله واحد ليس كمـــثله شيء ، فتعبده ولا تشرك به شيئاً . وأمّا المعاني : فنحن معانيه ، ونحن علمه ، و /م ١٧٨ نحن حكمه ، ونحن حقّه /ح ٦٩ ، ونحن عينه ، إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريد ، ونحن ظاهره فيكم - إلى أن قال - اخترعـــنا مـــن نور ذاته ، وفوّض إلينا أمور عباده ، إنّ إلينا إياب هذا الخلق ثمّ إنّ علينا حسابهم**)[2] .

فهـــو يشـــير إلى المقامـــات الثلاثة بالتصريح ، وإلى مقام الإمامة بالكناية، وهو ما هم عليه من الأحوال الظاهرية المعروفة عند الناس ، وهو مســـتغنٍ عـــن البـــيان ، كما لا يخفى ، واحفظ هذه المراتب ، فإنّك إذا حفظـــتها لا يشـــتبه عليك فهم أحاديثهم وكلماتهم ، وتراها متّحدة المراد والمعنى في كمال الاختلاف .

---

(١) في (ح) : قال علي .

(٢) سبق تخريجه : ٢٣٣/٢ .

[د - المقامات هي قيومية الحق للأشياء] :

وهذا الذي ذكرنا كالمقدّمة لما سيجيء ، وهو المراد في هذا المقام ، فـإنّك إذا عرفـت أنّ القيّوم صفة الفعل لا صفة الذات ، عرفت أنّ صفة الفعـل لا تعلّـق للـذات بها تعلّق اتّصال وتصادق ، فيكون هو المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان .

وتلك المقامات هي قيوميّة الحق للأشياء ولأنفسهم ولغيرهم ، يعني أقامها الله تعالى بأنفسهم وبحقائقهم .

وهـي الاسـم الذي استقرّ في ظلّه ، فلا يخرج منه إلى غيره ، ولا كـيف لذلك ، وقد ورد[١] أنّه لا كيف لفعله وصنعه ، كما أنّه لا كيف لذاته ، ولا أوّل له ، ولا آخر له ، ولا ابتداء له ، ولا انتهاء له ، ولا تقدّم عليه شيء ، ولا تأخر عنه شيء ، ولا هو في مكان ، ولا في زمان ، ولا في جهـة ، ولا رتـبة ، فـإنّ الكيف والكمّ ، والأوّليّة والآخريّة ، والابتداء والانـتهاء ، والـتقدّم والتأخّر ، والزمان والمكان ، والحركة والسكون ، والجهة والرتبة ، والوضع والإضافة ، كلّها مخلوقة به ، وهو خالقه بالله ، و **(لا يجري عليه ما هو أجراه)**[٢] .

---

(١) الكافي ، الكليني ، ١/١١٠ ، ك التوحيد ، الإرادة أنها من صفات الفعل ... /٣ . التوحيد، الصدوق : ١٤٧ ، ب ١١ صفات الذات ... /١٧ .

(٢) سبق تخريجه : ١/٢٤٩ .

فخلقـــه الله تعالى لا في زمان ، ولا في مكان ، فهو لا يتناهى أوّلاً وآخراً ، ولا نسبة بينه وبين الحق جلّ وعلا ، وإلاّ يلزم الحدوث والاتّصال، وإلاّ يلـــزم حـــدوث الواجـــب ، أو قدم الفعل ، ضرورة تشابه المتّصلين وتناســـبهما في الملـــتقى ، ولا الانفصـــال ولا التباين ، أو ننقل الكلام في الفاصل إمّا يدور ، أو يتسلسل ، أو يثبت ما قلنا ، ولا سبق عليه شيء من الحوادث والممكنات .

وأمّـــا قولهـــم[1] : الحادث مسبوق بالعدم ، فكلام زور ، وتوهّم كاسد ؛ لأنّ العدم إن كان شيئاً ، فهو إمّا حادث أو قديم ، وإن كان ليس بشيء فما سبقه شيء ، فليس الحادث مسبوقاً بشيء أبداً . /م ١٧٩

[هـ - الفعل والكيف] :

واعلم أنّ الذي قلنا إنّه لا كيف للفعل ، مرادنا أنّه لا كيف له في إصـــداره من فاعله المتقوّم بالذات - تبارك وتعالى - وأمّا الفعل في مرتبة ذاته - في ملاحظة أنّه مفعول - له كيف ، لكنّه ليس مثل هذه الكيفيّات المعـــروفة عند الناس ، ولا يدرك ذلك الكيف وتلك الحالات إلاّ الفؤاد ،

---

(١) كشف الفوائد ، الحلي : ٦٨ . كشف البراهين ، الأحسائي : ٩٧ . الأسفار ، الشيرازي : ١٥٣/٣ .

الذي هو التوسّم ، وهو الذي يدرك الأشياء بلا جهة ولا كيف ولا كمّ ، ولا وضع ولا إضافة ، ويفرّق المجتمع البسيط ، ويجمع المتفرّق المختلف .

وأمّا العقل ، وما تحته من المشاعر والمدارك ، فلا يتأتّى لهم ذلك ، لأنّهم ذو تقييد وتعيّن ، وجهة ووضع وإضافة ، فلا يدركون ما هو خارج عن هذه الدائرة ضرورة وجوب المناسبة بين المدرِك والمدرَك ، فتبصّر .

فإذا كان كذلك فيمكن لذلك المشعر أن يدرك ما للفعل من الهيئة والمراتـــب ، حسب ما هو عليه ، لا حسب ما الفعل عليه ، فإنّ الشيء لا يتجاوز مبدأه ، ولا يعرف إلاّ ما فيه ، ولا يقرأ إلاّ حروف نفسه .

[هيئات المخلوقات]

[١ – هيئة الفعل] :

فنقول : إنّ شمس اسم الله القابض لّما أراد الله تعالى أن يخلقها بنفسها أمرها أن تشرق على أرض الإمكان الموجودة عند الإشراق واللمعان ، الذي هو الرحمة الواسعة للرحمن ، فصعدت الأبخرة – أي رطوبة الرحمة – بتلك الرحمة بالشمس التي هي نفس الرحمة بتلك النفس .

ثمّ قبض بالملك الذي هو نفس تلك الرحمة من رطوبتها بتلك الرطوبة أربعة أجزاء بتلك الأجزاء نفسها ، ثم بها[1] أخلطها بنفسها بجزء من الهباء المنبثّ في الهواء – أي الرحمة – بنفس ذلك الهباء .

ثمّ وضعهما في تعفين هاضمتهما بنفسهما ، فانحلاّ بهما ، وانعقدا بهما ، وتراكما بهما ، وهو الخلق الأوّل .

فكان القابض والمقبوض والمقبوض منه والمقبوض به شيء واحد ، بلا اختلاف ولا تعدّد .

وإنّما هذا الاعتبار من جهة أنّ المفعول رأيناه على هذه الطريقة ، فحكمنا على الفعل بذلك ، ضرورة أنّ المفعول يشابه هيئة الفعل ، الذي

---

(١) لم ترد في (م) .

هو صفة الفاعل ، ولذا قلنا إنّ الأثر لا بدّ وأن يكون مشابهاً لصفة المؤثّر ، واسمه لا ذاته ، وإلاّ يلزم المشابهة المستلزمة للنقص ، لما قلنا من أنّ الصفة من مقتضيات الموصوف ، فصفة الممكن من مقتضياته ، ولا يقتضي إلاّ الفقر والاحتياج ، والنقص والفناء والعدم .

فلو كانت ذات الحق مشابهة لما /م ١٨٠ الممكن عليه من الهيأة والصفة ، يلزم أن يكون مشابهاً لما هو عليه من الفقر والنقص ، هذا خلف. فالمناسبة لابدّ وأن تكون بين المفعول وصفة الفاعل في الإيجاد والتأثير .

[**٢ – هيئة الإمكان**] :

الحاصل ، إنّ الله تعالى لمّا خلق الفعل أقامه بنفسه ، وأمسكه بظلّه ، فخلق به الإمكان مطلقاً دفعة واحدة ، وهو الذكر الأوّل للأشياء ، وهو ذكر جميع الموجودات ، وهو العلم ، وهو الأعيان الثابتة في أماكنها الحادثة بالله ، القائمة بفعله .

فكان الفعل طبق الإمكان ، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، إذ لا يجوز أن يكون شيء إلاّ بالمشيئة ، أو تكون المشيئة لا في الإمكان ، لكن نسبتها إلى الإمكان نسبة المحدّد إلى الأجسام .

فكانت المشيئة من الإمكان على حدّه الأعلى ، فهي الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر ، فكلّ ما في العمق الأكبر وجد ، فقد جفّ القلم

بما هو كائن ، وما بقي إلاّ الواجب الذي لم يتعلّق به جعل ولا تأثير ، والممتنع ليس بشيء حتّى يصير متعلّق الجعل .

فكلّ الإمكان - أي ذكر جميع الممكنات - وجد في الخلق الأوّل ، وهو مذكوريّتها في العلم ، كما قال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْأِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً** ﴾[1] ، قال عليه‌السلام : (**كان مذكوراً في العلم ولم يكن مكوّناً**)[2] ، وهو العدم الذي [هو] سابق على الحادث ، والمكوّن ، كما قالوا[3] : إنّ الحادث مسبوق بالعدم ، وهو العدم الذي يتصوّر ويحكم عليه .

وهو النفي الذي هو شيء على ما قال الصادق عليه‌السلام عند اختلاف زرارة وهشام في النفي ، قال هشام : النفي شيء . وقال زرارة : ليس بشيء ، فقال عليه‌السلام : (**قل بقول هشام /ح ٧٠ في هذه المسألة**)[4] .

---

(١) سورة الإنسان : ١ .

(٢) تفسير مجمع البيان ، الطبرسي : ٢١٣/١٠ ، سورة الإنسان . بحار الأنوار ، المجلسي : ٥٧/ ٣٢٨ ، ك السماء والعالم ، أبواب الإنسان والروح ... ، ب٤١ بدء خلق الإنسان في الرحم... .

(٣) كشف الفوائد ، الحلي : ٦٨ . اللوامع الإلهية ، السيوري : ١٤٥ . كشف البراهين ، الأحسائي : ٩٧ . الأسفار ، الشيرازي : ١٥٣/٣ .

(٤) سبق تخريجه : ٤٩/٢ .

وهـــو العـــدم الـــذي ضدّ الوجود ، فإنّ العدم الصرف لا يصلح للضدّية، وهو العدم في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً** ﴾[١] .

وهذا العلم هو الخزينة الأوّلية الأعلى من الخزائن التي للشيء ، قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ** ﴾[٢] ، وهو الخزينة التي لا تنفد، ينفق منها كيف يشاء .

وهـــو بحر لا ساحل له ، ولا نهاية له ، لا من جهة الأوّل ، ولا من جهـــة الآخـــر ، فإنّك إذا أردت أن تعدّ إمكانات الشيء الواحد ما تقدر تحصـــــرها ، وهـــو من معاني قـــوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾[٣] ، أي نعمة واحدة منها ، فإنّها غير متناهية .

أمـــا سمعت أنّ الله تعالى لمّا أدخل أهل الجنّة الجنّة ، وأهل النار النار أمر بالموت ، فيجيئون /م ١٨١ به بصورة كبش أملح ، فيذبحونه بين الجنّة والـــنار ، فينادون : يا أهل الجنّة لكم الخلود ، ويا أهل النار لكم الخلود ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين[٤] .

---

(١) سورة مريم : ٦٧ .

(٢) سورة الحجر : ٢١ .

(٣) سورة النحل : ١٨ .

(٤) تفســير القمي ، القمي : ٢/٥٠ ، سورة مريم ، آية : ٣٩ . بحار الأنوار ، المجلسي : ٨/ ٣٤٦ ، ك العدل والمعاد ، ب٢٦ ، ذبح الموت ... /٤ .

ولا شكّ أنّ كلاً من أهل الجنّة والنار لا يبقون من غير مدد ، فيأتيهم المدد من الله سبحانه كلّ آن ودقيقة وساعة ، ولا يأتيهم من ذات الحق سبحانه ، ولا من غيره – أي من غير المستمدّ – فإنّ الشيء لا يستمدّ إلاّ من جنسه وما يناسبه .

فلا يستمدّ المادّي من المجرّد ، والمجرّد من المادّي ، والعالي من السافل ، والسافل من العالي ، فيمدّ الله تعالى كلّ واحد ممّا يناسبه ، ومن سنخه ، وممّا يمكن في حقّه ، ولا نهاية لها ولا غاية ، فلا يقدر أحد أن يحصي كلّ ما في الشيء الواحد ، إلاّ في الأزمنة الغير المتناهية ، كما لا يخفى .

وهذه الخزينة لها جهتان :

الجهة العليا : وهي ما يتنزّل إلى المراتب العالية ، والذوات الطيّبة الحسنة ، التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها من تلك الخزينة العليا ، وكلّ ما يتصوّر الإنسان من التصوّرات الحسنة، والتوهّمات الصادقة ، والتعقّلات النوريّة المطابقة لما في العين .

والجهة السفلى : وهي ما يتنزّل إلى المراتب السافلة ، والذوات الخبيثة المجتثّة ، التي من فوق الأرض مالها من قرار ، ويأتيها المدد الظلماني الذي هو التخلية والخذلان والطرد من تلك الخزانة .

وكلّ ما يتصوّر الإنسان من التصوّرات الباطلة ، والتوهّمات الكاذبة ، والتخيّلات الظلمانيّة ، مثل تصوّر شريك الباري[١] ، واجتماع النقيضين[٢] ، وتجويز الولد لله سبحانه[٣] ، وتقسيم المفاهيم إلى الخمس[٤] : الواجب لذاته ، الواجب لغيره ، والممتنع لذاته ، والممتنع لغيره ، والممكن لذاته .

وتجويز أنّ الماهيّات قديمة غير مجعولة[٥] ، وتجويز أنّ المشيئة والإرادة قديمة[٦] ، وتجويز أنّ علم الله مستفاد من المعلومات[٧] ، وتجويز أنّ ذات الله هي الوجود الساري في الموجودات ، وأنّ الأشياء كلّها أوهام وتخيّلات[٨] .

وتجويز أن الوجود المنبسط هو الفعل المتعيّن بالتعيّنات[٩] ، وتجويز

---

(١) الأسفار ، الشيرازي : ١/٢٣٨ .

(٢) الأسفار ، الشيرازي : ١/١٧٤ .

(٣) انظر : سورة الصافات : ١٥٢ .

(٤) سبق تخريجه : ١/٢٨٣ .

(٥) سبق تخريجه : ٢/١٨١ .

(٦) شرح أصول الكافي ، المازندراني : ٣/٢٦٥ . تفسير القرآن الكريم ، الشيرازي : ٤/١٤٦ .

(٧) فصوص الحكم ، ابن عربي : ٩٨ .

(٨) فصوص الحكم ، ابن عربي : ١٠٤ .

(٩) علم اليقين ، الكاشاني : ١/١٠٠ .

أنّ مشيئة الله تنكح وتشرب[١] ، وتجويز أن الإمكان غير مجعول[٢] ، وتجويز أنّ العقل هو المشيئة ، وتجويز أن العقول عشرة[٣] ، وتجويز أنّ صفات الله الثبوتيّة منحصرة في الثمانية ، والسلبيّة في السبعة .

وتجويز أنّ /م ١٨٢ أمير المؤمنين أفضل من رسول الله ﷺ ، وتجويز أنّ الماهيّة والوجود ليس فيهما إلاّ جعل واحد[٤] ، وتجويز إمكان إدخال الدنيا بكبرها في البيضة بصغرها[٥] ، وأمثال ذلك من التصوّرات الباطلة ، والتوهّمات الكاذبة ، والتخيّلات الفاسدة ، والتعقّلات المكرهة .

وكلّ ذلك صور تلك الخزائن السافلة ، الكائنة في السجّين أسفل السافلين ، الصاعدة إلى الأرض الثانية ، الداخلة في أذهان الناس بالشياطين الثلاثة ، ولذا قال الرضا عليه السلام : (**لم يتصوّر أحد شيئاً إلاّ وقد خلقه الله قبل ذلك ، حتّى لا يقال لم لم يخلق ذلك**)[٦] .

---

(١) التوحيد ، الصدوق : ٤٤٨ ، ب ٦٦/١ .

(٢) إرشاد الطالبين ، السيوري : ٤٤ . الأسفار ، الشيرازي : ١٧٤/١ .

(٣) اللوامع الإلهية ، السيوري : ١١٧ .

(٤) الشواهد ، الشيرازي : ٧١ . المشاعر ، الشيرازي : ٨٤ .

(٥) التوحيد ، الصدوق : ١٢٢ ، ب ١/٩ . الكافي ، الكليني : ٧٩/١ ، ك التوحيد ، ب حدوث العالم .../٤ .

(٦) سبق تخريجه : ٢٧٧/١ .

وهـــو معـــنى قوله تعالى المتقدّم آنفاً : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾[1] ، فافهم .

ثبّـــتك الله وإيّانـــا بالقول الثابت ، وهدانا الله وإيّاك إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالّين .

[٣ - هيئة السحاب المزجى والمتراكم] :

ثمّ إنّ الله تعالى لمّا أراد أن يظهر ما في الإمكان إلى الأعيان لتتحقّق العلّـــة الغائيّة ، خلق من ذلك السحاب - الذي بيّناه[2] - أنّه حصل من تصعيد شمس اسم الله القابض البخار ، الحاصلة في أرض الإمكان ، ومزجه بالهـــباء المنبثّ في ذلك الهواء ، فجعله سحاباً مزجى ، ثمّ جعله متراكماً ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّـــتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3] .

مـــاءً واحـــداً بسيطاً غير مركّب ، ولا مختلف ولا متعدّد ، صالحاً لكونه مادّة جميع الممكنات .

---

(١) سورة الحجر : ٢١ .

(٢) انظر : ٢/٢٨٥ .

(٣) سورة الأعراف : ٥٧ .

فساقه إلى بلد ميّت ، أرض الإمكان الذي تحقّقت شرائط وجوده ، وأسباب تحقّقه من المشخّصات الستّة : من الكمّ والكيف ، والجهة والرتبة، والزمان والمكان ، فأخرج به من كلّ الثمرات .

فكانت أوّل ما تنبت في تلك الحقيقة شجرة الخلد ، فأوّل ثمرتها روح القدس ، ثمّ ما تحته من الثمرات حسب مراتبها ، وحسب تحقق شرائطها .

فكلّما يتحقّق من تلك الشرائط من تلك الأراضي يمطر عليه ذلك المطر الأوّل ، فينبت حسب مقتضى تلك الشرائط النبات الخاصّ بها ، وهكذا إلى غير النهاية .

[٤ - **هيئة الحروف**] :

ثمّ خلق من نور ذلك الماء وصفته الفاطر على الأرض صفة تلك المشخّصات ونورها الحروف ، فكانت الألف اللينية في الحروف بمنزلة ماء /م ١٨٣ الوجود ، فكما كان أوّل تنزّل الوجود العقل الكلّي ، كذلك كان أوّل تنزّل الألف اللينية الألف المتحرّكة ، المعبّر عنها بالألف القائم ، وثاني تنزّل الوجود ، وأوّل تنزّل العقل النفس الكليّة ، كذلك

ثاني تنـــزّل الألف اللينية ، وأوّل تنـــزّل المتحرّكة الباء المعبّر عنها بالألف المبسوط[١] .

فكـــان العقل الاختراع الثاني /ح ٧١ من الذوات ، والألف القائم الاخـــتراع الـــثاني من الصفات ، وكانت النفس الكلّية الابتداع الثاني من الذوات ، وكان الألف المبسوط الابتداع الثاني من الصفات .

والاخـــتراع الأوّل هو المشيئة التي هي ذلك السحاب ، والابتداع الأوّل هـــي الإرادة ، الـــتي هـــي العزيمة على ما يشاء ، فكان الاختراع اختراعان ، والابتداع ابتداعان .

والاختراع الثاني والابتداع الثاني على قسمين :

اختراع في الذوات .

واختراع في الصفات .

وابتداع في الذوات .

وابتداع في الصفات .

وهـــو قول الرضا عليه السلام : (**إنّ الله خلق الاختراع والابتداع ، ثمّ خلق الحروف ، فجعلها فعلاً منه ، يقول للشيء كن فيكون**)[٢] .

---

(١) في (م) : المبسوطة .

(٢) عـــيون أخـــبار الرضا عليه السلام ، الصدوق : ١٥٤/٢ ، ب١٢ ، مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان /١ . التوحيد ، الصدوق : ٤٣٦ ، ب٦٥ ، مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان ... /١ .

وهذه الحروف هي الاختراع الثاني ، وهي أعمّ من أن تكون ذاتاً أو صفة - على ما فصّلنا[١] لك - .

ومعنى أنّ الألف هو الاختراع الثاني ، هو أنّها نزلت بتكرّرها ، وكان عنها الباء ، فكان الباء نزول الألف ، وتكرّرها وتأكيدها وانبساطها، فصورة الباء هكذا (ـــــ) ، وصورة الألف هكذا (ا) ، لأنّ نزول القائم انبساطه ، كما لا يخفى ، ومالت على الباء ، فحدثت عنها الجيم هكذا (حـــ) .

ومعنى أنّ الباء هو الابتداع الثاني ، أنّها نزلت بتكرّرها ، فكان عنها الدال (د) ، ومالت على الجيم ، فكان عنها الهاء ؛ لأنّ ميل القائم إلى الانبساط ، وميل المنبسط إلى الركود ، كما لا يخفى .

وعلى هذا القياس سائر مراتب الحروف ، فإنّها كلّها نشأت من الألف المتحرّكة ، التي هي ظهور الألف اللينية بظهورها في الباء ، فنشرها[٢] بالألف المتحرّكة ، وظهورها وبروزها متمايزة في الألف المبسوط، الذي هو الباء ، ولذا ورد أنّه (**ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم**)[٣] ، (**وكلّ ما في البسملة في الباء**)[٤] .

---

(١) انظر : ٢/٢٩٤ .

(٢) في (ل) : فنشورها .

(٣) سبق تخريجه : ١/٢٢٤ .

(٤) سبق تخريجه : ١/٢٢٤ .

فقوام الحروف كلّها بالألف اللينية التي هي مادّة الحروف ، وأصلها وأسّــها واسطقسّــها ، وكلّ الحروف مظاهرها ومجاليها ، فإذا نظرت في الحروف بنظر الحقيقة والواقع ما ترى غير ظهور الألف نفسها ، ولذا ترى الصوفيّة[1] - قبّحهم الله - /م ١٨٤ يمثّلون بها بذات الحق سبحانه وتعالى على القول بوحدة الوجود .

ولمّــا كانت الحروف في الرتبة الثانية ، في مقام التابعيّة والوصفيّة ، كــان كــلّ حرف بإزاء ذات من الذوات الجبروتيّة والملكوتيّة والملكيّة ، فكانت :

الألف للعقل .

والباء للنفس .

والجيم للطبيعة .

والدال للمادّة .

والهاء للمثال والصورة .

والواو لجسم الكلّ .

والزاي محدّد الجهات .

والحاء لفلك الكرسي .

والطاء لفلك البروج .

---

(١) انظر : ١/٢٥٠ .

والياء لفلك المنازل .

والكاف لفلك زحل .

واللام لفلك المشتري .

والميم لفلك المرّيخ .

والنون لفلك الشمس .

والسين لفلك الزهرة .

والعين لفلك عطارد .

والفاء لفلك القمر .

والصاد لكرة النار .

والقاف لكرة الهواء .

والراء لكرة الماء .

والشين لكرة التراب .

والتاء للجماد .

والثاء للمعدن .

والخاء للنبات .

والذال للحيوان .

والضاد للجنّ .

والظاء للملك .

والغين للإنسان ، على ما سنفصّل[١] لك إن شاء الله تعالى .

فالحـــروف صفات الذوات والذوات صفات المذوّت ، وأسماؤها ، والأسماء صفات المسمّيات ، التي هي المعاني ، وهي صفات الآيات والمظاهر والمقامـــات ، والعلامـــات — أي الكـــلمة التامّة — وهي صفة الحروف العالـــيات، السحاب المزجى ، وهي صفة الألف النفس الرحماني الأولي ، وهـــي صـــفة النقطة الرحمة ، وجوهر الجواهر ، واسطقسّ الاسطقسّات ، وهـــو الاســـطقسّ الذي فوق الاسطقسّات ، وهو أمر الله الذي إذا قال للشـــيء كن ، فيكون ، وهو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُـــولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ فَسُبْحَانَ الَّذي بِيَده مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾[٢] على النهج الذي بيّنا لك .

ولا تـــتجاوز فتزلّ قدمك عن الصراط ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وَمَا قَـــدَرُوا اللَّـــهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[٣] أي رتبة القوابل ، أي القابليّات ، أي الماهيّات المتقوّمة بالوجود .

وهي الإشارة إلى الذي قلنا[٤] إنّها مجعولة بجعل غير جعل الوجود ،

---

(١) انظر : ٣/٣٨ .

(٢) سورة يس : ٨٢ — ٨٣ .

(٣) سورة الزمر : ٦٧ .

(٤) انظر : ٢/١٩٣-١٩٥ .

وهـــو كمـــا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴾[١] فكانت في قبضـــته ، ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[٢] أي المقبولات من الذوات والصفات والموادّ ، أي الحقائق والماهيّات ، كما لا يخفى وسنـــزيد[٣] لك البيان في خلال الكلام ، إن شاء الله تعالى /م ١٨٥ .

---

(١) سورة الفرقان : ٤٦ .

(٢) سورة الزمر : ٦٧ .

(٣) انظر : ٢/٣٣٠ .

[كروية العالم]

وهــنا دقــيقة شريفة ، وهي أنّ المعلول يدور على العلة دورة غير متوالية ، والعلة تدور عليه دورة متوالية ، فإنْ[1] كانت إدارته على القطب تحــدث الكــرة لاســتدارته علــيه في جميع الجهات ، وكل الاعتبارات والحيثيّات، وإنْ كانت إدارته على المحور الخط الواصل بين القطبين تحدث الدائــرة ، لكــون الاستدارة على الجهة لا على كل الجهات والحيثيّات ، فالمعلول لا يجوز أنْ يدور على المحور ، وإلاّ لما أحاطت العلة بجميع جهات المعلول ، ولــمَا تساوى أجزاؤه في الدوران عليه ، كما لا يخفى .

فالعالم كله بجميع أجزائه وجزئيّاته ، وأطواره وحيثيّاته واعتباراته ، وأحواله وآثاره ، ومجرّداته وماديّاته ، وأمره وخلقه ، وفلكيّاته وعنصريّاته ، بجمــيع أغصانه وأوراقه وأثماره ، وما يترتّب عليه بنظر الجمع والإجمال ، كــرة واحــدة مجوّفة ، تدور على قطبها ، الذي هو فعل الفاعل المتجلّي الظاهــر فيها ، وهو المدبّر لها بجميع ما فيها من الأفلاك والكرات ، في كل يوم وليلة دورة غير متوالية .

---

(١) في (ح) : فإذا .

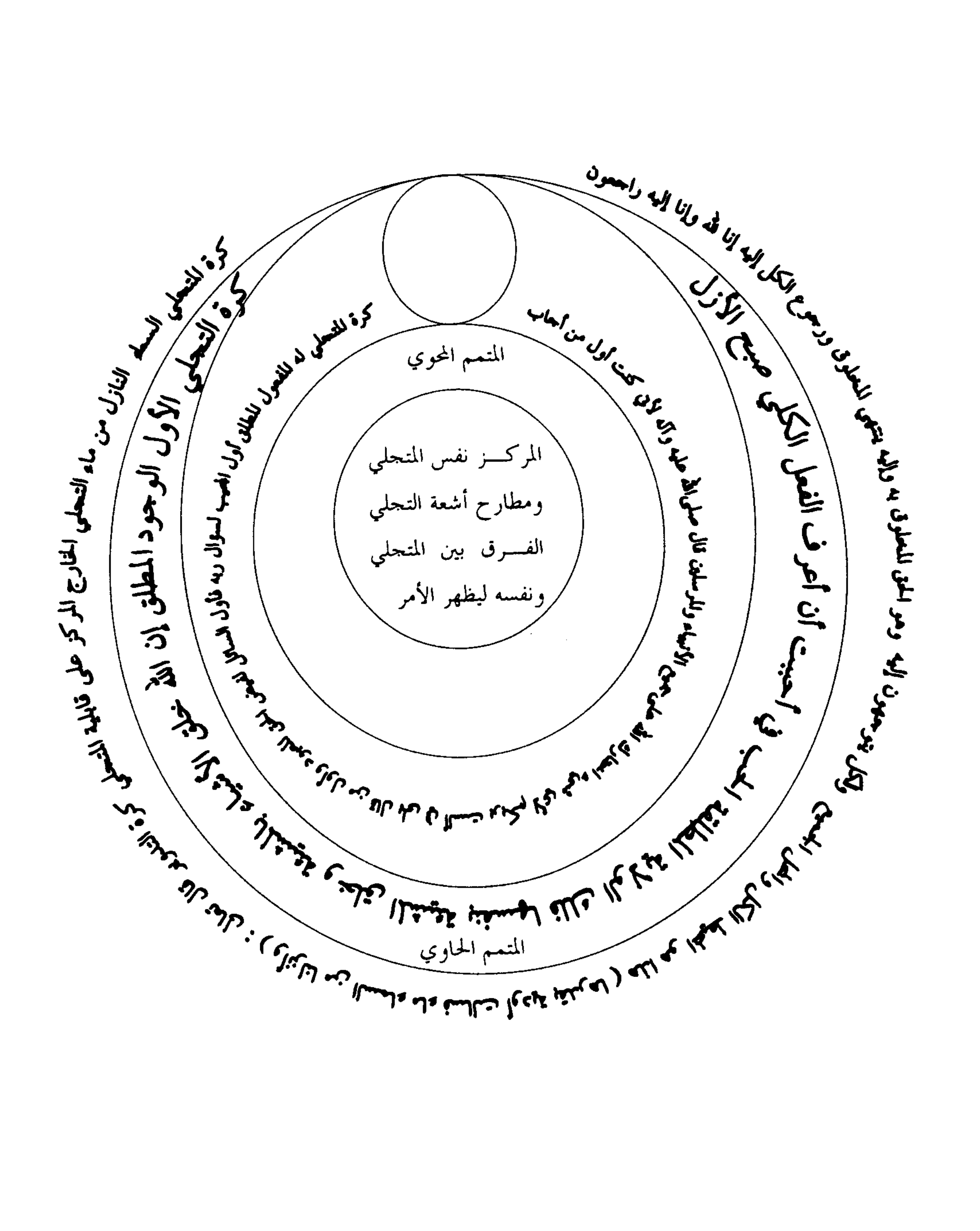
وهـــي المسخّرة له ، والمطيعة لأمره ، والقطب كرة واحدة ، تدور على المتجلّي بنفس التجلّي ، فالمتجلّي قطب للتجلّي الذي هو نفسه ، فهو يدور على باطنه الذي هو المتجلّي دورة غير متوالية ، والمتجلّي كرة مصمتة تدور على ظاهره الذي هو التجلّي على التوالي ، وهو كرة تدور على نفسه الذي هي المفعول المطلق كذلك ، ونفسه تدور عليه على خلافه .

فالمتجلّي ثلاث كرات تدور بعضها على بعض على التوالي ، وعلى خـــلاف التوالي ، لكن الكرة /ح ٧٢ الثالثة هي نفس الثانية ، وهي نفس الأولى ، وهي نفس المحور ، الذي هو الألف ، وهو نفس النقطة ، التي هي القطـــب ، فهي قطب الأقطاب ، وغاية الغايات ، ونهاية النهايات ، وهو المخلوق الذي ينتهي المخلوق إليه ، كما قال عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله**)[٢] هذا في الحقيقة والواقع .

وأمّـــا العـــبارة الظاهـــرة المطابقة لـــمَا في الواقع ، فاعلم أنّ كرة المـــتجلّي بمنزلـــة المحيط من الممثّل ، والتجلّي بمنزلة الحاصل والخارج المركز مـــنه، لـــبعد مركـــز كل واحد منهما عن صاحبه بسبعين درجة ، وكرة المـــتجلّى له أوّلاً وبالذات ، الذي هو المفعول المطلق ، بمنزلة التدوير منه ، على هذه الصورة /م ١٨٦ :

---

(٢) سبق تخريجه : ١/١٧٧ .


المتمم المحوي
المركز نفس المتجلي
ومطارح أشعة التجلي
الفرق بين المتجلي
ونفسه ليظهر الأمر
المتمم الحاوي
كرة التجلي الأول الوجود المطلق
صبح الأزل
كنت أول من أجاب

[أ – أقسام كرات الفعل من حيث هو]

إذا عرفت هذا التمثال ، فاعلم أنّ هذه الكرة بالإجمال تنقسم على أربعة أقسام ، ولك أنْ تجعل كل واحدة منها كرة على حدة مستقلّة ، لها قطب ومحور ، ولا دخل لها بصاحبها ، كما هو الواقع في الواقع ، ونفس الأمر ، ومقتضى الذوات والكينونات .

ولك أنْ تجعل المجموع كرة واحدة ، بأنْ تجعل البعض قطباً للكرة ، والأخرى محوراً ، والأخرى حاملاً ، والمتمّمين ، والأخرى ممّثلاً ، كما هو الواقع ، ونفس الأمر ، ومقتضى الاجتماع والاقتران ، والظهور والتجلّي والفعل :

الأول : كرة الباطن ، وهي القطب والنقطة ، الدائرة عليه الكرة بجميعها .

الثاني : كرة الباطن من حيث هو باطن ، وهي بمنزلة /م ١٨٧ المحور الخط الواصل بين القطبين .

والثالث : كرة الظاهر ، وهي الحامل والخارج المركز والمتمّمين الحاوي والمحوّي .

الرابع : كرة الظاهر من حيث هو ظاهر ، وهي الممثّل المحيط بالجميع إحاطة الظاهر بالباطن ، والقشر باللب ، وهو الابن الذي تولّد منه

أبــوه كما في الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً ﴾[١] ، فالإنسان هو رسول الله ﷺ ، ووالداه الحسن والحسين عليهما السلام[٢] .

والخامس : كرة الظهور ، وهو الكوكب ، أي الشمس ، وليس لها تدويــر لاســتقامتها ، لعدم استقامتها ، وإقامتها ورجعتها ، كما في غير النــيّرين ، فــلها الممثّل ، والخارج والظاهر مثال الباطن ، والصورة مثال الحقيقة .

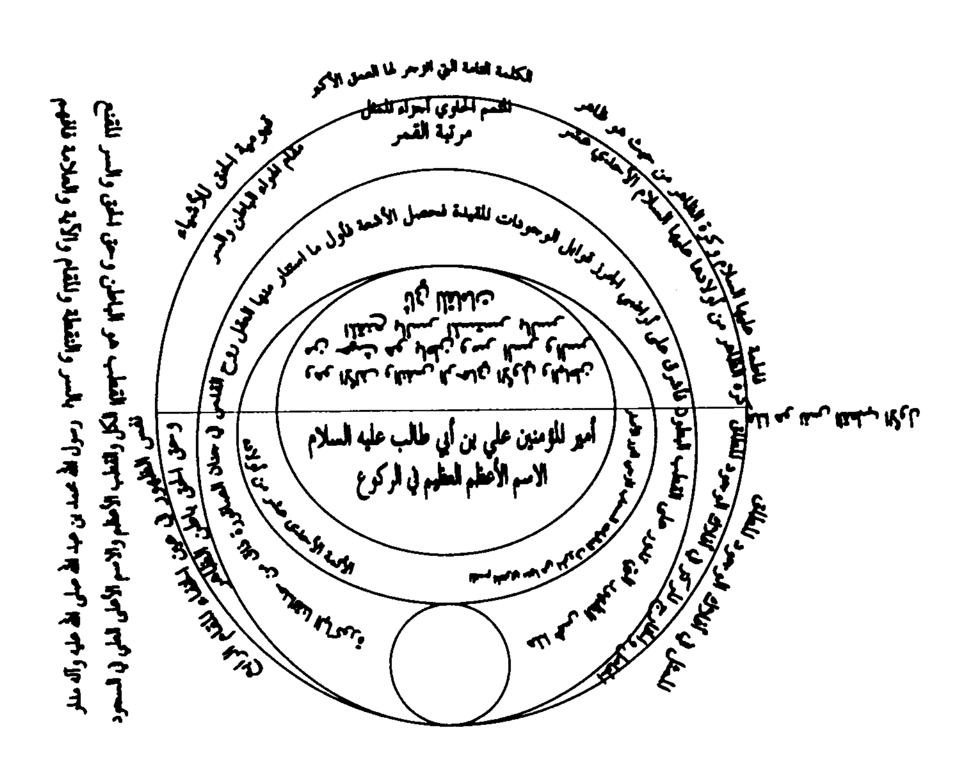
أمــا سمعت أنّ الشمس هي النبوّة للنبي المطلق ، والقمر هو الولاية للــولي المطلق[٣] ، فجرى التطابق بين الظاهر والباطن ، فكان لذلك المنير الأعظم فَلَكَان مع القطب والمحور ، والمتمّمين وهذه صورته :

---

(١) سورة الأحقاف : ١٥ .

(٢) تفسير القمي : (وقوله : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً ﴾ قال : الإحسان رسول الله ﷺ ، ﴿ بِوَالِدَيْهِ ﴾ : إنما عني الحسن والحسين عليهما السلام) . تفسير القمي ، القمي : ٢/٢٩، سورة الأحقاف . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٤٣/٢٤٦ أبواب تاريخ الإمامين الهمامين قرتي عين رسول الثقلين الحسن والحسين ... ، ب١١ ولادتهما وأسمائهما ... /٢١ . تفسير نور الثقلين ، الشيخ الحويزي : ٥/١١ ، سورة الأحقاف /١٢ .

(٣) انظر : ١/١٤٨ ، ٢٢٦ .


الكلمة التامة التي انزجر لها العمق الأكبر
القسم الحاوي أجزاء للعقل
مرتبة القمر
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
الاسم الأعظم العظيم في الركوع

/م ١٨٨- ح ٧٣ وإذا جعلـــت كل واحد من هذه الأقسام كرة على حدة تكون أربع كرات متطابقات ، بحيث يكون محدّب السافل على مقعّر العالي ، والكرة الخامسة في الوسط بمنزلة المركز ؛ لأنّ الكرات الأربعة الفوقـــيّة بعضـــها عين الآخر ، بخلاف الخامسة[1] ، فإنّها ظهور المجموع ومظهرها ، وعضد ما يصدر عنها من الآثار والأفعال .

فتكون المقامات والعلامات خمسة ، وهي قوى الهاء في (هو) ، إلا أنّ أربعـــة منها مقام لأنفسها ، واسم لتجلّي المتجلّي لها بها بأظلّتها ، وهي عالم الوجود المطلق ، وأمّا الكرة الخامسة ، فهي مقام الوجود المقيّد ، وهي توحيد لهم ، واسم لتجلّي المتجلّي لهم بهم بأنفسهم ، كما ذكرنا سابقاً[2] ، فراجع .

ولـــك أنْ تقـــول : إنّ الكـــرات الأربعة مقام الوجود المقيّد أيضاً بواسطة الكرة الخامسة ، لكن الواسطة غير معقولة ولا معتبرة ، وهذا بعيد جـــدّاً ، لأنّ تلك الكرات هي الاسم الذي استقرّ في ظلّه فلا يخرج منه إلى غـــيره ، فـــافهم ، واثبت ثبّتك الله بالقول الثابت ، وهدانا الله وإيّاك إلى الصراط المستقيم .

---

(١) في (ح) : الخامس .

(٢) انظر : ٣٠٥/٢ .

[ب – أقسام كرات الفعل من حيث التعلق] :

فـــإذا عرفت هذه الدقيقة الخفيّة ، إلاّ على الأقلّين ، فاعلم أنّ هذه الكرات الأربعة المذكورة ، التي هي كرة واحدة بسيطة ، لا تعدّد فيها ولا اخـــتلاف ، وأمّا هذا التعدّد فكما قلنا إنّه لا يدركه العقل ، وما تحته من المشاعر والمدارك ، وإنّما يدركه الفؤاد النور ، و[1] الظهور الكرة الخامسة الـــتي فيـــنا مـــن ذلك الظاهر لها مراتب أربعة ، كلّ مرتبة كرة مستقلّة ، والمجمـــوع مترتـــبة متطابقة ، وأمّا المرتبة الخامسة ، فكالأوّل الوسط حرفاً بحـــرف ، لك أن تجعلها منها ، ولك أن تخرجها منها ، لكن الأولى قطب للثانـــية ، والثانية تدور عليه دورة الافتقار والاحتياج ، وهي مراتب صبح الأزل الذي هو ظهور شمس الأزل :

الأولى : كرة المشيئة ، وهي الذكر الأوّل ، الخلق الساكن الذي لا يدرك بالسكون .

الثانـــية : كرة الإرادة ، وهي العزيمة على ما يشاء ، الذكر الثاني ، والخلق الساكن الذي لا يدرك بالسكون .

الثالثة : كرة القدر ، وهي الهندسة الإيجاديّة ، أوّل ظهور الكثرات والأوضاع ، والحدود والتعيّنات والتشخّصات .

---

(١) في (ل) : هو .

الــــرابعة : كرة القضاء ، وهي الحكم والتركيب ، كما قال تعالى : ﴿ **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾[١] .

الخامســـة : كرة الإمضاء ، وهو الإبراز /م ١٨٩ ، مشروح العلل مبـــيّن الأسباب ، وهذه هي التي قلنا إنّها كالخامسة ، لك أن تجعلها منها كمـــا في بعـــض الأخبار[٢] ، ولك أن تخرجها منها كما في بعض الأخبار الأُخر[٣] .

ولكـــن هـــذه الكرات مراتب ظهورات الشيء الواحد في المراتب التروليّة ، الفعل الكلّي حسب المفاعيل المتعلّقة (بفتح اللام) ، وعند تترّله في كلّ مقام عند تعلّقه بالمفعول الواقع في ذلك المقام يسمّى باسم خاصّ .

وهذه مراتب بالنسبة إلى التعلّقات ، لا دخل لتلك المراتب في ذاته ، وأجزاء وجوده ، التي هي الكلمة التامّة ، بخلاف الكرات الأوّليّة ، والمراتب

---

(١) سورة الانفطار : ٨ .

(٢) سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : (**علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى ...**) . الكـــافي ، الشـــيخ الكلـــيني : ١٤٨/١ ، ك التوحيد ، ب البداء /١٦ . التوحيد ، الشيخ الصـــدوق : ٣٣٤ ، ب الـــبداء /٩ . مختصـــر بصائر الدرجات ، الحسن الحلي : ١٤٢ ، أحاديث الإرادة وأنها من صفات الأفعال .

(٣) قـــال أبـــو جعفـــر عليه السلام : (**لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال الســـبعة ، بمشـــيئة وإرادة وقدر وقضاء ...**) . المحاسن ، البرقي : ٢٤٤/١ ، ك مصابيح الظلم ، ب ٢٥ الإرادة والمشيئة /٢٣٦ . الكافي ، الشيخ الكليني : ١٤٩/١ ، ك التوحيد ، ب في أنه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة /١ .

الفوقيّة المذكورة ، فإنّها مراتبه من حيث هو ، لا من حيث التعلّق ، وإن لم يظهر إلاّ به .

فكان في أصل ذاته وصرف حقيقته ، هي الاسم المكنون المخزون ، الـــذي استقرّ في ظلّه ، فلا يخرج منه إلى غيره ، فلا يعرف[١] له اسم ، ولا يفهم[٢] له رسم ، فلمّا أخذ في الظهور والتجلّي في المراتب المفعوليّة بالتعلّق بها ، عرفنا اسمه ورسمه وأثره من حيث ذلك التعلّق .

[ج – مراتب الفعل عند تمام ظهوره] :

ولمّـــا كان تمام المفعول إنّما هو في أربع مراتب متفاوتة مختلفة ، أو خمسة :

الأولى : الوجود .

والثانية : الماهيّة .

والثالثة : الحدود .

والرابعة : إلزام الحدود إيّاه – أي التركيب – .

والخامسة : ظهوره وبروزه .

وكلّ مرتبة حصلت بالجعل المستقلّ .

---

(١) في (ح) : نعرف .

(٢) في (ح) : نعرف .

كانت مراتب الفعل عند تمام ظهوره - أي ظهوره التامّ - بتماميّة المفعول أربعة أو خمسة ، فسمّي[1] الفعل عند تعلّقه بالوجود المشيئة .

وعند تعلّقه بالماهيّة الإرادة .

وعند تعلقه بالحدوث والهندسة الإيجادية القدر .

وعند تعلقه بالإلزام والتركيب القضاء .

وعند تعلقه بالإظهار والإبراز الإمضاء .

وهي مراتب ظهورات صبح الأزل ، الذي هو ظهور شمس الأزل ، فكانت مراتب المتعلّقات في الدرجات المفعوليّة هي الأنوار المشرقة من صبح الأزل .

فالنور الأبيض هو المشرق من المرتبة الأولى التي هي المشيئة .

والنور الأصفر هو المشرق عن المرتبة الثانية التي هي الإرادة .

والنور الأخضر هو المشرق عن المرتبة الثالثة التي هي القدر .

والنور الأحمر هو المشرق عن المرتبة الرابعة التي هي القضاء ، فإذا قضى مضى ، فالإمضاء لازم القضاء .

---

(١) في (ح) : نسمّي .

[د - دورات مراتب الفعل عند تمام ظهوره] :

وفي الحقيقة ، هنا كرة واحدة ، لها أربع دورات متوالية ، مترتّبة في النزول /م ١٩٠ دوران العلّة على المعلول ، ولا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلاّ عقده بإدارة هذه المراتب عليه على التوالي ، واستدارة ذلك الشيء عليها على خلاف التوالي ، وهذا في كلّ شيء موجود ممكن برز من فعل الله سبحانه ، وهو في المفعول والدرجات السافلة المخلوقة ظاهر ، وإنّما الإشكال في إبراز تلك المراتب أنفسها ، إذ لا شكّ أنّها مخلوقة محدثة، وليست بقديمة ، فيقال فيها إنّها تدور على أنفسها بأنفسها بالله سبحانه .

والعبارة الصحيحة أن تقول : إنّ الله سبحانه أدار عليها تلك المراتب بأنفسها لا شيء غيرها دورة متوالية ، وغير متوالية ، ثمّ أدارها على المراتب المفعوليّة أوّل الجنان الصاقورة على التوالي ، وأدار تلك المراتب عليها على خلاف التوالي ، فاتّحدت الدورات في نفسها عند تحقّقها ، واختلفت في غيرها ، ﴿ **ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾[1] .

فكانت الدورات الأربعة في المشيئة متّحدة في كمال الاتّحاد في عين الاختلاف ، وفي الإرادة الدورات الثلاثة متّحدة ، وفي القدر الدورتان، وفي القضاء دورة نفسها ، وإذا لاحظت الإمضاء معها تقول في

---

(١) سورة الأنعام : ٩٦ .

المشـــيئة الدورات الخمسة ، وفي الإرادة الأربعة ، وفي القدر الثلاثة ، وفي القضاء الدورتان ، وفي الإمضاء دورة نفسها ، والثاني أصحّ كما لا يخفى .

وبيانه بالإجمال : إنّ الدورات في المشيئة متّحدة إذ لا اختلاف /ح ٧٤ فـــيها ، وفي الإرادة تـــدور عليها المشيئة ، وهي غيرها ، وتدور عليه الإرادة والقـــدر والقضـــاء والإمضاء ، التي هي نفسها ، وفي القدر تدور عليها المشيئة والإرادة ، وهما غيره ، وتدور عليه القدر والقضاء والإمضاء الـــتي هي نفسه ، وفي القضاء تدور عليه المشيئة والإرادة والقدر ، التي هي غيرهـــا ، وتدور عليه القضاء والإمضاء ، التي هي نفسها ، وفي الإمضاء تدور عليها المشيئة والإرادة والقدر والقضاء ، التي هي غيرها ، وتدور عليه الإمضاء ، التي هي نفسها ، فافهم .

[الأقوال في قيوميته تعالى]

[أ - ذكر الأقوال] :

فـــإذا عرفـــت هذه الكلمات المجملة ، فاعلم أنّه وإن سبق[١] منّا الكلام في بيان القيّوميّة إلاّ أنّ ذلك الكلام على بعض الوجوه لا ينكشف بـــه المـــرام ، وأنا أحبّ أن أشرح /م ١٩١ - إن شاء الله تعالى - حقيقة الأمـــر في ذلك ، فإنّ هذا المقام من مزالّ الأقدام ، فكم زلّت للأعلام فيه الأقدام ، فإنّهم ذهبوا في ذلك إلى أمور عجيبة .

[١ - قيوميته تعالى ركنية لا صدورية] :

فمـــنهم من ذهب إلى أنّ قيّوميّة الحق للأشياء ركنيّة لا صدوريّة ، منه تبدو الأشياء وإليه تعود ، ولذا قالوا في قوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي

---

(١) انظر : ١/١٨١ .

شَأْنٍ ﴾[١] : إنّ ذلك شئون يبديها[٢] ، وأنّ الأشياء قائمة به سبحانه وتعالى قيام الثلج بالماء ، والحروف بالمداد ، والكلام بالنفس[٣] .

وكلّ ما في الوجود شئون للذات كما قال بعضهم : (إنّ ذات الاسم الظاهر بعينه هو ذات الاسم الباطن ، والفاعل بعينه هو القابل ، والأعيان الثابتة عينه ، الغير المجعولة ، والفعل والقبول له يدان ، فهو الفاعل بإحدى يديه والقابل بالأخرى ، والذات واحدة والكثرة نقوش ، فصحّ أنّه ما أوجد شيئاً إلاّ نفسه ، وليس إلاّ ظهوره)[٤] .

وعلى هذا جرت أشعارهم وحكاياتهم وأحوالهم ، وقد قال شاعرهم في الفصوص[٥] :

فلولاه ولولانا ... لما كان الذي كانا
فإنا أعبد حقاً ... وإنا الله مولانا

---

(١) سورة الرحمن : ٢٩ .

(٢) علم اليقين ، الكاشاني : ٩٢/١ ، المقصد الأول ، ف٦ . رياض السالكين ، المدني : ٥/ ١٧ .

(٣) الإنسان الكامل ، الجيلاني : ٥١ . إيقاظ الهمم ، الحسني : ٣٢٣ . نقد النصوص ، الجامي: ٦٧ .

(٤) الكلمات المكنونة ، الكاشاني : ٨٣ ، كلمة فيها إشارة إلى معنى كن فيكون .

(٥) فصوص الحكم ، ابن عربي : ١٤٣/١ .

وأنّــــا عيـــنه فـــاعلم إذا مـــا قـــلت[1] إنســـانا
فـــلا تحجـــب بإنسان فقـــد أعطـــاك بـــرهانا
فكن حقّاً وكـــن خلقاً تكـــن بـــالله رحمـــانـــا
وغـــــذ خلقـــه منه تكـــــن روحـــاً وريحانا

[إلى أن قال :][2]

فأعطينـــاه ما يبـــدو بـــه فينـــا وأعطـــانا[3]
[فصـــار الأمر مقسوماً بإيـــــاه وإيانـــــا
فأحـــياه الـــذي يدري بقلـــبي حين أحيـــانا][4]
فكـــنّـــا فيه أكـــواناً وأعـــــياناً وأزمانـــــا

---

(١) في (ح) : قيل .
(٢) لم ترد في (م) .
(٣) في (ح) : فأعطانا ما يبدو بنا فينا وأعطانا .
(٤) لم ترد في (ح) .

[٢ - قيوميته تعالى سنخية] :

ومـــنهم مـــن ذهب[١] إلى أنّ الأشياء من سنخ الواجب سبحانه وتعالى، وهو قول من قال أنّ الوجود على ثلاث مراتب :

وجـــود قـــويّ ، ما من وجود أقوى منه وألطف وأشرف ، وهو الواجب سبحانه وتعالى .

ووجود ضعيف ، ما من وجود أضعف منه وهو الهيولى .

وما بينهما المتوسّطات .

وهـــذا صريح في السنخيّة ، وكذا لسان حال القائل[٢] بالاشتراك المعنوي بين وجود الواجب سبحانه وبين غيره من الممكنات ، ينادي بأعلى صـــوته بالسنخيّة ، وتأويلهم بالمعنى والمفهوم لا يدفع عنهم الإيراد ، بل يجعـــل الأمـــر أشنع /م ١٩٢ وأفضح ، كما ذكرنا غير مرّة في مباحثاتنا ورسائلنا[٣] .

---

(١) المباحث المشرقية ، الرازي : ١/٥٠٠ .

(٢) سبق تخريجه : ١/١٧٠ ، وانظر أيضاً : ٣/٤٣ .

(٣) رســـالة الميرزا محمد باقر البهبهاني (مجموعة رسائل) ، السيد الرشتي : ٢/٣٤٧ . رسالة السيد علي (مجموعة رسائل) ، السيد الرشتي : ١/٧٤ . رسالة ملا حسين علي (مجموعة رسائل) ، السيد الرشتي : ١/٢٨٧ .

[٣ - قيوميته كقيومية الأشعة بالشمس] :

ومنهم من ذهب إلى أنّ الأشياء قائمة به سبحانه قيام الأشعّة بالشمس ، والخلائق كلّها إشراقات أنوار ذاته المقدّسة ، وعكوسات حقيقته المنزّهة ، وإليه يرجع القول بالرشح .

[٤ - قيوميته كقيومية الظل بالشاخص] :

ومنهم من ذهب[1] إلى أنّ قيام الأشياء به قيام الظلّ بالشاخص ، والصورة بالمرآة .

[٥ - قيوميته تعالى انتسابية] :

ومنهم من ذهب[2] إلى أنّ الوجود هو الله تعالى ، والأشياء متحقّقة موجودة بالانتساب إليه ، والارتباط به ، كالماء المشمّس ، ولذا قيل إنّ وجود زيد إله زيد ، وأمثال هذه من الأقوال كثيرة .

والأصل في هذه الآراء المختلفة أنّهم ما نظروا إلى الشيء بوجدان صحيح ، وما نظروا إلى المسألة على ما كتب الله لهم في الألواح الآفاقيّة

---

(١) فصوص الحكم ، ابن عربي : ١٠٢ . مطلع خصوص الكلم ، القيصري : ٤٦٦/١ . شرح فصوص الحكم ، الكاشاني :١١ . الأسفار ، الشيرازي : ٢٩٢/٢ .

(٢) الأسفار ، الشيرازي : ٧١/١ .

والأنفسيّة ، وما تأمّلوا في الأمر قاطعين التفاهم من كلّ شيء ، حتى يعرّفهم الله سبحانه حقيقة الأمر .

بل منهم من قصر نظره في العبارات ، وأخذ ينظر فيها ، ويستنبط الحق منها ، وهي ذو احتمالات كثيرة ، ووجوه عديدة ، قد تكون متناقضة ، فنظر إلى وجه وجهة منها واستحسنها ، وردّ الباقي إليها إن أمكن ، وإلاّ ردّها ، وأبطل القول بها ، هذا شأن الواقفين مقام المجادلة .

ومنهم من نظر إلى الشيء ، لا من حيث هو هو ، ليطلب ما هو الحق فيه من الله ﷻ ، بل من حيث انطباقه بالقاعدة المقرّرة ، أو ما تأنس به نفسه من مطالب أقوام يحب[1] أن يكون الحق معهم ، ففي الحقيقة ليس هذا طالب الحق والصواب ، وإنّما يطلب ما تشتهي نفسه ، والله سبحانه سريع الحساب ، فوفّاه حسابه ، فكشف له على حسب مرآته ، وأعطى كلّ ذي حقّ حقّه ، وساق إلى كلّ مخلوق رزقه .

وإلاّ فمن راجع الفطرة ، ونظر بالفطرة الإلهيّة الغير المشوبة بالمفاهيم الوهميّة والعبارات المظلمة ، عرف سخافة هذه الأقوال وأمثالها ، كالشمس في رابعة النهار ، وكالنار على المنار .

---

(١) في (م) : يجب .

[ب – مناقشة الأقوال] :

[مناقشة القول الأول : قيوميته تعالى ركنية لا صدورية] :

وقد ذكرنا بطلان القول الأوّل في اللوامع الحسينيّة[1] ، بما لا يزيد عليه لمن عرف الكلام والمراد ، ونذكر هنا أيضاً على سبيل الإيضاح بالإجمال .

فنقول : إنّ كلّ عاقل يعرف أنّ الشيء الواحد لا يظهر بالصور المتعدّدة ، ولا يتطوّر بالأطوار المتكثّرة ، إلاّ ويكون ذلك الأمر الواحد مناسباً لتلك الأمور بالصلوح .

فقبل[2] /م ١٩٣ التعيّن بالتعيّنات كانت تلك الأمور كلّها مذكورة في الشيء ذكراً صلوحيّاً ، فكانت له جهات متكثّرة ذاتيّة ، وتلك لا تنفكّ عنه أبداً ما دام هو موجوداً ، ونحن نجد عياناً أنّ كلّ شيء كذلك ، أي الواحد الذي من شأنه أن يتعيّن بالتعيّنات الكثيرة ، أو أنّه يتعيّن بها بالفعل إنّ ذلك في رتبة غير مرتبة ذاته .

إذ لا شكّ أن كونه متعيّناً بالتعيّن المخصوص متأخّر عن كونه صالحاً لذلك ، وهو أعمّ ، وكونه صالحاً متأخّر عن الشيء بما هو هو ، لأنّ الثاني صفة ، ورتبتها متأخّرة عن رتبة الذات قطعاً ، وإلاّ كانت ذاتاً .

---

(١) اللوامع الحسينية ، الرشتي : ٢٢٩ .

(٢) في (ح) : قبل .

والـــذي تسمع في الصفات الذاتيّة كلّ ذلك تعبيرات عن الذات ، وليســـت هـــناك صفة من الصفات ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**كمال التوحـــيد نفي الصفات عنه**)[1] سيّما في هذا المقام ، الذي هو الصلاحيّة المحضة ، وتلك لا تتقوّم إلاّ بالذات .

ولا شـــكّ أنّ كلّ متأخّر من حيث هو منعدم /ح ٧٥ صرف في رتبة المتقدّم من حيث هو هو ، فإذن لا يذكر فيها .

فثبـــت أنّ التعيّن المخصوص على الوجه المخصوص ، لا يوجد في رتـــبة الصلوح ، والصلوح أيضاً لا يوجد في رتبة الذات البحت ، فبقيت الـــذات متفرّدة بتوحيده ، لا ذكر لشيء فيها ، فتعرض لها حالة أخرى ، وهـــي الصلوح للتعيّن والتشخّص ، ثمّ تعرض له حالة أخرى وهي التعيّن بالتعـــيّن المخصوص على الوجه المخصوص ، وإن كانت هنا حالات أُخر لكن بما ذكرنا كفاية .

فكـــلّ أمـــر وحـــدانيّ متعيّن بالتعيّنات لا بدّ له من هذه الحالات المعتورة المتعاقبة المترتّبة ، واعتوار الحالات دليل الفقر البحت الباتّ ، وعدم الغـــنى و الثبات ، فإنّ ذلك هو السير والاستدارة والخروج إلى الفعل من القوّة ، وهو شأن الإمكان .

---

(١) سبق تخريجه : ١/١٧٣ .

ثمّ إنّ تكثّر الجهات دليل الحدوث ؛ لأنّ كثرة الجهات دليل الاختلاف ، والاختلاف دليل الفقدان والنقص ، وهو ضدّ الغنى والوجوب.

ثمّ إنّ النقائص والشرور والخبائث على زعمهم إنّما لحقت الأشياء من جهة الحدود والتعيّنات ، وهذه الحدود إنّما لحقت الذات ، فلا يلحق الشيء إلاّ بما يناسبه ، ولذا لا تلحق البرودة بالحرارة ، ولا بالعكس ، واليبوسة بالماء ، ولا بالعكس .

فيجب أن يكون في ذلك الملحق به ذكر للّاحق ، ذكر نسبيّ ؛ ليمكنه اللحوق ، فيجب إذن /م ١٩٤ أن يكون الوجود المتعيّن بهذه التعيّنات الناقصة فيه شائبة نقصان وفتور ، وإلاّ لاستحال التعيّن ، فلا يصحّ أن يكون ذلك الوجود هو الله الواجب سبحانه ، المتنزه عن كلّ نقص ، والمتقدّس عن كلّ عيب ، والكمال المطلق هو أن تتقدّس ساحة عزّته عن وصول رائحة من العيب ، أو شائبة من النقص - سبحان ربّي وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً - .

مع أنّ الكثرة بأيّ نحو كانت ، عينيّة أو ذكريّة ، إنّما نشأت عن سلطان الوحدة ، فلو فرضت فيها كثرة يجب أن تكون مستندة وتابعة ، إذ لا استقلال لها من حيث هي ، فيجب أن يكون القديم تعالى شأنه المنسوب إليه كلّ شيء واحداً وحدة محضة مطلقة ، لا يشوبها كثرة لا ذكراً ولا

فرضاً ولا اعتباراً ولا خارجاً ، ولا في نفس الأمر ، كذلك الله ربنا لا إله إلاّ هو .

وإن كانوا يقولون بألسنتهم إنّ هذه الكثرة لا تنافي الوحدة ، فهم إنّما يعنون بها الكثرات العينيّة الشخصيّة لا الذكريّة ، فإنّ ذلك غير مضرّ عندهم ، وهو الأعيان الثابتة الأزليّة[1] .

وقد واجهني بذلك بعض أشباه الناس ، فقلت له : هذه الأمور الذكريّة التي سميتموها صوراً علميّة عين الله سبحانه وتعالى ، أم غيره ؟

قال : هي عين الله .

قلت بكثراتها وتمايزها ؟ .

قال : نعم .

قلت : إذن كان الله مركّباً من هذه الأمور ، وكلّ واحد منها قديم يلزم تعدّد القدماء .

قال : لا يضرّ ذلك ، فإنّ الممتنع أن يكون كلّ منها أمراً مستقلاً ، لا أمراً اعتباريّاً ذكريّاً .

هذا حظّهم في العلم ، ونصيبهم في المعرفة ، ولم يدروا أنّ القديم لا يكون إلاّ مستقلاً ، ولا يصحّ أن يكون اعتباريّاً أبداً ، بل لا يتعقّل ذلك ، فإنّ الذي وجوده لذاته كلّ ما له فعليّ ، ليست فيه جهة الإمكان ، حتى

---

(١) فصوص الحكم ، ابن عربي : ٧٦ . مطلع خصوص الكلم ، القيصري : ١/٤٥ .

يعتبر ، فإنّ الاعتبار لا يكون إلاّ إذا لم يظهر ، وعدم الظهور لا يكون إلاّ لفقـــدان شرائط الظهور ومتمّماته ، والفقدان والانتظار لا يكون إلاّ لمن كـــان وجوده مربوطاً بالغير ، مستنداً إلى الغير ، مشروطاً بالأسباب ، وما هذا شأنه لا يكون واجب الوجود .

فإذن ، يجب إمّا أن تكون هذه الأعيان الثابتة كلها ظاهرة متحقّقة مســتقلّة ، غـــير مرتبطة بشيء ، ويكون كلّ واحد منها مستقلاً ، وإلهاً متحقّقاً .

أو تكون ممكنة محتاجة مفتقرة إلى الشرائط والأسباب .

ولا يمكـــنك القول بالأول ، فإنّه /م ١٩٥ ظاهر الفساد ؛ لأنّه لو فـــرض ذلـــك يلزم أن تكون الأشياء كلّها بسائط ، ولا ارتباط لبعضها بالآخـــر ، ولا اقـــتران ولا اتصـــال ولا انتساب ، فإنّ كلّ ذلك يستلزم الافـــتقار والاستدارة ، الممتنعان على القديم ، فما بقي إلاّ القول بحدوث تلـــك الأعيان ، فلا تكون ثابتة في الأزل ، فلا يصحّ أن تكون مستجنّة في ذات الأزل عزّ وجلّ .

ولعمـــري إنّ التفوّه بأمثال هذا القول جرأة عظيمة على الله عزّ وجلّ ، فإنّ هذه الأعيان إن كانت ليست بشيء ، فلا معنى للكلام فيها ، وترتب الأحكام عليها ، إذ يعود كلها كذباً ، وليس ذلك شأن العاقل .

فـــإن كانت أشياء ، فهل هي أمور متمايزة ، أم أمر واحد بسيط حقيقي ؟

فالـــثاني إن كان هو الله ، فكالأوّل ، وإن كان غيره ، فكذلك ؛ لاتّفاقهم على أنّ كلّ ممكن زوج تركيّبـــي[١] .

والأوّل إن كانـــت حادثـــة يمتنع فرض وجودها في الأزل ، وعلى الظاهـــر تقـــول يلزم أن يكون الحق سبحانه محلاً للحوادث ، وإن كانت قديمة يلزم تعدّد القدماء ، ومنه يلزم وجود الآلهة الكثيرة، بل الغير المتناهية، فإنّ القديم لا يكون إلاّ مستقلاً ، ولذا قال مولانا الصادق عليه السلام، في ردّ من قـــال أنّ الاسم عين المسمّى -ما معناه- : (**إنّ لله تسعة وتسعون اسماً ، فلو كان الاسم عين المسمّى يجب أن يكون كلّ اسم إلهاً**)[٢] .

مـــع أنّ الاســـم ليس إلاّ بجهات الشيء في ظهوراته ، فعلى فرض القدم والعينيّة جعل كلها مستقلّة لا تابعة ، فافهم .

ولا تلتفت إلى قولهم ، إنّ تلك الأعيان ليست شيئاً ، ولا لا شيئاً ، ولا قديمـــاً ، ولا حادثـــاً ، فإنّ هذا باطل جدّاً ، كما قال مولانا الصادق عليه السلام : (**إذ ليس بين النفي والإثبات منـــزلة**)[٣] .

---

(١) الإلهيات (الشفاء) ، ابن سينا : ٤٧ . مفاتيح الغيب ، الشيرازي : ١/٢٤٤ .

(٢) الكـــافي ، الشـــيخ الكلـــيني : ١/١١٤ ، ك التوحيد ، ب معاني الأسماء واشتقاقها /٢ . التوحـــيد، الشيخ الصدوق : ٢٢١ ، ب٢٩ أسماء الله تعالى ... /١٣ . عدة الداعي ، ابن فهد الحلي : ٣١٥ ، خاتمة الكتاب في أسماء الله الحسنى .

(٣) انظر : الكافي ، الكليني : ١/٨٤ ، ك التوحيد ، ب إطلاق القول بأنه شيء /٦ . التوحيد، الصدوق : ٢٤٦ ، ب ٣٦ الرد على الثنوية والزنادقة /١ .

وقـــد بسطنا القول في بطلان هذا القول ، وفي أنّ الشيء يساوق الوجـــود في كتابنا اللوامع الحسينيّة[١] ، فلا نعيد ، إذ بذكره يطول الكلام كثيراً ، ولا يحسن ذلك .

فـــبطل قولهم إنّ الأعيان الثابتة عينه[٢] الغير المجعولة ، وإنّها شئون الـــذات ، وذاتـــيّات الحـــق ، لا تقبل الجعل والتغيير والتبديل ، والزيادة والنقصان[٣] .

ولست أدري كيف تكون الأعيان ذاتيّات ، وما معنى هذه الذاتيّة ، هل [لها] دخل في تقوّم الذات وتحقّقها ، أي لا يمكن أن توجد الذات إلاّ بها ، فلا تكون الذات قديمة لافتقارها إلى غيرها - أي غير حيثيّة ذاته من حيـــث هـــي - فـــإنّهم ربّما ينفون الغيريّة بالنسبة إلى /ح ٧٦ الأعيان ؛ لحصـــول الاســـتدارة ، وكلّ /م ١٩٦ استدارة تحتاج إلى قطب ، إلاّ إذا كانت استدارة امتداد وإفاضة ، فإنّها حينئذٍ تكون لنفس القطب .

فإن كانت الأعيان أيضاً تفتقر إلى الذات انتفت أزليّتها للاستدارة ، فـــإنّ المفـــتقر إلى الغـــير لا تثبت له عينية الوجود ، فإذا احتاج لم يقتض الوجود لذاته ، بل اقتضاؤه إنّما هو بذلك الأمر الآخر ، وما هذا شأنه لا

---

(١) اللوامع الحسينية ، الرشتي : ٢٢٩ .

(٢) في (ح) عينية .

(٣) أسرار الشريعة، الآملي: ٥٧ . نقد النصوص ، جامي: ٧٢. الأسفار ، الشيرازي: ٢/٣٠٠.

يكـــون الوجـــود ذاتيّاً له ، بحيث ليس إلاّ هو ، فإنّه لا ينتظر شرطاً ، ولا يـــتوقّف بشيء ، ولا يترتّب على شيء ، فإذا جاء الترتّب والتوقّف بطلت العينية ، فبها تبطل الأزليّة ، فيثبت الحدوث والفقر ، والحاجة الإمكانيّة ، وليس هذا هو الله ، تعالى ربّي عمّا يقولون علوّاً كبيراً .

فإن لم يكن لتلك الأعيان دخل في حقيقة الذات ، فليست شؤون ذاتـــية لا تقـــبل الجعـــل ، بل إنّما هي أمور حادثة تقبل الجعل ، والتغيير والتـــبديل ، وقائمـــة بها ، فإن كان قيام عروض ، فلا يصحّ ؛ لاستلزامه الانفعـــال ، ولمـــا ذكـــرنا آنفـــاً ، وكذا قيام التحقّق لاستلزامه الاقتران والاتّصال، وكذا قيام الظهور ، فإنّ الأمر فيه بالعكس ، بالنظر إلى المظاهر الفعليّة ، فتكون قائمة بها قيام صدور ، أقامها في أماكنها ، وأمدّها بما لها ، ومنها أقام الأشياء بأظلّتها .

فقولهـــم : (شـــئون الذات)[١] ، إن أرادوا بها الذات الظاهرة في المقامـــات الخلقـــيّة - أي رفيع الدرجات ذو العرش - صحّ ، لكنّهم لا يريدون إلاّ ما ذكرت لك .

وقولهـــم : (والفاعل بعينه هو القابل)[٢] هذا هو الذي قلت لك إنّهـــم يقولـــون بوحـــدة الوجود ، وأنّ هذه الكثرات حدود وماهيّات ،

---

(١) أسرار الشريعة، الآملي: ٥٧ . نقد النصوص ، جامي: ٧٢. الأسفار ، الشيرازي: ٣٠٠/٢.

(٢) سبق تخريجه : ٣١٦/٢ .

لبسـطها وتطوّرهـا ، ولـذا يقولون : (أنا الله بلا أنا)[١] ، وقد قال شاعرهم[٢] :

أنـا ذلك القدّوس في	قـدس العماء محجّبُ[٣]
أنا قطب دائرة الرحى	وأنـا العـلي المستوعب
أنـا ذلك الفرد الذي	فـيه الكمـال الأعجب

إلى أن قال :

أنا غـافر والمذنبُ .

وهـؤلاء يزعمون أنّ الأشياء قائمة بالله سبحانه بالقيام التحقّقي ، فـإن كانت الأشياء كلّها صور تعيّنات الحق سبحانه وتعالى يلزم - مع ما ذكرنا سابقاً[٤] ، من اعتوار الحالات ، وتحقّق الكثرات الذكريّة الصلوحيّة، ووجـود الاقترانات والمناسبات والارتباطات ، التي كلّ منها علّة مستقلّة لـلحدوث والفقر /م ١٩٧ - أن يكون الحق سبحانه علّة مادّية للأشياء ،

---

(١) المسائل ، ابن عربي : ٣١٩ . الفتوحات المكية ، ابن عربي : ٤٦٩/٢ .

(٢) الإنسان الكامل ، الجيلي : ٤٦/١ .

(٣) في (ح) : عجب .

(٤) انظر : ٣٢٣/٢-٣٢٨ .

وإن لم يقولوا هذا بألسنتهم المقاليّة ، لكنّهم يقولون بها بألسنتهم الحاليّة ، في كلّ غدوة وعشيّة ، بل في كلّ آن ودقيقة .

إذ لا شـــكّ أنّ الصورة لا قوام لها إلاّ بالمادّة ، وليست الصورة إلاّ الأجسام التعليميّة في هذا ، والأبدان النورانيّة على جهة الإطلاق ، لتشتمل الأبدان المعنويّة المحضة والرقائقيّة ، والصورة المجرّدة والمقداريّة .

ولا شـــكّ أن المـــادّة مـــن حيث هي ، تتعيّن بالصور ، وتتطوّر بأطوارهـــا ، كالخشـــبة المـــتطوّرة بأطوار السرير والصنم والباب والبيت والعمود والسفينة وغيرها .

إلاّ أنّ المـــواد تخـــتلف بالعموم والخصوص ، والأوّليّة والثانويّة ، فالخشبة ليست مادّة أوّليّة ، وإنّما هي فرد من العناصر ، وهي أيضاً ليست أوّلـــيّة ، بل هي تعيّن الجوهر ، وهو عامّ لكنّه خاصّ بالنسبة إلى الوجود ، فـــالوجود هو المادّة الكلّية والهيولى الأولي المتعيّن بأطوار مختلفة ، والمحدود بـــالحدود المتكـــثّرة الغير المتناهية ، والوجود المطلق عند الصوفيّة هو الله سبحانه .

وقـــد قـــال الملاّ محسن في كلماته المكنونة : (إنّ الوجود إن أخذ بشرط شيء ، فهو الوجود المقيّد ، وإن أخذ بشرط لا ، فهو الوجود العام البديهي ، وإن أُخذ لا بشرط ، فهو الوجود المطلق ، وهو الذي يطلق على الله دون الأوّلين ، وهذا الوجود بنفسه ليس بكلّي ولا جزئيّ ولا ذاتيّ ولا عرضيّ) . إلى أن قال : (بل تلزمه هذه المراتب بحسب مقاماته ودرجاته،

المنبّه عليها بقوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾[١] ، فيصير كلياً وجزئيّاً، وذاتيّاً وعرضيّاً، وجنساً وفصلاً، من غير حصول تكثّر في ذاته)[٢].

فعلمـــت أنّهم يعبدون المادّة الكليّة ، والهيولى الأولى ، والأسطقسّ الأعظـــم ، إذا كانت الأشياء كلّها حدود الوجود وصوراً له ، فيكون هو مادّة الجميع، ولا يشكّ فيما ذكرت عاقل ، إلاّ أنّهم يتحاشون عن إطلاق اســـم المـــادّة على الله سبحانه، وإن كانوا يثبتون معناها سبحانه سبحانه سبحانه وتعالى .

ولا شـــكّ أنّ الصـــورة إذا اعتورت على محلّ ينفعل ذلك المحلّ لها ويقبلها ، ومن هذه الجهة تراهم يطلقون اسم الأمّ على المادّة ، والأب على الصورة ، لقبول المادّة وما جاءها وأتاها من حكم الصورة .

ويزعمون أنّ الصورة منسوبة إليهم ، والحدود راجعة إليهم، وذلك الأمـــر الواحد الكلّي /م ١٩٨ الذي يتعيّن بالحدود والتعيّنات منسوب إلى الله سبحانه ، بل هو الله ، فيتوجّه إليهم صريحاً قوله تعالى : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَـــهُ الْأُنْثَى ۞ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى ۞ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[٣] .

---

(١) سورة غافر : ١٥ .

(٢) الكلمات المكنونة ، الكاشاني : ٢٩ ، كلمة بها يتبين اعتبارات الوجود ... .

(٣) سورة النجم : ٢١ - ٢٣ .

وتعبيرهم المادّة بالأمّ ، والصورة بالأب[١] ، وإن لم يكن صحيحاً ؛ لأنّه خلاف ما قال مولانا الصادق عليه السلام[٢] ، وخلاف ما شهد به العقل الصحيح ، والوجدان الصريح ، كما نذكر فيما بعد[٣] -إن شاء الله تعالى- لكنّهم صدقوا في أصل الانفعال في الجملة .

فإنّ المزدوجين لا يتحقّقان ، ولا يوجدان ، إلاّ إذا حصل التفاعل بينهما مرّتين لا أقلّ ، وإن كان أحدهما فاعلاً والآخر منفعلاً ، وإلاّ فأين التعفين الذي هو شرط في التكوين ، إذ لا بدّ من ميل الرطوبة إلى اليبوسة، وميل اليبوسة إلى الرطوبة، حتّى يجتمعا، وتصديق ذلك قوله تعالى : **﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾**[٤] .

وأبان عن شرح ذلك مولانا عليّ بن الحسين عليهما السلام في الصحيفة : **(يولج كلّ واحد منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد)**[٥] الدعاء .

---

(١) الأسفار ، الشيرازي : ٢/١٣٠ .

(٢) انظر : ١/٢٠٢-٢٠٣ ، وانظر أيضاً : ٢/٢٤٣ .

(٣) انظر : ٢/٣٣٣ .

(٤) سورة الحج : ٦١ .

(٥) الصحيفة السجادية ، الإمام زين العابدين عليه السلام : ٥٥ ، من دعائه عليه السلام عند الصباح والمساء /٢١ . العدد القوية ، علي بن يوسف الحلي : ٣٦١ ، اليوم التاسع والعشرون . مفتاح الفلاح ، البهائي العاملي : ٨٥ ، ب ١ فيما يعمل ما بين طلوع الفجر ... .

وصرّح الحق سبحانه للمؤمنين الممتحنين ، وأبان عن فاعلية القابل بقوله الحق : ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ﴾[(١)] ، بعدما صرّح بأنّ هذا فعل الفاعل بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً ﴾[(٢)] /ح ٧٧ .

وليس لأحد أن ينسب الذكوريّة إلى الليل ، فإنّه أنثى وحبلى ، وقد قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً ﴾[(٣)] ، وهو الصورة التي هي الأمّ .

وأشار الحقّ سبحانه إلى التفاعل بقوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾[(٤)] ، لكنّ الأصل في هذه التسمية ، وهذا الإطلاق ، هو المرأة لا الرجل ، ولذا من يرى في المنام أنّه لبس ثوباً فإنّه يتزوّج ، أو أنّه نزع ثوباً فإنّه يطلق زوجته ، أو أنّه ضاع خفّه فإنّ زوجته تموت ، وأمثال ذلك.

فإذا عرفت ما ذكرت لك عرفت ما يترتّب على قولهم من القبح الفاحش ، فإنّ الشيء لا يتصوّر بالصور إلا أنّه يتأثّر بقبول تلك الصورة ، واقترانه بها ، وارتباطه معها ، وإلا فيستحيل ذلك ، ولا يمكن نسبة الانفعال إلى الحي اللايزال .

---

(١) سورة الأعراف : ٥٤ .

(٢) سورة الأعراف : ١٨٩ .

(٣) سورة الفرقان : ٤٧ .

(٤) سورة البقرة : ١٨٧ .

مـــع أنّه قد دلّ العقل الصحيح الناظر بنور الله سبحانه أنّه لا يتعيّن الشيء الكلّي بالتعيّن الجزئي ، إلا ويكون/م ١٩٩ بين ذلك الشيء الواحد وتلـــك الصورة حالة ذوبان وميل ، وارتباط أوّلي ، المسمّى بالحل الأول ، وحالـــة اجـــتماع واقتران واتصال كلّي عام ، المسمّى بالعقد[1] الأول ، وحالة ذوبان ثانية للصورة الشخصيّة ، المسمّى بالحل الثاني ، وحالة اقتران واتصـــال جزئي شخصي ، المسمّاة بالعقد[2] الثاني ، وهذه المراتب في كل شيء إذا نسب إلى الآخر نسبة يستحق المجموع اسماً آخر غيرهما .

قـــال بعضهم : (فصل في إثبات التكثّر : اعلم أنّ الشيء له ثلاث ملاحظات :

الأولى : ملاحظـــته من حيث الوجود الصرف ، فهو بهذا الاعتبار أمـــر واحد حقيقي ، لا تكثّر فيه بوجه من الوجوه ، والأشياء كلها بهذا النظر واحد .

الثانية : ملاحظته من حيث الحدود والأعراض والتعيّنات والماهيّات الصـــرفة ، من غير ملاحظة اتصافها بالوجود ، واتصالها به ، فالأشياء بهذا الاعتبار كلها أمور عدميّة وهميّة ماشمّت رائحة الوجود .

---

(١) في (ح) : العقل .

(٢) في (ح) : العقل .

الثالثة : ملاحظة الأمرين معاً ، أي الوجود مع تعيّنه بالماهيّة ، والحدود الخاصة ، فمن هذا جاء التكثّر) ، هذا كلامه ملخّصاً .

والوجود عندهم هو الله ، انظر كيف صرّح بالأمر في باب التعيّن والتشخّص ، ولا شك أنّ الأمور الأربعة المذكورة تجري في هذا المقام .

وقد أجمع العقلاء أنّ الأكوان الأربعة المذكورة - التي هي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون - علامة الحدوث .

وقد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : (**كمال التوحيد نفي الصفات عنه ؛ لشهادة كل صفة على أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف على أنّه غير الصفة ، وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران ، [وشهادة الاقتران]**[١] **بالحدوث ، الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث**)[٢] إنْ هذا إلا جرأة عظيمة على الله ، نعوذ بالله من طغيان الأفهام، وكدورة الأوهام ، ونستعصمك يا كريم فاعصمنا .

فلو أنهم سلكوا سبيل دليل الموعظة الحسنة ، إذ عجزوا عن دليل الحكمة ، ولم يجدوا للمجادلة مستنداً من الكتاب ، المجمع على تأويله ، أو

---

(١) لم ترد في (م) .

(٢) سبق تخريجه : ١/١٧٣ .

سـنّة عن النبي ﷺ لا اختلاف فيها ، أو قياس تعرف العقول عدله[١] ، كان أحسن لهم ، بل يجب لهم ذلك ، لكونه محل اليقين ، وطريق السلامة في الدنـيا والديـن ؛ وذلك لأنّه يجب على [المخلوقين][٢] /م ٢٠٠ أنْ يوحّـدوا خـالقهم وبارئهم ، وينـزّهوه سبحانه عن كل نقص وعيب وكـدورة ورذالـة ، وكـل مـالا يجوز على المخلوقين ، وعن صفاهم وأحوالهم.

فإذا قالوا واعتقدوا أنّ الله سبحانه إنّما خلق الخلق و لم يكونوا شيئاً مذكـوراً ، كان الله ولا شيء معه ، ولا اقتران ولا اتصال ولا انفصال ، ولا اسـتجنان ولا كمون ولا بروز ، هو تعالى صمد ، لا يدخله شيء ، ولا يخـرج منه شيء ، ولا يخرج من شيء ، خلق الخلق بمشيّته اختراعاً ، وسـلك بهم في سبيل إرادته ابتداعاً ، من غير نسبة بينه وبينهم بوجه من الوجوه ، ولا ذكر لشيء في ذاته أبداً ، كما هو معتقد أصحاب الشريعة ، وما اجتمعت عليه الفرقة المحقّة ، فلا شكّ أنّهم من الناجين .

فإذا ماتوا على هذا الاعتقاد هم من أهل الجنة على القطع واليقين ، لأنّهم قد تمسّكوا بمحكمات الدين .

---

(١) قال الإمام الكاظم عليه السلام : (**فما ثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله ، أو سنة عن النبي ﷺ لا اختلاف فيها ، أو قياس تعرف العقول عدله**) . الاختصاص ، المفيد : ٥٨ .

(٢) في (ح) ، (م) : المخلوق .

بخلاف ما إذا قالوا بوحدة الوجود ، وأنّ الوجود هو الله سبحانه ، وكـــل هذه الكثرات تطوّراته ، وشؤنات ذاته ، مستجنّة في غيب ذاته ، كالشجرة في النواة ، ثمّ ظهرت كما ذكر السيّد حيدر الآملي[١] في جامع الأســـرار ، وأنّ الله ســـبحانه كالبحر ، والخلق كالأمواج ، كما قال في جامع الأسرار ، والملا محسن في الكلمات المكنونة[٢] :

البحر بحر على ما كان في القدم   إنّ الحـــوادث أمواج وأنهار
لا تحجبنّك أشكال تشكّلـــها   عمّن تشكّل فيها وهي أستار

وإن الله كالمداد ، والخلق كهيئة الكتابة ، وإنّ الله كالنَفَس (بفتح الفـــاء) ، والخلق كالألفاظ ، وإنّ الله كالواحد ، والخلق كالأعداد ، كما قالها الملاّ في الكلمات[٣] .

---

(١) السيد حيدر بن علي بن حيدر بن علي العلوي ، الحسيني ، المازندراني ، المعروف بالآملي ، فقـــيه صوفي ، من تصانيفه : المحيط الأعظم في تفسير القرآن الكريم ، جامع الأسرار ومنبع الأنوار ، توفي بعد سنة ٧٨٢ هـــ .

معجم المؤلفين ، عمر كحالة : ٩١/٤ . الأعلام ، الزركلي : ٢٩٠/٢ .

(٢) جـــامع الأســـرار ، الآملي : ١٦١ . الكلمات المكنونة ، الكاشاني : ٥٧ . نقد النقود ، الآملي : ٦٦٩ . نقد النصوص ، الجامي : ٦٧ .

(٣) الكلمات المكنونة ، الكاشاني : ٥٤ . فصوص الحكم ، ابن عربي : ٧٧ . نقد النصوص ، الجامي : ٦٨ . الأسفار ، الشيرازي : ٣٠٨/٢ .

ولا شكّ أنّ هذا اعتقاد يخالف ما عليه المسلمون ، بل جميع الملل ، لأنّ ذلك يفضي إلى الإقرار بالكلّ ، والاعتقاد بحقّيّة الكلّ ؛ لأنّ كلّ ذلك صور تجلّيات الحق سبحانه ، وقد أقرّ بذلك ابن عربي[(١)] في الفصوص[(٢)] في الكلمة الموسويّة : أن الله سبحانه لم ينصر هارون على عبدة العجل ، لأنّه تعالى أحبّ أن يعبد في كلّ صورة .

وقال في قوم نوح : إنّهم إنّما لم يؤمنوا به ؛ لأنّه يدعوهم إلى التنزيه الصرف ، وهم شاهدوا تجلّيات الحق في كلّ صورة ، وكلّ شيء، فلم يكفّوا حتّى أدركهم ماء الرحمة ، ووصلوا واتّصلوا بمحبوبهم[(٣)] ، هذا معنى /م ٢٠١ كلامه .

وقد قال نظير ذلك الرومي بالمثنوي[(٤)] .

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي ، المعروف بابن عربي ، وابن العربي ، توفي عام ٦٣٨ هـ . من كبار الصوفية ، يروي عن جماعة منهم الشيخ جمال الدين ابن أبي البركات ويونس بن يحيى بن العباس وعبد الوهاب بن علي البغدادي الصوفي . له كثير من المؤلفات منها : الفتوحات المكية ، والوصايا ، وفصوص النصوص .

انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي : ٤٨/٣ . روضات الجنات ، الخونساري : ٤٧/٨. الكنى والألقاب ، القمي : ١٦٤/٣ .

(٢) فصوص الحكم ، ابن عربي : ١٩٤ .

(٣) فصوص الحكم ، ابن عربي : ٧٠ .

(٤) حكايات وعبر من المثنوي ، الرومي : ١٢٩ .

وصرّح بالأمر الملّا محسن في الكلمات - ما معناه - : أنّ الأرواح في عالمها كانت مقرّة بالتوحيد ، طالبة للحق ، ولذا لمّا قال الله سبحانه ألست بربّكم ، قالوا تصديقاً : بلى ، فلمّا نزلوا إلى عالم الأجسام ، ووقفوا[1] في مقام النقش والارتسام ، حجبتهم غواشي الطبيعة فأخذوا في المخالفة والعصيان ، فاستحقّوا للغضب العرضي ، والعرضي يزول ، والذات لا يزول ، فيكون مآل الكلّ إلى الرحمة الواسعة الذاتيّة ، بحكم سبقت رحمتي غضبي[2] .

وقال ابن عربي في الفصوص في كلمة هودية[3] : إنّ كلّ الخلق وكلّ الوجود على الحق ، وعلى الصراط المستقيم ، لأنّ ناصية كلّ شيء بيده ، وهو على صراط مستقيم ، لقوله تعالى /ح ٧٨ : ﴿ **مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[4][5] .

وقد واجهني بمثل مقال ابن عربي بعض أشباه العلماء ، وقال هذه الاختلافات التي ترى في الملل والأديان والعقائد والأحكام وأمثال ذلك ، كلّها من باب اختلاف التعبيرات في اللغات ، والمقصود واحد ، ومراده :

---

(١) في (م) : وقعوا .

(٢) الكلمات المكنونة ، الكاشاني : ١٤٩ ، كلمة بها يجمع بين كون فطرة الكل ... .

(٣) في (ح) : صورية .

(٤) سورة هود : ٥٦ .

(٥) فصوص الحكم ، ابن عربي : ١٠٦ .

أنّ الواحد لمّا تجلّى في هذه المرايا والصور ، وتحقّقت هذه الشئون ، فنظروا إلى القيود والتعيّنات ، واحتجبوا عن المطلق فصار هذا يكذّب ذاك ، مع أنّ الكلّ من مشرب واحد ، ومصدر واحد ، ويحكي الكلّ عمّا عنده حسب تجلّيه فيه ، والآخر عمّا عنده حسب تجلّيه فيه ، وهم من[1] أهل القيود يرون المخالفة الظاهرة ، فيكذّب أحدهما الآخر وهكذا .

وهذا شيء لم يرض به أحد من أهل الملل والأديان ، وخلاف ما نطق به دين الإسلام ، سيّما الفرقة المحقّة الذين يدور الحق مدارهم ، وقد أقرّ بذلك علاء الدولة السمناني[2] ، الذي هو من كبار الصوفيّة في حاشيته على الفتوحات ، عند قول ابن عربي مميت الدين (سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها)[3] ، قال في هذا المقام : (إنّ الله لا يستحيي من الحق.

أيّها الشيخ ، لو سمعت من أحد يقول : إنّ فضلة الشيخ عين وجود الشيخ البتّة ، لا تسامحه ، بل تغضب عليه ، فكيف يسوغ لك أن تنسب

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) علاء الدولة السمناني : أحمد بن محمد بن أحمد السدي البيابانكي ، الشافعي ، الصوفي ، المتوفى عام ٧٣٦ هـ ، له مصنفات كثيرة ، منها : آداب الخلوة ، والفلاح في مختصر شرح السنة للبغوي ، والمقالات في التصوف ، وتفسير القرآن الكريم .

هدية العارفين ، البغدادي : ١/١٠٨ . الذريعة ، الطهراني : ١٥/٢٥١ .

(٣) الفتوحات المكية ، ابن عربي : ٢/٤٥٩ .

هــذا الهذيان إلى الملك الديّان ، تب إلى الله توبة نصوحاً ؛ لتنجو من هذه الورطــة الوعــرة ، التي /م ٢٠٢ يستنكف عنها الدهريّون والطبيعيّون) انتهى. وتكفي شهادته عن ذكرنا .

وبالجملــة ، كلّ من له أدنى معرفة بالشرع وقواعد الدين ، وأنس بطريقة أهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم وآثارهم وأنوارهم المبثوثة في قلوب الشــيعة ، يعــلم يقيناً جازماً لا يعتريه شك ولا شبهة ، أنّ هذه الطريقة مخالفة لطريقتهم ، ومباينة لشريعتهم .

ولو تنــزّلنا وقلنا إنّه لم يحصل له القطع ، فلا أقلّ من الظنّ ، ولو فرضــنا عدم حصول الظنّ فلا أقلّ من الاحتمال المساوي ، أو الاحتمال المــرجوح ، كيف وإنّ القائل بهذا القول ليس إلاّ شرذمة قليلون ، والآن انقرضوا إن شاء الله تعالى .

وكــلّ أهل الشريعة المتديّنين بدين خاتم النبيّين وأهل بيته الطيّبين على خلاف ذلك ، بل يتديّنون ويتقرّبون إلى الله سبحانه ببطلانه ، والإمام عليه السلام بــين ظهرانيهم ، ويهملهم يخوضون في الباطل ، أو أنّ النبي والأئمّة عليهم السلام غشّــوا الناس ما بيّنوا لهم الطريق الحق ، وجعلوا الخلق على خلاف الحــق ، أو أنّهــم عليهم السلام مــا علموا ذلك ، وما انكشف لهم ما انكشف لأولئك .

والتمسّك ببعض الأخبار المتشابهة المخالفة للنصوص المحكمة خلاف دأب العقلاء ، فضلاً عن العلماء ، وحاشا أئمّتنا - سلام الله عليهم - عن

كــلّ ذلــك ، وقد قالوا : (**إنّ الأرض لا تخلو من حجّة ، كيما إن زاد المؤمنون ردّهم ، وإن نقصوا أتمّه لهم**)[١] .

وهــو عليه السلام قــد أقرّ المؤمنين على خلاف هذا الاعتقاد ، فيكون بــاطلاً؛ لأنّ تقريره حجّة ، إذ لا يسكت عن جهل ، أو عن عجز للتبليغ إلى من يريد ، بحيث لا يرونه ، ولا تقيّة بعد ما أخفى نفسه الشريفة .

لا يقال : إنّما ترك من جهة الخوف على الشيعة .

لأنّــا نقول : إنّ هذا ليس شيء يستنكف منه المخالفون ، بل هم المنكبون على هذه الطريقة ، وهم الذين يحبّون الصوفيّة ، ويفتخرون بها ، ســيّما هذه المسألة التي هي أسّ مسائلهم ، وعليها أساطينهم ، كالغزالي[٢]

---

(١) الإمامــة والتبصــرة ، ابن بابويه القمي : ٣٠ ، ب٢ أن الأرض لا تخلو من حجة /١١ .
الكــافي ، الشــيخ الكليني : ١/١٧٨ ، ك الحجة ، ب أن الأرض لا تخلو من حجة /٢ .
كتاب الغيبة ، النعماني : ١٣٨ ، ب٨ ما روي في أن الله لا يخلي أرضه بغير حجة /٣ .

(٢) الغــزالي : أبــو حــامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، متصــوف ، تفقه في بلده ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة ، ومن مؤلفاته : إحــياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة ، ومشكاة الأنوار ، ولد سنة ٤٥٠ هـــ وتوفي سنة ٥٠٥ هـــ .

سير أعلام النبلاء ، الذهبي : ١٩/٣٢٢/٢٠٤ . الأعلام ، الزركلي : ٧/٢٢ .

وابـــن عـــربي وابـــن عطـــاء الله[١] والبسطامي[٢] والحسن البصري[٣] ، وأمثالهم[٤] .

مـــع أنّهـــم - ســـلام الله علـــيهم - نهوا عن التصوّف ، ولعنوا

---

(١) ابـــن عطـــاء الله : الشيخ تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري ، متصوف شاذلي ، من مصنفاته : الحكم العطائية وتاج العروس وقمع النفوس ومفتاح الفلاح إلى غير ذلك ، توفي في القاهرة سنة ٧٠٩ هـــ .

الكنى والألقاب ، الشيخ القمي : ٣٥٧/١ . الأعلام ، الزركلي : ٢٢١/١ .

(٢) البسطامي : أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن علي البسطامي ، وبسطام منسور إلى أول بلاد خراسان من جهة العراق، له من المقالات الكثير، توفي سنة ٢٦١ هـــ وقيل ٢٦٤هـــ، توفي وله ٧٣ سنة .

وفيات الأعيان ، ابن خلكان : ٣١٢/٥٣١/٢ . سير أعلام النبلاء ، الذهبي : ٨٦/١٣/ ٤٩ .

(٣) الحسن البصري : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وتوفي بالبصرة عام (١١٠هـــ) ، وكان من التابعين ، كان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، قال في حقه أمير المؤمنين عليه السلام : (**أما لكل قوم سامري ، وهذا سامري هذه الأمة ، أما إنه لا يقول لا مساس ، ولكن يقول لا قتال**) .

انظر : وفيات الأعيان ، ابن خلكان : ٦٩/٢ . الاحتجاج ، الطبرسي : ١٧٢/١ .

(٤) مشكاة الأنوار ، الغزالي : ١٣٨ . حكم ابن عطاء الله ، ابن عطاء الله : ٧٠ . إيقاظ الهمم، الحســـني : ٢٦٠ . مطلـــع خصـــوص الكلم ، القيصري : ١٥٨/١ . شرح الفصوص ، الكاشاني : ١٥٢ . نقد النصوص ، الجامي ٦٧ .

الصوفيّة[١] ، وكلّ من يميل إليهم ، ويقول بقولهم ، فدلّ الدليل القطعي على أنّ الإمام عليه السلام مخالف لهذا الاعتقاد ، بل يتبرّأ إلى الله تعالى منه ، وممّن يعتقد به .

فإن لم يحصل لك القطع ، إمّا يحصل لك الظنّ بمخالفة /م ٢٠٣ هؤلاء العلماء الأجلاّء أهل الزهد والورع والديانة ، وأنّهم لا يحكمون إلاّ عن دليل قاطع منسوب إلى الكتاب والسنّة .

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(يا أبا ذر ، يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم ، يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم أولئك يلعنهم ملائكة السماوات والأرض)** .

الأمالي ، الشيخ الطوسي : ٥٣٩ ، مجلس ١/١٩ . مكارم الأخلاق ، الشيخ الطبرسي: ٤٧١ ، ب ١٢ في نوادر الكتاب ، ف٥ في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٩١/٧٤ ، ك الروضة ، أبواب المواعظ والحكم ، ب٤ ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي ذر رحمه الله /٣ .

عن الرضا عليه السلام أنه قال : **(قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم : الصوفية ، فما تقول فيهم ؟ .**

قال : إنهم أعداؤنا ، فمن مال فيهم فهو منهم ، ويحشر معهم ، وسيكون أقوام يدعون حبنا ويميلون إليهم ، ويتشبهون بهم ويلقبون أنفسهم ، ويأولون أقوالهم ، إلا من مال إليهم فليس منا ، وأنا منهم براء ومن أنكرهم ورد عليهم كان كمن جاهد الكافر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله) .

مستدرك الوسائل ، النوري : ٣٢٣/١٢ ، ك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ب ٣٧ ، وجوب البراءة من أهل البدع ... /١٥ .

والقـــول بأنّ هؤلاء أهل الظاهر ، وهم أهل الباطن عرفوا الأشياء بالرياضـــات والمكاشـــفات ، فظهر لهم الشيء على ما هو عليه ، بخلاف هـــؤلاء أهل دليل المجادلة ، نظروا إلى بعض وجوه الشيء ، واحتجبوا عن غيرها ، وما عرفوا الشيء على ما هو عليه . فكلّ من هو في مقام المجادلة هـــذا حالـــه ، فـــلا يقاوم اتّفاقهم وإجماعهم كشف أهل الباطن ، الذين يشاهدون الشيء بالمشاهدة الغيبيّة ، باطل من وجوه :

أحدها : إنّ أهل الظاهر إذا اختلفوا فحينئذٍ إذا تحقّق قول من أهل الباطن بشرائطه فهو أرجح ، وبالقبول أحرى ، وأمّا إذا اتفقوا ونصّوا على ذلك الشيء علماؤهم وعوامّهم ، فحينئذٍ لا بدّ أن يكون حقاً ؛ لأنّهم وإن كانوا لا يدركون الشيء على ما هو عليه ، ولا يحيطون به ، لكن وراءهم إمام يدرك الشيء على ما هو عليه ، ويحيط بكلّ شيء علماً .

وهـــو عليه السلام إنّما هو لتكميل الناقصين ، وإرشاد الضالّين ، ولئلاّ يخـــرج الحق عن مقرّه ، ويغلب الباطل على أهله ، فلا يهمل رعيّته وغنمه أن يجمعوا على الباطل ، ويتفقوا على خلاف الحق .

فـــإذا اتّفـــق أهل الظاهر على شيء ، فهو أرجح عن كشف أهل الباطل ، فإنّ الاحتمال في خطئه لعدم عصمته ، قائم ، فإذا قام الاحتمال بطل الاستدلال .

هذا هو الحكم ، إلاّ أنّ التمييز بين اتّفاق أهل الظاهر على الخلاف في الواقـــع ، أو في التعبير وبعض الوجوه وبعض المراتب ، مشكل جدّاً ،

تميــيزه نصيب المؤمنين الممتحنين ، فكم من أحكام ومسائل يدّعون فيها الوفــاق والاجتماع ، وإنّ القول الفلاني يخالفه وليس كذلك ، والمخالفة ليست إلاّ لفظيّة .

وهذا وأمثاله نشاهده كثيراً في هذا الزمان ، والعون على الله .

وثانيها : إنّه ليس كلّ من ادّعى أنّه من أهل الباطن صحّ إذ :

وكــلّ يدّعــي وصلاً بليلى　　　　وليــلى لا تقــرّ لهم بذاكا
إذ انبجست دموع في خدود　　　　تبــيّن من بكى ممّن تباكا

/م٢٠٤ وأهل الباطن هم المنقطعون إلى الله سبحانه ، المعرضون عن كلّ ما سواه ، الذين لا يستندون في شيء من علومهم وأحوالهم /ح٧٩ إلاّ إلى الله وأبوابه .

عــلى هــذه فليست عندهم قواعد يعتمدون عليها ، ولا أنس إلى أشــخاص يجب أن يكون الحق معهم ، وليس بمعاند ولا جاحد ، بل هو طيّب السريرة ، وصافي الفطرة ، ينظر[١] في الأشياء نظر المتعلّم من الله .

وهــذه المسألة ما صدرت إلاّ عن الصوفيّة الملحدين ، الذين راضوا أنفســهم لإطفــاء نور الله ، وعناد الأئمّة الطاهرين ، فحصّلوا برياضاتهم مناســبة تامّة مع الشياطين ، فكانوا يلقون إليهم الباطل على صورة الحق

---

(١) في (ل) : فنظر .

تمويهـــاً وإضـــلالاً للمستضعفين ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[١] .

وقد قال عبد الكريم الجيلاني[٢] وهو من كبار الصوفيّة ، وأشدّهم تمسّكاً بهذه المسألة – أي القول بوحدة الوجود – وقد ملأ كتبه من ذلك . وقال : إنّ شرط المتصوّف أن يكون على مذهب أهل السنّة[٣] .

وقالوا في شرط التسنّن : أن يكون فيه من بغض عليّ عليه السلام شيء ، لئلاّ يغلوا عند استماع الفضائل العظام التي له عليه السلام[٤] .

وأمّا منّا فلم نر أحداً تكلّم بهذه المسألة إلاّ وقد استند[٥] إلى أولئك كابن عربي والغزالي وأضرابهما ، وتمسّك ببعض الأخبار المتشابهة ، بل ربّما يذكر لفظ الحديث وينقل معناه من ابن عربي .

---

(١) سورة الأنعام : ١٢١ .

(٢) الجيلاني : عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي القادري ، صوفي ، ابن سبط الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، له تصانيف كثيرة ، منها : الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، والإسفار عن رسالة الأنوار والنوادر العينية وغيرها ، ولد سنة ٧٦٧هـ ، وتوفي سنة ٨٣٢ هـ .

معجم المؤلفين ، عمر كحالة : ٣١٣/٥ الأعلام ، الزركلي : ٥٠/٤ .

(٣) الإنسان الكامل ، الجيلاني : ١٢ .

(٤) وفيات الأعيان ، ابن خلكان : ٣٥٥/٣ . الأربعين ، الشيرازي : ٦٥٣ . الصوارم المهرقة ، التستري : ٢٧٩ .

(٥) جامع الأسرار ، الآملي : ١٦١ . الأسفار ، الشيرازي : ٢٩٢/٢ .

وإن شئت انظر كلام الملاّ في الكلمات ، في المواضع التي يقول : (قال بعض أهل المعرفة)[١] ، مراده هو ابن عربي مميت الدين ، الذي حكم بأنّ عمر معصوم ، واستدلّ عليه بالأخبار[٢] ، وأنّ أهل الكشف يرون الشيعي على صورة الكلاب والخنازير[٣] .

وبالجملة ، الذي تتبّعت في كلمات القائلين بهذه المسألة ما وجدته إلاّ مستنداً إلى تلك الجماعة ، فما كشف لهم الشيء على ما هو عليه في الواقع ، بل على طبق أذهانهم وأفهامهم وحقائقهم المعوجّة .

وشرح ذلك وأسبابه يطول به الكلام ، وقد قال تعالى : **﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾**[٤] ، فليس هؤلاء الذين قد كشف لهم من أهل الباطن بل هم من أهل الباطل ، **﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾**[٥] ، **﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾**[٦] /م ٢٠٥ .

---

(١) الكلمات المكنونة ، الكاشاني : ١٣ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ١٢٥.

(٢) الفتوحات المكية ، ابن عربي : ٢٦١/١ .

(٣) الفتوحات المكية ، ابن عربي : ١١/٢ .

(٤) سورة الأنعام : ١١٣ .

(٥) سورة الأنعام : ١١٢.

(٦) سورة الحجر : ٣ .

وثالثها : أنّ المنكرين[١] بهذه المسألة وهذا الاعتقاد ليس كلّهم من أهـــل الظاهر ، بل فيهم من أهل الباطن الحقيقي ، الذي قد استكملت فيه الشـــرائط ، وقـــد رأينا منهم من قد صحا له المعلوم ، بعد محوه الموهوم ، وغلـــب له السرّ بعد هتك الستر ، وأطفأ سرج الحواسّ والمشاعر السفليّة بعد ما أشرق له النور من صبح الأزل، وصار كما قال مولانا الباقر عليه السلام : (**مـــا من عبد أحبّنا ، وزاد في حبّنا ، وأخلص في معرفتنا ، وسأل عن مسألة إلاّ ونفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة**)[٢] .

وقـــد تلقّـــى جمـــيع علومـــه من الإلهامات الإلهيّة بالإخبارات[٣] المعصـــوميّة ، في المـــنامات الصـــادقة والقذوف القلبيّة ، وعرف الأشياء بالمشاهدات العيانيّة .

---

(١) رســـالة الاثـــني عشـــرية ، العامـــلي : ٥٧ . نهج الحق ، الحلي : ٥٧ . إرشاد الطالبين ، الســـيوري : ٢٣٨ . الأنـــوار النعمانـــية ، الجزائري : ٢/٢٨٢ . الرسالة الرشتية (جوامع الكلم)، الأحسائي : ١/٢٣٠ .

(٢) قـــال الإمـــام الصادق عليه السلام : (**من أحبنا أهل البيت وحقق حبنا على قلبه جرى ينابيع الحكمـــة على لسانه ، وجدد الإيمان في قلبه** ...) . المحاسن ، البرقي : ١/٦١ ، ك ثواب الأعمال ، ب٨٠ من أحب آل محمد /١٠٣ . بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٢٧/٩٠ ، ك الإمامـــة ، أبـــواب ولايـــتهم وحـــبهم وبعضهم صلوات الله عليهم ، ب٤ ثواب حبهم ونصرهم... /٤٣ .

(٣) في (م) : بالإجازات .

وكـــان شديد الإنكار على تلك الملاحدة الصوفيّة ، وكثير الطعن علـــيهم ، سيما في هذه المسألة ، التي من أسّ مسائلهم ، وقد هدم بنيانها ، وخـــرّب أركانها ، وأظهر فسادها ، وأبان عن بطلان أدلّتها ، على أكمل وجه وأحسن طور ، بالأدلّة العقليّة والذوقيّة الواجدانيّة ، والنقليّة الكتابيّة والمعصـــوميّة ، ولولا إلاّ[1] إنكاره إيّاها لكفى في بطلانها ؛ لأنّه هو القرية الظاهرة للسير إلى القرية المباركة ، وهو باب الإمام عليه السلام ، وحجّة الله على الأنام ، قال عليه السلام : (**هم حجتي عليكم وأنا حجّة الله على الخلق**)[2] .

[مناقشة القول الثاني : قيوميته تعالى سنخية] :

وأمّـــا القـــول الثاني ، فبطلانه أوضح من أن يقال ، فإنّ سنخ[3] الشـــيء مـــا يكون من جنسه وطبيعته وحقيقته ، فلو كانا من حقيقتين متباينـــتين لا يقال هذا من سنخ ذاك ، فعلى هذا كيف يمكن أن يتعقّل أو يتصوّر أنّ الممكن من سنخ الواجب القديم - تعالى شأنه - .

---

(١) لم ترد في (ح) .

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق : ٤٨٤/٢ ، ب ٤٥ ، ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام /٤ . الغيبة ، الشيخ الطوسي : ٢٩١ ، ف٤ / ٢٤٧ . الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي : ٢٨٣/٢ ، احتجاج صاحب الزمان عليه السلام .

(٣) لم ترد في (ح) .

إلاّ عـــلى القـــول بأنّ الممكن ليس بمخلوق فيكون قديماً ، فيكون القـــدم هو الجهة الجامعة بين الواجب والممكن ، وكلّ ما هو كذلك يجب فـــيه عمّـــا به الامتياز ، فيتركّب وجود كلّ منهما ، فيبطل إذن قدمهما وأزليّتهما ، لما مرّ من افتقار المركّب إلى العلّة الموجدة .

فـــإن أرادوا بالســـنخيّة ما هو مثل السراج والأشعّة ، بأن يكون المخلـــوق مـــن نور ذاته ، وشعاع حقيقته ، وهذا وإن لم يكن سنخاً فإنّ الأشـــعّة ليست من سنخ السراج ، ولا ذكر لها في رتبة السراج ، بل هي عدم عند السراج ، وإنّما أحدثت مثلاً لذات الشعلة المرئية لا لحقيقة العلّة المحدثة للسراج والأشعّة .

فالســـراج - حقـــيقة - باب لإحداث الأشعّة ، ووجه /م ٢٠٦ للعلّة ، وعرش لها ، وحامل لظهورات آثارها ، وترجمان للأشعّة ، فلم تكن بينهما سنخيّة ، إلا أنّ هذا أحد الأقوال المذكورة ، وهو :

[مناقشة القول الثالث : قيوميته تعالى كقيومية الأشعة بالسراج]:

القـــول الثالـــث : وبطلانه أنّ الأشياء[1] إذا كانت من نور ذاته ، وشـــعاع حقيقـــته المقدّسة . من غير واسطة ، كانت لذاته نسبة إلى جميع الخلـــق ، ضـــرورة نسبة المنير إلى النور ، كالشمس وشعاعها ، وهذا هو

---

(١) في (ح) : الأشعة .

الـــذي دعـــاهم إلى القول[1] : بأنّ معطي الشيء لا يكون فاقداً له ، فإذا تحقّقت النسبة تكثّرت جهات الذات من حيث هي ، فبطلت أزليّته .

إن قلت : إنّك قلت آنفاً : إنّ الأشعّة لا ذكر لها في رتبة السراج ، فإذا كان كذلك لم تكن النسبة ، فلم تتكثّر جهات الذات .

قلت: لا شكّ ولا ريب أنّ بين المصدر من حيث هو مُصدِر (كسر الـــدال) ، والمُصـــدَر من حيث هو كذلك (بفتح الدال) ، مناسبة تصحّح صدور هذا دون ذاك .

فـــإنّ الفاعل لو لم ينـــزل إلى المفعول بفعله لم يتحقّق المفعول و لم يوجـــد ، فإنّ المفعول لا يوجد إلاّ على ما هو عليه ، وما هو عليه يقتضي التكـــثّر والاخـــتلاف ، والفعل لو أبقي في مقامه على ما هو عليه ، وهو يقتضي الوحدة والائتلاف ، لم يكن الإيجاد .

إذ شـــرطه تمكين القابل [من][2] الانوجاد ، ومن التمكين نزوله إلى مقامه ، وإيجاده على ما هو عليه ، فيلحقه التكثّر لحوقاً عرضيّاً تبعيّاً ، كمـــا يـــلحق المفعول الوحدة بإلقاء مثال الفاعل فيه كذلك ، ولذا تتعدّد أسمـــاء الفـــاعل عـــند الفعل وبعد الفعل ، فتقول : قائم ، قاعد ، آكل ، شارب ، ضارب ، عادل ، وأمثال ذلك .

---

(١) الأسفار ، الشيرازي : ٢/٣٠٠ .

(٢) في (ح) ، (م) : عن .

وهـــذه الأسماء ما اختلفت إلاّ لاختلاف الآثار الصادرة عنه ، /ح ٨٠ ومـــا اختلف أسماء الفاعل إلاّ لمناسبة بينه وبين المفعول ، وإلاّ لامتنع الاخـــتلاف باخـــتلاف المفعول ، ولذا ترى كلّ مفعول يحكي عن فاعله الخـــاصّ به ، والآخر يحكي عن فاعله الخاصّ به ، وإن كان يخالف الأوّل في النســـبة العرضيّة ، فترى الألف يصف صانعه أنّه قائم ، والباء تصفه أنّه مبسوط منتشر ، وهكذا .

وهـــذا ممّـــا لا ريـــب فيه ، فالنسبة بين المصدر من غير واسطة ، والمصدر ممّا لا يرتاب فيه عاقل ، والذي نفيناه هو كون المفعول ووجوده في مرتـــبة الفـــاعل ، لا مذكوريّته لديه ، قال الله تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً** ﴾[1] ، قال الصادق عليه السلام /م ٢٠٧ وروحـــي فداه : (**كان مذكوراً في العلم ولم يكن مكوّناً**)[2] انتهى .

فالأشياء قبل وجود أكوانها وأعيانها لها وجود ذكريّ في العلم ، في رتبة الفاعل الذي هو الواحد ، لا رتبة الذات التي هي الأحد ، فإذا فرضت الفاعليّة في رتبة الذات تحقّقت النسب والإضافات ، فتبطل الأزليّة ، مع أنّ هذا فرض محال لا يتصوّر ولا يتعقّل بحال من الأحوال .

---

(١) سورة الإنسان : ١ .

(٢) سبق تخريجه : ٢٨٧/٢ .

فإنّ الفاعليّة هي صفة الذات ، والذات سابقة عليها في كينونتها ، ومتقدّمه عليها ، فكيف يمكن فرضها فيها ، وقولنا صفة الذات مسامحة في العبارة ، والمراد منها هي الذات الظاهرة بالفعل ، فافهم .

إن قلت : إنّ تكثّر الجهات والحيثيات في الذات إنّما يلزم لو كانت الكثرات الخلقيّة منسوبة إلى الذات ، وليس كذلك ، بل الذي هو نور الذات وشعاعها وصادر منها ومنسوب إليها أمر واحد ، ونور بسيط غير متعدّد ، أشرق من الذات ، فتعيّن ذلك النور الواحد بهذه الكثرات والتعيّنات ، فالكثرات إنّما ترجع وتنسب إلى ذلك الأمر الواحد ، فإن لزم تكثّر الجهات ، فإنّما هو في الحادث ، ولا يضرّ ذلك .

وكذلك الأمر في الشمس والسراج ، فإنّ الذي سطع عنهما نور واحد ، إنّما تعيّن وتكثّر عند لحوق المشخّصات والحدود ، فالكلّ حاضر لديه حضور جمعي وحداني ، لا كثرة فيه بوجه من الوجوه .

قلت : هب أنّ هذه الكثرات لا ترجع إلى الذات ولا تنسب إليها، لكن ذلك الأمر الواحد لا شكّ أنّه منسوب إلى الذات - على زعمكم - فرجع المحذور أيضاً ، إلاّ أنّ تكثّر الجهات يكون حينئذٍ أقلّ ، وإلاّ فحينئذٍ تحقّقت هناك جهات ثلاثة :-

الأولى : جهة الذات من حيث هي هي .

الثانية : جهة فاعليّتها لذلك الأمر الواحد بالصلوح والذكر .

الثالثة : جهة الفاعليّة الفعليّة الكونيّة .

فأين الوحدة والبساطة ، وإنّما هو بسط وتكثير .

[مناقشة القول الرابع : قيوميته كقيومية الظل بالشاخص] :

وأمّا أصحاب القول الرابع ، الذين قالوا أنّ الخلائق أظلال وعكوس ، فاعلم أنّ الظلّ له ثلاث إطلاقات :

أحدها : يطلق ويراد به الأثر .

وثانيها : يطلق ويراد به العكس والضدّ .

وثالثها : يطلق ويراد به الذات والحقيقة ، كما في الحديث : (**أقام الأشياء بأظلّتها**)[1] .

والمعنى الثالث لا يراد في هذا المقام قطعاً .

والمعنى الثاني أيضاً لا معنى له ، إذ المخلوق /م ٢٠٨ ليس ضدّاً لخالقه ، إلاّ أن يريدوا بالعكس الأشباح المنفصلة المتحصّلة عند إشراق الشمس على الأجسام الكثيفة ، أو عند التجلّي في المياه والمرايا والأجسام الصيقليّة ، وهذا أيضاً باطل قطعاً ؛ لأنّ المخلوق ليس على مثال الذات

---

(١) سبق تخريجه : ١٨٩/٢ .

سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : ﴿ **فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾[1] .

فإنّ المثل لا بدّ له من المطابقة بينه وبين الممثّل ، وهي تستلزم المناسبة ، وهي تستلزم الكثرة وتعدّد الجهات في الذات ، وهي ترفع الأوّلية والقدم ، كما مرّ[2] لما مرّ .

وأمّا قوله سبحانه : ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى** ﴾[3] : فالمراد تنزيهه عزّ شأنه عن المثل ، فإنّه تعالى أعلى عن ذلك .

ثمّ اعلم أنّه قد ورد في الأخبار ، وآثار الأئمة الأطهار - عليهم سلام الله الملك الجبّار - إثبات المثل لله سبحانه (بفتح الثاء) ، والمِثل (بكسر الفاء) في قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾[4] بناء على زيادة الكاف .

وفي الدعاء : (**ولك الأسماء الحسنى ، والأمثال العليا ، والكبرياء والآلاء**)[5] ، وهو يحتمل الوجهين .

---

(١) سورة النحل : ٧٤ .

(٢) انظر : ٢/٣٥٣ .

(٣) سورة النحل : ٦٠ .

(٤) سورة الشورى : ١١ .

(٥) الصحيفة السجادية ، الإمام زين العابدين عليه السلام : ٢٦٥ ، دعاؤه عليه السلام في اليوم الحادي والعشرين منه /١٢٩ . الكافي ، الشيخ الكليني : ٤/١٦٠ ، ك الصيام ، أبواب السفر ، ◄

فالمـــراد بهذا المثل هو جهة تعرّف الحقّ للخلق بأنفسهم ، كما قال أمـــير المؤمـــنين عليه السلام : (**بل تجلى لها بها**)[١] ، وهو الوصف الذي يرجع الخلق منه إليه ، كما قال عليه السلام : (**رجع من الوصف إلى الوصف**)[٢] ، قال الشاعر[٣] :

قد ضلّت النقطة في الدائرة	ولم تـــزل في ذاتهـــا حائرة
محجوبـــة الإدراك عنها بها	مـــنها لهـــا جارحـــة ناظرة
سمت على الأسماء حتّى لقد	فوّضـــت الدنـــيا مع الآخرة

وهو الذي ينتهي إليه المخلوق ، كما قال عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله ، وألجأه الطلب إلى شكله ، إنّما تحدّ الأدوات أنفسها ، وتشير الآلات إلى نظائرها**)[٤] .

وهـــذا المـــثل في كلّ شيء جهة توصيف الله سبحانه نفسه له ، ويختلف باختلاف الموجودات في مراتب الأكوان والأعيان ، (**الطرق إلى**

◄ ب الدعـــاء في العشـــر الأواخر من شهر رمضان /٢ . مصباح المتهجد ، الشيخ الطوسي : ٦١٤ ، شهر رمضان /٧٢ .

(١) سبق تخريجه : ٦٣/٢ .

(٢) سبق تخريجه : ١٧٧/١ .

(٣) مشارق أنوار اليقين ، البرسي : ١٨٩ .

(٤) سبق تخريجه : ١٧٧/١ .

الله بعدد أنفاس الخلائق)[١] ، ومردّ الكلّ ومرجعه إلى المثل الأعلى ، وهو قوله عليه السلام : (**نحن الأعــراف الذين لا يُعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنا)**[٢] عـــلى أعـــلى المعاني فيه ، وقد بيّن ذلك في الزيارة الجامعة الكبيرة ، بقوله عليه السلام : (**والمثل الأعلى ، والدعوة الحسنى)**[٣] .

وهـــو المراد في قوله تعالى : ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[٤] ، قال عليه السلام : (**فبهم ملأت سماءك /م ٢٠٩ وأرضك حتّى ظهـــر أن لا إلـــه إلاّ أنـــت)**[٥] ، ويأتي[٦] إن شاء الله تعالى شرح هذه المجملات عند كشف اعتقادنا في القيّوميّة .

---

(١) سبق تخريجه : ٣٠٤/١ .

(٢) سبق تخريجه : ٢٤٤/١ .

(٣)مـــن لا يحضـــره الفقيه ، الشيخ الصدوق : ٦١٠/٣ ، ك الحج ، ب الزيارات /٣٢١٣ . تهذيـــب الأحكـــام ، الشـــيخ الطوسي : ٩٦/٦ ، ك الحج ، ب ٤٦ زيارة جامعة لسائر المشـــاهد... /١ . عيون أخبار الرضا ، الشيخ الصدوق : ٣٠٥/١ ، ب٦٨ في ذكر زيارة الرضا عليه السلام بطوس زيارة أخرى جامعة للرضا /١ .

(٤) سورة الروم : ٢٧ .

(٥) سبق تخريجه : ١٨٠/١ .

(٦) انظر : ١٣/٣ . ١٠١/٣-١٣٢ .

[مناقشة القول الخامس : قيوميته تعالى انتسابية] :

وأمّا أصحاب القول الخامس ، فهم إن أرادوا بالانتساب والارتباط انتساب الذات بنفسها ، فغلط فاحش ، لما يلزم من ذلك من القبائح المنكرة ، وقد أشرنا إلى بعض ذلك .

وإن أرادوا انتسابها بفعله - أي النسبة الفعليّة - فصحيح ، لكنّه يأبى هذا التوجيه قولهم[1] : وجود زيد إله زيد ، بل لا تصحّ هذه العبارة مطلقاً .

وإن أوّلنا قولهم : إله زيد ، بالإله الظاهر بصنعه وإيجاده ، ليرجع الأمر إلى ما ذكرنا ثانياً ؛ لأنّ وجود زيد هو النسبة الارتباطيّة بينه وبين الفاعل ، وهو الأثر الحاصل من الفعل والتأثير ، وذلك الأثر /ح ٨١ لما قارن التأثّر الذي هو الانفعال تحقّق زيد ، فوجوده هو ذلك الأثر الحادث بالفعل لا نفس الفعل ؛ لأنّ[2] الفعل لا ينزل عن مرتبته ، كيف وهو الاسم المكنون المخزون في ظلّه ، فلا يخرج منه إلى غيره .

وبين الشيء ووجوده لا بدّ من الارتباط ، فإنّ التباين عدم ، بل الشيء ليس إلاّ الوجود المحدود ، إلاّ إذا أرادوا بالوجود هو المستقل الأصيل، وهذا يستلزم تقدير كلمات كثيرة في الكلام ، مع أنّ ذلك

---

(١) انظر : فصوص الحكم ، ابن عربي : ٧٣ ، ٧٦ ، ١٥٣ .

(٢) في (ح) : فإن .

الوجود المستقل الأصيل ليس لزيد ، ولا يستند إليه ، وليس لزيد فيه ذكر بوجه من الوجوه .

وأمّـا تمثيلهم بالماء المشمّس فهو في موقفه ، إلاّ أنّهم جهلوا وجه التمثيل ، فإنّ الماء إنّما استحقّ إطلاق الشمس عليه من جهة مثال الشمس الذي ألقته فيه ، فأظهرت به فعلها ، الذي هو التسخين ، فذلك المثال هو أثر الشمس وصفته ومثاله واسمه وآيته .

فالشمس التي أضيفت إلى الماء ليست هي التي في السماء الرابعة ، وإنّما هو ذلك الأثر ، والنسبة بينهما نسبة الواحد إلى السبعين .

وهذا الإطلاق من باب الحقيقة بعد الحقيقة ، وهي الحقيقة والمجاز عـند العـلماء الراسخين والمؤمنين الممتحنين ، وإن لم يكن هو المعروف المصطلح عليه بين الأصوليّين[1] .

مع أنّ أثر الشمس المنتسب إليها والمرتبط بها ليس هو الماء ، وإنّما المـاء أمر خارج أجنبيّ ، حامل لظهور الشمس وتأثيره ، الذي هو الحرارة الظاهرة بذلك الظهور المخصوص .

فالحـرارة المطلقـة من حيث هي هي بمنـزلة /م ٢١٠ الوجود ، وتلـك العـوارض والحـدود والكيفيّة المخصوصة ، والكمّ المخصوص ، بمنـزلة الماهيّة فيهما جميعاً ، ثمّ تأثير الشمس ، وكلاهما أمران وجوديّان ،

---

(١) عدة الأصول ، الطوسي : ٢٨/١ . مبادئ الوصول ، الحلي : ٧٠ .

تحقّقـــا بالشـــمس ، والمـــاء ليس من الشمس ولا إليها ، وإنّما هو حامل الظهور ، ومهبط النور ، كالزجاجة للمرآة والصورة .

فقولهم : قولك : زيد موجود ، كقولك : ماء مشمّس ، إن أرادوا مـــا قلـــنا وشرحنا ، وإنّ زيداً ليس إلاّ تلك الحرارة المتكيّفة بتلك الكيفيّة المخصوصـــة ، فهو صحيح ، وإن أرادوا أنّ زيداً بمنـــزلة الماء ، ووجوده المنسوب إليه بمنـــزلة الحرارة ، فهو باطل ، بل زندقة صرفة .

والحاصل ، إنّ عباراهم مضطربة ، وكلماهم مشوّشة ، والعلّة فيها مـــا ذكـــرت لـــك أنّهم اقتصروا على العبارات ، وجمدوا على الألفاظ والقشـــور ، ومـــا نظروا إلى الأشياء من جهة ذواهّا وحقائقها ، ومبادئها وصفتها ، وعللها وأسباها وشرائطها ؛ لينكشف لهم الأمر على ما هو عليه - ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله - ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾[1] .

لأنّ القيّومـــيّة المطلقـــة الكاملة التي تنطبق على مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وتدلّ عليه العقول السليمة المستمدّة من الفؤاد ، الذي هو لمعة من أنوارهم ، وحرف من كتاب أسرارهم عليهم السلام ، لا تصحّ إلاّ كما ذكرنا بما ذكرنا مشروحاً مفصّلاً ، ودع عنك الأوهام الباطلة ، والأحلام الفاسدة ،

---

(١) سورة هود : ١١٨-١١٩ .

فـإنّ الحقّ كلّه عند الله عزّ وجلّ سبحانه ، جمعه كلّه ، [ثم][1] أراد أن يظهـره لـنا في بيت واحد ، وهو بيت النبوّة ، فكلّ ما لم يخرج عن هذا البيـت فهـو زخرف باطل ، وأشهد أنّ الحقّ لهم ومعهم ، وفيهم وبهم ، ومنهم وإليهم[2] ، وماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال[3] .

---

(١) في (م) و (ح) : مما .

(٢) اقتـباس من الزيارة الجامعة ، انظر : من لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق : ٦١٢/٢ ، ك الحج ، الزيارات ، زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام /٣٢١٣ . المزار ، المشهدي : ٥٢٧ ، القسم ٥ في زيارة سائر الأئمة ، ب١ زيارة جامعة لسائر الأئمة عليهم السلام . تهذيب الأحكام ، الشـيخ الطوسـي : ٩٧/٦ ، ك الحج ، ب٤٦ زيارة جامعة لسائر المشاهد على أصحابها السلام /١ .

(٣) قـال تعالى : ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ . سورة يونس : ٣٢ .

الفهارس



فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس المعصومين عليهم السلام

فهرس الأنبياء والملائكة

فهرس الأعلام

فهرس المصطلحات

فهرس البلدان والفرق والأديان

الشعر العربي

الشعر الفارسي

ای تــو مخفــی در ظهور خویشتن قرنت ٨٣

ای رخــت یــنهان بــه نــور خویشتن

نــدارد ممکــن از واجــب نمونــه ١٠

جکونــه دانــدش آخــر جکونــه

گــر بنودي نفي نفي إثبات در إثبات حق

باعــث نفي دو عالم مي شدا ستثناي من ٥١

فهرس الموضوعات

الثالث في تقسيمه ثانياً ٧

التوحيد الذاتي والصفاتي ٨

كليات مراتب الإنسانية ١٢

التوحيد ومراتب الإنسانية ١٤

مراتب التوحيد باعتبار الموحدين : ١٦

تردد بعض الأنبياء في الولاية ٣٣

كلمة التوحيد والموحدين ٣٧

ميادين التوحيد ٣٨

قوله تعالى : ﴿ هُوَ ﴾

قوله تعالى : ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

الوجه الأول

الوجه الثاني

أقسام القيام ١٨٥

هيئات المخلوقات ٢٨٥

الأقوال في قيوميته تعالى : ٣١٥

أعمال المحقق

١- مفاتيح الأنوار في بيان معرفة مصابيح الأسرار(مجلدان)، للشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي.

٢- الرسالة البدائية، للميرزا محمد باقر الحائري الأسكوئي.

٣- رسالة شاه زادة، للشيخ محمد تقي بن أحمد بن زين الدين الأحسائي.

٤-منار رفع الشبهات عن اختصاص التقليد بالأحياء دون الأموات، للشيخ حبيب بن قرين الأحسائي.

٥- دعوى وحدة الناطق أدلة بطلانها من كتب الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي ، للشيخ حبيب بن قرين الأحسائي.

٦- تفسير آية الكرسي بحوث معمقة في المضامين والدلالات (ثلاثة مجلدات)، السيد كاظم الرشتي.

٧- الرسالة الخراسانية شرح مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه، للشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي.

٨- السنور المضي في معرفة الكنّز الخفي (شرح كنت كنزاً مخفياً)، للشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي.